موسوعة الحياة الرهبنة السليمة

الإصدار السادس ٢٠٢٤م

الباب الثاني: الرهبنة وفضائلها

إعداد الراهب: أبانوب المحرقي

تدبير ونقاوة
"الأفكار- العقل - القلب - النفس"

{١}

مار إسحق السرياني

٤٢- كلما يهدس {العقل} بشيء رديء، يكتبه على كتاب القلب، من نسخة الحواس والتذكار. يمحوه الإفراز الجيد من القلب، ويستأصله حتى لا يخرج للفعل.

ميامر مار إسحق السرياني - الجزء الرابع - رؤوس المعرفة - الميمر السادس - صفحة ١٩٠



📖 ٨٢ـ العقل الذي تنقَّى واستنار بالتمام، هو أيضاً في الأفكار الجيدة يقدر أن يقبل متواتراً.

📖 ٨٣ـ طالما أن التذكارات تثير الأفكار، والأفكار تزعج الذهن، والذهن بسبب انقسامه يشوِّش العقل والتمييز والفهم، فلا تتوقع أن تمتلك السلام في أرض قلبك.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ رؤوس المعرفة ـ الميمر السادس ـ صفحة ١٩٨

📖 إن كنتَ تريد: أن تشترك مع الله بعقلك، وتقتني الإحساس بتلك اللذة، التي لا تخضع للحواس، تمسَّكْ بالرحمة.

📖 أول بدء ظلام العقل هو، إذا رأيت هذه العلامة في نفسك، وهي أن تكسل في خدمة الصلاة، فليس طريق أخرى لطغيان النفس مثل ذلك. لأنك متى حُرمت من المعونة الإلهية التي تأتيك من الصلاة، تسقط بسهولة في يد أعدائك ومضايقيك. وإذا تخليتَ عن الاهتمام بأمور الفضيلة تسقط بالضرورة فيما يضادها.

📖 الحسّ الإلهي {الداخلي}، الذي تتشوق إليه، هو فوق العقل، وان كان جناحا معرفتك يطيران يميناً ويساراً ليعوما في سائر العلوم {الجيدة والرديئة}، فلن يرتفع عقلك إلى العلو، ليحسَّ بجو الحرية التي تكلم عنها الآباء.

📖 واعلم أن الذي يتعب بأعمال الجسد فقط داخل الحبس، وهو لا يعمل بالضمير، بل يطيش ويطمح فهو يتهاون أوقاتاً، وأما الذي مع عمل الجسد يعمل بالفكر أيضاَ، فهو لا يقدر أن يتهاون، لأن عمل قلبه ما يتركه يستريح، فلهذا عظيم هو عمل العقل وتَعِبٌ جداً ومديد، وحسب عظم عمله هكذا أيضاَ كثرة منافعه.

📖 نقاوة الأفكار تنبع من الأعمال، والاحتراس، ومن نقاوة الأفكار ينبلج نور العقل، ومن هاهنا تُرشد النعمة العقل إلى ذلك الشيء، الذي ليس للحواس سلطة ان تُعلِّمه أو تتعلمه.

📖 نقاوة الفكر شيء، ونقاوة القلب شيء آخر. والفرق بينهما كالفرق بين عضو واحد من الجسد، والجسد كله. فالفكر هو أحد حواس النفس، أما القلب فهو ضابط كل الحواس الداخلية، وأعني انه حسُّ الحواس، الذي هو الأصل. وان كان الأصل مقدساً، فكل الأغصان تكون كذلك مقدسة، {إذا تنقَّى القلب تنقَّت جميع الحواس}، ولا يُقارن هذا بغصن واحد تقدس.

📖 أمور الرب تأتي من تلقاء نفسها ان كان بلد القلب طاهراً غير نجس. أما الفكر فإذا اهتمَّ، ولو قليلاً بمفاوضة الكتب، وبالصوم والسكون، فانه ينسى هذيذه الأول، ويتطهر إذا امتنع من كل مفاوضة غريبة، ولكنه يعود ويتسخ سريعا. فكما انه يتنقَّى سريعاً، فهو يتدنس أيضاَ بسرعة.

📖 أما القلب فانه يتنقَّي بضيقات عظيمة وجهاد، مع قطع كل خلطة بالعالم، والميتوتة الكاملة من كل شيء إذا تنقَّى لا تعود تتسخ نقاوته من الملاقاة الصغيرة، ولا ترعبه الحروب الصعبة، لأنه {كما لو كان} قد اقتنى معدة صحيحة، تهضم بسهولة كل طعام، تعجز عن هضمه المعدة المريضة. من ذا الذي يكون فاسقاً، ومنحل الأعضاء، ويمكنه ان يكون طاهر العقل متضع القلب؟!

📖 كل نقاوة تُقتنى بسهولة وفي زمن قليل وبأعمال قليلة، فهي أيضاَ تتسخ بسهولة، وكل نقاوة تُقتنى بضيقات كثيرة، وبعد مدة طويلة، وبكل أجزاء النفس، لا تخاف ملاقاة الأمور الحقيرة {أو الصغيرة}.

📖 قال أحد لابسي الإله: «ان القلب المسترخي لا يقدر ان يحتمل الشرور التي تواجهه من الخارج، والحروب التي تتحرك فيه من الداخل» وتعلمون ان الفكر الرديء الجسداني هو ثقيل جداً، فان لم ينشغل العقل بالعلم، فهو لا يستطيع ان يصبر لحركة الأفكار واضطراب الجسد.

📖 العقل – يا أحبائي – كلما طرح عنه الهمَّ بما يُرى، واهتم بذلك الرجاء بالمُستقبَلات، فهو بقدر ارتفاعه فوق اهتمامات الجسد ومشاغله، هكذا يرقُّ ويصبح صافياً في الصلاة وبقدر ما يُعتق العقل من رباطات، الاهتمامات هكذا يصفو.

📖 وإلى أن يُعتق من كل الأشياء المرئية ويتحرر من اقتنائها، فهو لن يُعتق من الحركات التي تكون بسببها، ولن تكف عنه الأفكار التي تظلم العقل. وحيث الغشاوة وتشويش الأفكار، فهناك تكون الأوجاع. وان لم ينعتق الإنسان من هذه الأشياء جميعها ومن أسبابها، كما قلت، فلن يستطيع العقل ان يتفرس في الخفيات.

📖 من أجل هذا أمرنا الرب، قبل كل شيء، بالتجرد والتمسك بالفقر، والبعد عن سجس العالم، والانحلال من همِّ الناس، حسب قوله: «مَن لا يكفر بأهله وبكل شيء له، ويكفر بنفسه أيضاَ لا يقدر ان يكون لي تلميذاً». لقد قال هذا لكيلا يتأذى عقل الإنسان من شيء، لا بالنظر ولا بالسمع. لان الرب ربط عقولنا برجائه فقط، واجتذب إليه كل أفكارنا، وربط به كل اهتمام أفكارنا، وذلك بالانحلال من الكل، لكي ما يجتذبنا الشوق إلى الحديث معه بدوام الاهتمام به وحده.

📖 إن الله لا يتخلى عنا، بسبب حركات الفكر إلا إذا دُمنا فيها. فهو لا يؤدب الإنسان أو يدينه على الأفكار التي ليست بهوانا.

📖 إن تدبير سيرة الفكر، يتولد من تدبير السيرة الخارجية.

📖 لا تثبت مع أي فكرٍ كان، ولو بدا نزراً حقيراً {حتى من الأفكار المحايدة}، لئلا تتأسس فيك عوائده، واضطرار العادة يجعلك عبداً لذلك الألم. والعقل لا يتحرك بالأسرار المخفية خلواً من سلامة الأفكار.

📖 كما إن اضطراب الأفكار، يتولد من نهم البطن، هكذا الجهل وحيرة العقل، يتولدان من كثرة الكلام، والمحادثات التي ليست على نظام.

📖 التعب الجسداني بغير طهارة العقل، يكون كرحم عاقر وأثداء يابسة، لأنه لا يقدر أن يُدني من معرفة الله. فهو إنما يُوعِك الجسم ولا ينفع، لان الذين يتعبون على هذا النمط، لا يهتمون بقلع جذور الآلام من فكرهم، ولهذا فهم لا يحصدون شيئاً.

📖 كطائر صغير لا جناح له، هكذا هو العقل، الذي انفكَّ حديثاً من مشابكة الآلام، بأعمال التوبة، فهو يجتهد في وقت الصلاة، ان يعلو عن الأرضيات فلا يقدر، بل هو بعد يَسفُّ على وجه الأرض، لأنه لا يتمكن من الطيران.

📖 إلا انه {العقل} إذا ما جمع أفكاره، بالقراءة والأعمال والخوف والاهتمام بأعمال الفضيلة ... فإنها تصونه من الدنس، وتنقي الضمير زمانا يسيراً، وبعد ذلك تأتي التذكارات أيضاً، وتزعج القلب وتدنسه، ذلك لأنه لم يحس بعد بجو الحرية الهادئ، الذي يجمع العقل في هدوء وسكون دون تذكار الأمور زمانا طويلاً.

📖 **سؤال**: بأي رباط يُربط القلب حتى لا يبادر إلى الشرور؟

📖 **جواب**: بان يتبع دائماً الحكمة، ويُقبل بشَرَهٍ على تعليم الحياة، لأنه لا يوجد رباط آخر لاضطراب الفكر أقوى من هذا.

📖 كل وقت تحصل لك فيه مفاوضة مع متوحد عمَّال عارف، تكلم معه بغير شبع عن نقاوة القلب التي منها وبها وعد سيدنا أن يعاين الإنسان الله كقوله: «طوبى للنقية قلوبهم لأنهم ينظرون الله».

📖 فإن كنت بالحق تحب الله، ليكن اشتياقك لنقاوة القلب أكثر من كل شيء، وإليها صوِّب كل قصدك وغرضك وسيرتك، واسأل وأقرأ وتعلَّم ما هي نقاوة القلب ومن أي شيء تُقتنى.

📖 كل صلاح يتحرك بالعقل في الطبيعة الناطقة، يتحرك القلب به من الله أولاً، ومنه يقوى على الثبات في الصلاح بالفكر الذي ينتبه في القلب بحرارة، وبعد ذلك تُعين حركة الصلاح التي في الطبيعة اهتمام الإرادة الحرة.

📖 فيلسوف قال: «لا ينبغي للإنسان محب السكون أن يصمت ويهدأ فقط، بل وليصنع جهاداً مع أفكاره ويقمع آلامه، وهكذا سريعاً يبلغ إلى نقاوة القلب، ويكون مسكناً للحكمة».

📖 كل أمر يكون الإنسان متفكراً فيه، واهتمامه متحرك به، فهو بالضرورة ينفعل بقوة هذا الشيء، وإليه يميل، وتتصاعد في قلبه كل ساعة أشكال تشبهه، كذلك أفعال النهار وأنواع تصرفه، فإن الفكر في النوم يتخيل أحلاماً تناسبها، فإن كنت متفاوضاً بالله، فإن همه يحرك ضميرك، وإن التفتَّ إلى الشهوة ارتسم تصورها فيك.

📖 فلو أنك أخفيت في ثيابك روائح ذكية، فإن رائحتها تفوح في أنفك من غير أن تشاء، وإذا حملت سمكة نتنة في ردائك فرائحة نتنها تفوح لك، كما أنه إذا دخل إنسان بيت الطيب، فإنه ولو لم يشترِ منه تلصق الرائحة بثيابه.

📖 فلاح الحقل الناطق {العقل} هو الله وزرعه هو الأفكار الفاضلة الحارة المتحركة بضميرنا في كل وقت، وزوان الإنسان العدو هو الأفكار الرديئة التي يبذرها وسط الحنطة {في} زريعة صاحب الحقل الجيدة، أما أنت فاقلع الزوان واحفظ الحنطة ونَمِّها لتكون غذاء حلواً للنفس.

📖 فإذا خلص العقل حواس النفس من أهواء الجسد وأجتاز بِها البحر، فإن عمود نار اللاهوت يفصل النفس عن أهواء الجسد، حينئذٍ إذا رأى الله أن الأوجاع تتجبر وتثقل على النفس لترد حواسها إلى الخطية، وأن العقل يداوم على الحديث مع الله في الخفاء بلا فتور، يرسل له الله معونته، ويبطلها كلها دفعة واحدة، بحسب المكتوب: "وقال الله لموسى مالك تصرخ إليَّ؟ قل لبني إسرائيل أن يستعدوا، وخذ أنت العصا التي في يدك ومدها على ماء البحر فيجف".

🕮 أمين هو اللـه حتى يمد يده اليوم أيضاَ لموسى {العقل} حتـى يخلـص إسرائيل {النفس} من أيدي المصريين أي مـن أهـواء الجسد التـي تلـذّ لنـا، لكـي نصـير نحـن أيضـاَ أهـلاً لأن ننشد ترنيمـة جديـدة ونقـول: "سبحوا الرب لأنه بالمجد قد تمجد".

🕮 حزن القلب يفي بكل عمل جسداني.

🕮 عمل القلب هو رباط للأعضاء الخارجية، والإنسان الذي يتمم عمل القلب بتمييز حسب مثـال الآبـاء الـذين تقدمونا، يُعـرف بالتأكيد من تصرفاته في الأمور الخارجية: كونه ليس بمرتبط بربح جسداني ولا بمحب لنهم البطن، وأن الغضب بعيد عنه كليةً.

🕮 لأنه إذا وُجدت هذه الثلاثة فـي إنسـان: أي شـهوة الـربح الجسداني بالقليل أو الكثير، وحدّة الغضب بسهولة، والانغلاب من نهـم البطن، ولو بدا ذلك الإنسان كأنه يشبه القديسين القدماء، فاعلم أن انحلاله في هذه الأمور الخارجية هو من قلة صبره في الجهاد الداخلي.

🕮 الفكر الذي يفحص دائماً ضعف وعجـز قريبـه، و {يـدعي انـه} يُقـوِّم آخرين لا يدرك النقاوة. والفكر الذي يبكِّـت ذاتـه دائمـاً علـى رذائلـه، ويطلـب فـي نفسـه {ما يـراه من} صـالحات قريبـه، هـو سـاكن بسـلام الضمير.

🕮 الفكر الذي يتنبأ دائماً بالمزمعـات، وضـميره مائـل لمرضـاة النـاس ويتغير مع الضمائر لكي يُظن به أنه بار وحكيم ومحب لكثيرين، هـو عبدٌ لمحبة المديح والكرامـة. وهـذا لا يؤهَّـل لحريـة الفكـر ولا لنظـر ضميره {نقيا}، ولو أنه يتعب كثيراً إلا أنه لا يقوم لهدف الحق.

🕮 الفكر الذي على الدوام يُـلام مـن نيتـه وينـدم ويُغيِّـر ويغصـب ذاتـه ويعدِّل زلاَّته، يؤهل للحرية وينعتق من الطياشة. أما الفكر الذي يُـلام من نيته دائماً ويُسوِّف ويدوسها ويتركها بلا تقويم،

📖 وإن كانت عناية الله في وقتٍ تنبهه للتوبة، وفي وقتٍ آخر تؤدبه، وفي وقتٍ تقمعه وفي وقتٍ تكرّمه، وفي وقتٍ آخر ترذله وتحزنه بالعوارض والأمراض والخسارات، وتجذبه بالرحمة للتقويم.

📖 ومع ذلك يظل هو مزدرياً متهاوناً بطالاً، ويحتقر هذه الانفعالات، ويتغافل عن نخز النية، هذا ترتفع منه النعمة بغتة، ويقع بيد العدالة لتقويمه، ولن يفلت حتى يوفي الفلس الأخير، أعني الذنوب التي صنعها دون أن يذكر الآخرة.

📖 الفكر الذي من الظنون {السيئة} ومن تردد الأفكار ومن الأخبار والحكايات: أن هكذا هو فلان، وهكذا قال فلان، والذي يحب سماع الأمور الغريبة ويتلهف إلى الأخبار التي من بعيد، ويعثر بهذه جميعها ولا يقمع ذاته، بل بالعكس يتجاسر، هذا لا ينعتق من الغيرة والسجس وتكدّر الضمير، ولا يؤهل للطهارة ولا لنياح الأفكار. لأن محب المفاوضات والطياشة ليس له طب إلا القمع بالتغصب والقسر.

📖 الفكر الذي ليس من الطبع بل من الأعمال الاختيارية يغصب ذاته في كل الأمور التي تخصه، هذا قلبه قد قرب من ميناء السلام، إن حرص مع تلك {الأعمال} أن يقتني الأمور الأخرى الواجبة.

ميامر مار إسحق السرياني - الجزء الرابع - صفحة ١٥ ـ ١٦

📖 **٣٩ ـ** طهارة الصلاة هي: "إسكات مفاوضة الأفكار الجسدانية، وتحريك ما يخص النفس". هكذا أيضاً نقاوة القلب هي: "حسُّ الضمير الذي بلا اجتهاد، ومن غير الإرادة، قد اقتنى اختلاجاً دائماً بالخفيات، فلا تعود ترتسم في العقل تذكارات أمور الجسد".

ميامر مار إسحق السرياني - الجزء الرابع - {٣} رؤوس المعرفة - صفحة ٦٦

📖 **٣٩ـ** إذا ما استحق الذهن لقليل، أو كثير، {لتجديد} تقانته الأولى، عند ذلك تبطل عنه التخيُّلات، وتتخلف الأفكار مع اختلاج الحركات الداخلة. وفي وقت الصلاة يتكلل العقل بإكليل متضاعف بالنور

والمجد، وذلك حسب مقدار هدوء تقانته في بلد السلامة، ويرجع إلى موضعه.

📖 ٤٠ـ تقانة العقل تُقام من الطهارة، والنقاوة، وعفة النفس الهادئة، ومن تواضع القلب، والحب الغزير، ومن النعمة التي تُقدس، وتهدي طاهري القلوب.

📖 ٤١ـ العقل الذي تأسَّس فيه الحب الإلهي، واستحق بالنعمة لمعرفة الحق، ليس يهدأ من الهذيذ الروحاني بالأسرار بالله

📖 فهو في وقتٍ يهدس بعناية الله الملازمة لكل الموجودات

📖 وفي وقتٍ آخر يتفرس في سياسة مراحمه في كل الأجيال

📖 وفي وقتٍ ينظر في حكمة خلقته الكثيرة الأنواع.

📖 ثم يرجع أيضاً {ليتأمل} تضاعف تقانة نفسه، ويتعجب من اتحاد النفس بالجسد، ومن الأسرار المخفية فيه، ومن التاؤريات التي تظهر فيه فوق الطبع، وكيف هو هكذا شريف، ومُمجد، ومهان، ومرذول، متعالٍ عن الفساد، ونجس مسجون في الفساد بالميالة {من جهة إلى أخرى}، بآن واحد.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ رؤوس المعرفة ـ الميمر الأول ـ صفحة ٨٥ ـ ٨٦

📖 ٦ـ بيت قدس الأقداس الداخلي الذي للقلب، هو مسكن المسيح منذ العماد، ولن ينفتح إلا بكلية الرجاء به، هذا إن لم يدخل من داخل حجاب بابه، شيء من اختلاجات حركات النفس ألبته، بل هو العقل العاري المتكمل بنور طبيعته، وقد لبس الإيمان، والرجاء، والحب الحقيقي.

📖 ٧ـ منذ أن خالف آدم الوصية إلى حين جاء المسيح لم يوجد مَنْ فَتَحَ هذا الباب الداخلي الذي للقلب، بل ربنا المسيح، بكمال طاعته لأبيه، فتحه بالروح، وسكن فيه.

📖 ٨ـ كل مَن قد اعتمد بالروح، عندما يتعرَّى الإنسان الآلمي العتيق، مع جميع تقلبات الجسد وشهواته، ويلبس المسيح بالكلية بحفظ وصاياه، بنور الإيمان والرجاء به، يؤهَّل عقله أن يدخل وينظر وجه المسيح بدالة، ووجه مكشوف.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ رؤوس المعرفة ـ الميمر الثالث ـ صفحة ١١٨

📖 ٢٧ـ الينبوع الذي يسعد من جري السيول، عندما تبطل السيول ينشف نبعه، والقلب الذي يستغني من التصور، الذي يكون من غير الهذيذ العقلي الدائم، ومن أعمال القلب، مع سكون اللسان، تبطل فرحته.

📖 ٢٨ـ سعيدة هي الأرض التي ينبع منها الذهب والفضة والفصوص الكريمة، وأسعد منها هو القلب الغني بالحب، والهدوء والسلام والفرح.

📖 ٢٩ـ غِنى النفس المباركة، هو نبات صالح ينمو من القلب بالنعمة.

📖 ٣٠ـ كل غِنى يكون من الخارج، وهو محدود من القلب، هو تحت الخوف والخطر. وكل فرح من خارج النفس هو تخيلات.

📖 وكل ذِكرٍ يكون خارجاً عن العالم الجديد، هو ضلالة أحلام.

📖 ٣١ـ طوبى للنفس الساكنة بالكلِّية، وقد ذاقت في داخلها شهد نمو نبات القلب {أي زهرة القلب النيرة}.

📖 ٣٣ـ ينبوع نور هو: القلب الذي سالم كل إنسان، واصطلح مع الكل، ومع ذاته. شمس جديدة تشرق في قلب النفس التي ليس فيها شر، وهي تُفرح جميع الناس بالسوية.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ رؤوس المعرفة ـ الميمر الثالث ـ صفحة ١٢١ ـ ١٢٢

١٤ـ إن كانت سكَّة تنقلع بسكَّةٍ، وعادةٌ بعادةٍ، فمعلوم أيضاَ أن فكراً ينقلع بفكرٍ. وتنقلع {طياشة الأفكار} بسكين تدبير السيرة.

أي: بالاتضاع، والصبر، والنسك، والسهر، والميتوتة من العالم، ومداومة الصلوات التي تقويها، وتثبِّتها قراءة الكتب على الدوام، والهذيذ بالفضائل.

١٥ـ يا من تطلب الهروب من الاضطراب الخارجي، احترس من اضطراب تقلُّب الأفكار بداخلك.

لأن الاضطراب الحاصل من تقلُّب الأفكار الداخلية، النابعة في القلب، والتي تختلج قبالة الضمائر هو أصعب جداً، وأشر وأقسى من الاضطراب الخارجي، الذي يصادف الحواس ويكدر القلب.

ميامر مار إسحق السرياني - الجزء الرابع - رؤوس المعرفة - الميمر الخامس - صفحة ١٥٩

٨٦ـ أرض القلب المفلَّحة، المسمَّدة بمخافة الله.

والمحروثة أولاً وثانياً بهذيذ الكلام الإلهي.

والعطشانة المتلهفة لشرب كلمة الحياة.

عندما يُزرع فيها العلم الروحاني، وتسقيها كلمة النور، تختلج بغتةً بالإيمان مقابل كلمة الحياة التي تثمر، بدل الواحد ثلاثين وستين ومئة.

٨٧ـ أرض القلب القاسية، ولو أن تُفلِّحها وتُسمِّدها، فإنها لا تنتبه قبالة البذار، وسقي كلمة الحياة. ويعوم عليها كلام النور والحياة، مثل الماء على الصفا {على الصخرة}، فتبقى بلا ثمر بسبب الصفا الصماء المتسعة كالقول السيدي.

ميامر مار إسحق السرياني - الجزء الرابع - رؤوس المعرفة - الميمر الخامس - صفحة ١٧٧



📖 ١ــ التجديد العقلي للقديسين، هو تاج العقل، والفهم الذي اقتنى شركة مع الله من خلال استعلان أسراره المجيدة، أما التجديد الشامل للكون فهو القيامة العامة للكل.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ رؤوس المعرفة ـ الميمر السادس ـ صفحة ٢٠٠

📖 ١٨ــ سكون العقل يتولد من فعل النعمة، وهو لا يختلف كثيراً عن حلاوة النوم، عندما تكون النفس غير بعيدة عن المعرفة التي تعمل بغير معرفة.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ رؤوس المعرفة ـ الميمر السادس ـ صفحة ٢٠٤

📖 ٥- الحاجة إلى قلب شجاع:

📖 يحتاج الإنسان أيضاً إلى قلب شجاع حتى لا تصغر نفسه وسط غيارات أنواع القتالات التي تعرض له لأجل اختباره، ولكي ما تنمو معرفته. لأنه من الضروري أن يكون الإنسان حكيماً في معرفة اليمينيات واليساريات، لأن بولس الرسول يراه جيداً أن «يكون الإنسان متأهِّباً لكل عمل صالح» {٢تي ٣: ١٧}.

📖 وهذا يأتي من التدرُّب على المثابرة. كذلك يقول: «فاشترك أنت في احتمال المشقات كجندي صالح ليسوع المسيح» {٢تي ٢: ٧}.

📖 ولا يستطيع أحد أن يغلب في الحرب بغير الحكمة، ولا أحد يقتني الحكمة بغير قتال، كقول أوغريس: "بقدر ما تتقدَّم النفس في الفضيلة بقدر ما يحيط بها المضادون الأشداء".

📖 أما النفس التي لا تواجهها أية حروب فهي تُحرم من الفضيلة، لأن الفضيلة تتخذ اسمها من هذا الأمر عينه: أنها قد صارت مشرقة وتأهَّلت لنوال الإكليل كنتيجة للتجارب المتنوعة التي أتت عليها.

ميامر مار إسحق ـ الجزء الخامس ـ الميمر الأول ـ صفحة١١ ـ ١٢

📖 "كرس نفسك لله تعش مرتاح الفكر".

📖 "لا تقدر النفس أن تتحرر من تشوش الأفكار بغير اللاقنية".

"اقتناء الأسرار الخفية يتم بصفاء الأفكار".

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الخامسة ـ صفحة ٣٤



في تطهير الجسد والنفس والذهن

تنقية الجسد تعني: تطهيره من الأدناس الجسدية.

وتنقية النفس هي: التحرر من الأهواء الخفية الكامنة في الذهن.

أما تنقية الذهن: فتكمن في إعلان الأسرار، حيث يتنقى من كل ما يقع تحت الحس بطريقة هيوليه (مادية).

فالأولاد رغم أنهم أنقياء بالجسد، وخالون من الهوى بالنفس، ليسوا أنقياء بالذهن. لأن طهارة الذهن هي الاستمرار التام في المشاهدة السماوية، التي تعمل خارج الحواس بتأثير القوة الروحية، لذلك العالم السماوي المجمّل بالعجائب المدهشة التي لا تحصى، والتي تقوم بخدمتها اللامنظورة القوات العقلية، داخل الإعلانات الإلهية المستمرة، والمتغيرة، بصورة دائمة.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة السابعة عشرة ـ صفحة ٦٧



في حفظ الذكريات

وإذا كان ذكر الصالحات يجدد فينا الفضيلة، فإن تذكر الفجور يجدد في أذهاننا الشهوة العاطلة. وتذكرُ هذه الأمور يُظهر تباينها، وميزتها، ويرسم في أفكارنا صورة واضحة تدلنا، إما على رداءة تفكيرنا، أو على سمو سيرتنا.

وتقوي فينا الأفكار، والحركات، التي من اليمين، أو من اليسار، والتي يتأمل ذهننا بها في الخفاء. وبهذا التأمل تظهر ميزة سيرتنا أمام أعيننا على الدوام. وهذا ضروري.

ليس العمل الباطل فقط هو الذي يؤذي صاحبه، بل التأمل به أيضاً، ثم التذكر الذي يكمل الاثنين. وليس عمل الفضيلة فقط هو الذي

يساعد القائم به، بل الخيال الذي يرتسم في الذهن أيضاً، ثم تذكر الأشخاص القائمين بعمل الفضيلة.

📖 إننا نعلم أن معظم الذين وصلوا إلى مرتبة الطهارة، يؤهلون دوماً لمشاهدة بعض القديسين في رؤى ليلية. تكون لهم في النهار، وفي كل وقت مادة فرح دائم. فانطباعها في نفوسهم، يولّد فيهم التأمل العقلي، فيندفعون نحو عمل الفضائل بحرارة، وشوق شديد.

📖 ويقال بأن الملائكة المكرمين، يتخذون أشكال بعض القديسين المشرفين الصالحين، ثم يظهرونها للنفس في الأحلام لكي يفرحوها، ويبهجوها، ويعتنوا بها. أما في النهار فإنهم يحركون الأفكار لمشاهدتها بصورة مستمرة، فيسهل عليها العمل بسبب فرح القديسين.

📖 وهكذا هي الحال في الحروب، فمن اعتاد التأمل بالسيئات، تريه الشياطين ما قد اعتاد عليه. فهي تتخذ شكلاً، وتري النفس خيالات مفزعة، تأخذها من ذكريات النهار، لكي تضعفها بهذه الرؤى المرعبة، وتريها صعوبة حياة السكينة، والوحدة.

📖 أما نحن أيها الإخوة، فلننتبه للذكريات حتى نعرف حالة النفس.

📖 وعلينا أن ندرك ونميز تأملات ذكرياتنا، لنعرف مع أي منها يجب أن نتحاور، وأياً منها يجب طرده حال اقترابه من عقولنا.

📖 كما علينا أن نميز هذه الذكريات، لنعرف إذا كانت من الشياطين، التي توقد الأهواء بالمادة الناجمة عن الشهوة، أو الغضب.

📖 أو أنها صادرة عن الملائكة القديسين، الذين يمنحونا علامة الفرح، والمعرفة. والذكريات التي توقظ الحس عند اقترابهم منا. أو أنها ذكريات ناجمة عن حس الخطايا السالفة، التي تولد في النفس أفكاراً

تميل بها إلى إحدى الجهتين (اليمين واليسار). وهكذا نكتسب خبرة هذين الأمرين: "المشاهدة والعمل" ونخصص صلاة لكل منها.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثالثة والثلاثون ـ صفحة ١٢٩ ـ ١٣٠

🕮 لا تجادل الأفكار التي يزرعها العدو فينا عادة، واقطع حديثك معها، متضرعاً إلى الله، ينل ذهنك حكمة من النعمة.

🕮 إن من يعرف هذه الحقيقة، ينقذ نفسه من مشاق كثيرة، وبإيجاده هذا السبيل القصير، يقطع عنه كل تشتت في الطريق الطويل.

🕮 إننا لا نقدر أن نجادل الأفكار التي تحاربنا، وكثيراً ما تصيبنا بجراح يصعب شفاؤها في زمن قصير. فالذي يستعد لمجابهة الشياطين، التي تحاربنا منذ ستة آلاف سنة (أي منذ سقوط البشر)، بالحجج، يعرض ذاته لضرباتها بما يفوق حكمته، وفطنته بكثير.

🕮 فهو وإن غلبها، لن ينجو من تدنس ذهنه بقذارتها، وروائحتها الكريهة، التي ستظل في أنفه زمناً طويلاً. فالأفضل لك أن تقتني الخوف دائماً، وتتحرر منها بالطريقة التي ذكرتها، فلا معين في مثل هذه الأحوال سوى الله وحده.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثالثة والثلاثون ـ صفحة ١٣١

🕮 إذا تسرب إليك فكر سيء، وراودك باستمرار، سواء كان في أمر بعيد عنك، أم خاص بك، فاعلم أن ثمة فخاً ينصب لك. لكن تيقظ وتروَ، في تلك اللحظة.

🕮 فإن كان من الأفكار الصالحة التي من جهة اليمين، فاعلم أن الله يريد أن يهبك طريقاً للحياة، ولهذا يتحرك فيك هذا الفكر بخلاف العادة.

🕮 أما إذا كان فكراً مظلماً، ولم تقدر أن تميّز إذا كان نابعاً منك، أو أنه تسرب إليك كاللص. ولم تعرف إذا كان {صالحاً} مساعداً، أو

محتالاً يتراءى بمظهر صالح. فتأهب له بصلاة طويلة حارة في سهرات كثيرة. لا تطرده، ولا تقبله، بل صلي من أجله بجد وحرارة، ولا تكل من الابتهال إلى الرب، فهو يُظهر لك مصدره.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الرابعة والثلاثون ـ صفحة ١٣٥

في معرفة الإنسان لقامته الروحية من خلال أفكاره

🕮 يظل الإنسان خائفاً من الموت، ما دام يعيش في الفتور.

🕮 ويخاف من الدينونة، عندما يقترب من الله.

🕮 وإذ يبلغ إليه، تبتلع المحبة الكاملة الخوف، والموت معاً.

🕮 كيف يحصل ذلك؟! إن الإنسان يرتعب من الموت، عندما يرتكز على المعرفة، والحياة الجسديتين. أما إذا بلغ المعرفة الروحية {العملية}، والسيرة الصالحة، فإن ذكر الدينونة الآتية يراود ذهنه كل لحظة، مما يدل على أن طبيعته قد اصطلحت، وأنه أخذ يتحرك على صعيد روحي، ويفكر بحسب معرفته، وسيرته، وأن اقترابه من الله قد أصبح حثيثاً.

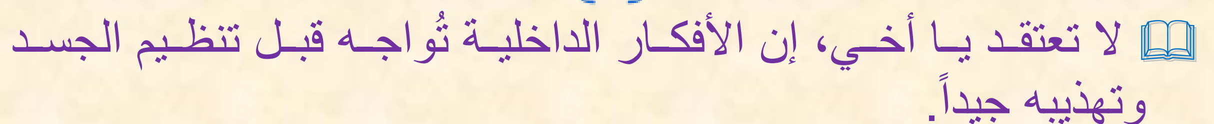
🕮 فإذا بلغ معرفة الحق - التي تتم بحس الأسرار الإلهية، وبثبات رجاء المستقبلات، تبتلع المحبة خوفه الجسدي، ويصبح شبيهاً بالحيوان الذي لا يخاف الذبح. الإنسان يخاف الدينونة، أما الذي يصبح ابناً فإنه يتهذب بالمحبة، وليس بالعصى المخيفة: "وأما أنا وبيتي فنعبد الرب" (يش ٢٤: ١٥).

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الخامسة والثلاثون ـ صفحة ١٤٨

🕮 الأتعاب الجسدية {الصيام والسهر ... إلخ}، بدون نقاوة الذهن، تشبه آلام العاقر، أو الصدر الجاف، ولا يمكنها أن تقترب من معرفة الله.

🕮 فهي تضنك الجسد {بالأتعاب}، لكنها لا تهتم باستئصال الأهواء من الذهن، فلا تحصد شيئاً. كالذي رمى البذار على الأشواك.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة السادسة والخمسون ـ صفحة ٢٠٠



📖 لا تعتقد يا أخي، إن الأفكار الداخلية تُواجه قبل تنظيم الجسد وتهذيبه جيداً.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة التاسعة والخمسون ـ صفحة ٢١٣

📖 "إن حزن الذهن، يغنينا عن كل عمل جسدي".

📖 يقول القديس غريغوريوس: "إن المتحد بالله، والمتأمل بدينونته على الدوام، هو هيكل للنعمة. وما الإتحاد بالله، والتأمل بالدينونة، سوى البحث عن الراحة الأبدية، والحزن الدائم، والهم الناتج عن عدم بلوغنا الكمال بسبب ضعف طبيعتنا؟

📖 وقد وصف باسيليوس المغبوط الحزن، والهم المستمرين، بأنها دليل احتفاظ النفس الدائم بذكر الله.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة التاسعة والخمسون ـ صفحة ٢١٦

{٢}

القديس الأنبا برصنوفيوس

📖 أما أمساك العقل والقلب فهو أن يكون متيقظا، لا تتهاون بأفكارك وإذا قاتلك العدو بالفكر فلا تلتفت إلى قتاله لأنه يريد بذلك أن يشغلك عن مخاطبة الله، وكل شيء تعمله من أمورك ليكن بلا طياشة وحرص من أجل الله.

📖 **سؤال:** كيف يمكن للإنسان أن يفتش أفكاره لينجو من السوء؟

📖 **الجواب:** تفتيش الأفكار هو هكذا: إذ أتاك فكر تأمل كنهه، ولكي أقرب إليك المعني مثلاً إذا اتفق وشتمك إنسان، وأتاك الفكر أن ترد عليه قل لفكرك، إذا رددت عليه أحزنته، وأعثرته، فلأصبر أنا قليلاً، والأمر يجوز بسلام.

كذلك إن وجدت على إنسان، أو في داخلك فكر بالشر، فقل: "أن الذي يفكر بالشر يعاقبه الله، وللحال يكف عنك ذلك الرديء".

في الوقت الذي يعرض لك فيه الفكر، فتشه وأقطعه عنك.

إذا حركك فكر من الشيطان على إنسان، فقل في نفسك بطول روح: إني قد أخضعت ذاتي لله لكي ما أخدم آخرين، فكيف عنك الفكر، وكن دائماً مستقصياً عن أفكارك، ولتبكتها، لأن الذي يبكت أفكاره ويقول إنه خاطئ وهو في فعله ليس خاطئاً فهذا هو غاية الاتضاع، ومن كان متضعاً فإنه لا يغضب، ولا يخاصم، ولا يدين أحداً، ولكنه يري الناس كلهم أخيراً منه، ومن يعلم أنه خاطئ لا يلوم إلا نفسه.

الأنبا برصنوفيوس ـ سيرته وأقواله ـ صفحة ٨٢

ينبغي فحص كل فكر، وكل عمل، لنري ما إذا كان صالحاً أو لا؟ إذ على الإنسان أن يعمل الخير، ويبعد عن الشر.

ولكي نتجنب الاضطراب الذي يصاحب عمل الخير، افحص الفكر المسيطر، والدافع الذي يجعلك تعمله، وعندما تفحص ذاتك بخوف الله، فإن الله لا يتركك تسقط في الخطأ، فلا تنسي أبداً أن تدعو اسم الله. إن أفكار الشيطان، تكون مختلطة بالسبح الباطل، وفيها بلبلة، أما الصلاح الإلهي، فهو ينبع للقلب نور، ويزيد الاتضاع، ويقود للوداعة، وأحرص أن تأخذ مشورة الآباء القديسين.

الأنبا برصنوفيوس ـ سيرته واقواله ـ صفحة ٨٣



مقاومة الأفكار:

أخبرني يا أبي كيف يكون الفكر مأكلاً للسباع؟

الجواب: إن لم يسبق الإنسان إلى لوم نفسه، فإن هو تغافل، جرحته بأنيابها، وأظافرها، فحسن أن تحتاج إلى التوبة، والالتصاق بها،

ويجب عليك إلا تزكي نفسك، والا تقول إنك شيء فتبرأ أوجاعك، ولا تدن آخرين.

📖 **أخبرني يا أبتاه:** ماذا أعمل لأن الأفكار قد اضطربت فيَّ؟

📖 **الجواب:** يا ولدي إن كان الإنسان بطال، فهو يتفرغ لقبول الأفكار التي تأتيه، وإذا كان له عمل يعمله، فلا تفرغ لقبولها.

📖 قم وقت السحر، واطحن قمحك، فتعمل منه خبزاً لغذائك، وذلك قبل أن يسبقك العدو، ويجعل فيها زوان بدل القمح، لأن ربنا يسوع المسيح يقول للرسل "أنتم ملح الأرض" فالأرض يا ابني هي جسدك، فكن أنت له ملحاً تملحه، وجفف نتنه ودوده، أعني أفكارك الرديئة.

الأنبا برصنوفيوس ـ سيرته واقواله ـ صفحة ٨٣

📖 **يا أبي:** كيف أطرد الفكر الرديء؟

📖 **الجواب:** إن وقع الإنسان بيد اللص، إن حرص في قتاله، ولم يتركه، يأخذ منه كل شيء مجيد، وأن عرفه يمضي به إلى الحاكم، ويخبر عنه فينتقم له منه، فإذا الفكر أقتحم عليك، فلا تقلق، بل اعمل طلبة إلى الله بلا سجس، لأنه ليس دخول اللص إلى البيت هو رديء، ولكن إن هو أخذ ما البيت، فإن خرج من البيت بهوان فهذا فخر لصاحب البيت.

📖 **سؤال:** أي شيء أصنع، فإن الأفكار كثيرة تقاتلني، ولست أدري كيف أقاتلها؟

📖 **الجواب:** قال لا تقاتل مقابل الكل دفعة واحدة، ولكن قاتل واحداً.

📖 لأن أفكار الراهب لها رئيس، فاجعل بالك إلى رئيسها، ونحوه اجعل قتالك، فإذا هزمت ذلك الفكر، فقد انهزمت البقية.

📖 **٨٧ ـ سؤال إلى الشيخ {برصنوفيوس} نفسه:**

📖 كيف ينبغي أن يفتش الإنسان أفكاره؟

📖 وكيف يفلت من السَبْية {أي العبودية لأي شيء}؟
📖 **الجواب**: تفتيش الأفكار يكون هكذا:
📖 إذا جاءك فكرٌ فانتبه إلى ما يتولّد منه، وأنا أضرب لك مثلاً لذلك:
📖 أنت تفكِّر في أنّ شخصًا ما لعنك، ثم يزعجك فكرك بأن تردّ عليه، حينئذٍ قُلْ لفكرك: إن رددتُ عليه أغظتُه، وأحزنتُه مني، فأنا أحتمل قليلاً والأمر يجوز.
📖 ولكن إن لم يكن فكرك تجاه إنسان، بل إنه في داخلك يفكِّر بالشر، فيجب أن تفتشه وتقول له: إلى أين يقود فكر الشر؟ فيُخبرك الفكر الذي من الله، أنّ فكر الشر يقود إلى جهنم، وهو لساعته يكفُّ عنك، وهكذا تفعل في سائر الأفكار.

📖 ولكن بمجرد أن يُعرَض عليك الفكر فتِّشه، واقطعه عنك.
📖 أما بخصوص السَبْية، فهي تحتاج إلى تيقُّظٍ كثير، فكما قال الآباء: "إن وجدتَ عقلك يفكِّر في الزنى، فتعالَ به إلى القداسة، وإن وجدته منجذبًا إلى الحنجرة، فاجذبه إلى الزهد، وإن وجدتَه يفكر في البغضة، فاجذبه إلى الحب"، وهكذا في كل ما يشابه ذلك.
📖 ولا تحزن، لأنك مزمعٌ أن تجد رحمةً بناءً على ما لك من المواعيد، لأننا «إن عشنا فللرب نعيش، وإن مُتنا فللرب نموت.» {رو ١٤: ٨}.

أقوال القديس برصنوفيوس - كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - صفحة ٣٣٩ - ٣٤٠

📖 **سؤال {للأب برصنوفيوس}:**
📖 "كيف يمكنني أن أجيب أفكاري، وليست لدي قوة؟"
📖 **الجواب:**
📖 "لأنك تدين أخاك، لهذا تنقطع قوة الروح القدس، فتعثر بأخيك وأنت سبب العثرة، إن كنت متأكداً إن الله حاضر، وناظر لكل شيء، فلم تبغض أخاك.

"أوضح لله أفكارك، وقل إن الله يعرف ما فيه الخير، وبذلك تستريح، وشيئاً فشيئاً تأتيك قوة تستطيع بها أن تحتمل كل ما يأتيك.

كل من لا يحتمل الشتيمة، فلن يبصر التسبحة. وكل من لا يترك الغضب فلن يذوق الحلاوة، فأحرص بكل قوتك على أن تكون غريباً عن الغضب. ولتكن قدوة ومثالا لمنفعة الكل، ولا تدن أحداً، كما لا تحكم على أحد".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٩٣



سؤال:

"كيف يمكن للإنسان أن يفتش أفكاره، لينجو من السوء؟".

الجواب:

"تفتيش الأفكار هو هكذا: "إذا أتاك فكر تأمل كنهه".

ولكي أقرب لك المعني، أسوق إليك مثلاً: إذا أتفق وشتمك إنسان، وأتاك الفكر أن ترد عليه، قل لفكرك: "إن أنا رددت عليه أحزنته، وأعثرته. فلأصبر أنا قليلاً والأمر يجوز بسلام".

كذلك إن كنت واجداً على إنسان، أو في داخلك فكر بالشر من ناحية إنسان، فقل ما يأتي: "إن الذي يفكر في الشر يعاقبه الله" للحال يكف عنك الفكر الرادي، وفي الوقت الذي يعرض لك فيه الفكر، فتشه وأقطعه عنك.

أما بخصوص الشهوة: فإنها تحتاج انتباها كثيراً، كما قال الآباء: "إن أنت وجدت عقلك محارباً في الزني، فتعال به إلى القدسية. وإن حورب في الحنجرة، فتعال به إلى الإمساك. وإن حوربت في البغضة، تعال به إلى المحبة". وبذلك تصبح على الدوام في يقظه، وحذر، ونجاة".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٩٣



📖 **قال الأب برصنوفيوس:**

📖 "إذا ما حركك فكر من الشيطان على إنسان، فقل في نفسك بطول روح: "إني قد أخضعت ذاتي لله لكيما اخدم آخرين، فيكف عنك الفكر. وكن دائماً مستقصياً عن أفكارك، ولتبكتها، لأن الذي يبكت أفكاره، ويقول إنه خاطئ، وهو في فعله ليس خاطئاً، فهذا هو غاية الاتضاع. ومن كان متضعاً، فإنه لا يغضب، ولا يدين أحداً، ولكنه يري الناس كلهن أخيراً منه. ومن يعلم أنه خاطئ لا يلوم إلا نفسه، ولا يعتل به".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٣٩٣ - ٣٩٤



📖 **سؤال {للقديس برصنوفيوس}:**

📖 "أخبرني يا أبي: كيف يكون الفكر مأكلا للسباع؟

📖 **الجواب:** "يصير الفكر مأكلا للسباع، إذا لم يسبق الإنسان إلى لوم نفسه، فإن هو تغافل جرحته بأنيابها، وأظافرها.

📖 فحسن أن تحتاج إلى الالتصاق بالتوبة، ويجب عليك ألا تزكي نفسك، وألا تقول إنك شيء، فتبرأ أوجاعك. ولا تدين الأخرين.

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٣٩٥ - ٣٩٦



📖 **سؤال {للقديس برصنوفيوس}:**

📖 "أخبرني يا أبتاه ماذا أعمل، لآن الأفكار قد اضطربت فيَّ جداً؟

📖 **الجواب:**

📖 "يا ولدي: إن كان الإنسان بطالاً، فإنه يتفرغ لقبول الأفكار التي تأتيه، وإذا كان له عمل يعمله، فلا يتفرغ لقبولها.

📖 قم وقت السحر، وامسك الطاحون وأطحن قمحك، فتعمل منه خبزاً لغذائك، وذلك قبل إن يسبقك العدو ويجعل عليها رملاً. وأسرع فاكتب لوحك، واحفظ الوجه الآخر، لآن ربنا يقول للرسول: "أنتم ملح الأرض"، فالأرض يا أبني هي جسدك، فكن أنت له ملحاً تملحه، وجفف ناموسه ودوده، وأعني أفكارك الرديئة".



{٣}
الأنبا إشعياء الإسقيطي

احرسوا قلوبكم مقابل كل الأفكار الغريبة، كي لا ينشغل القلب بأي إنسان، أو بأي عمل من أعمال هذا العالم، بل داوموا فحص ذواتكم لتعلموا فيما تعثرون.

ثلاث فضائل تحفظ العقل دائماً وهو محتاج إليها، الحمية الطبيعية، والشجاعة، والعزيمة. فليكن قلبك صاحياً مقابل الأفكار فتخف عنك، أما الذي يفزع منها فتجعله ينحلَّ تحت ثقلها، من يخاف ويجبن من أمثال الشياطين، يدل على عدم إيمانه بالله، أما الذي يطرح نفسه أمام يسوع بكل قلبه، فهو يثبت مقابلهم.

هناك صراع قلبي خفي، بالتعب والمشقة مقابل الفكر الذي يضغطك، لكي تصد سهمه كي لا يجرح قلبك، ويصير من الصعب عليك أن تداويه، إذا لم تدقق في أن تضع كل يوم خطاياك أمامك.

قال أيضاً عن أبا سيرابيون: إن أحد الشيوخ سأله قائلاً: من أجل المحبة قل لي كيف ترى نفسك؟ فأجاب: أشبه إنساناً قائماً فوق برج يتطلع إلى الخارج ويشير إلى المارَّة {الأفكار} إلا يقتربوا منه، فقال الشيخ الذي سأله: أما أنا فأرى نفسي وكأنما أقمت سوراً بابه مدعم بمزلاج من حديد لكي إذا قرع عليه أحد لا اعرف من هو؟ ولا من أين أتى؟ وما الذي يريده؟ ولا أفتح له حتى يمضي.

يكون فكرك شاخص بالله لكي يحفظك إلا تنظر في استعمال هذا العالم كمثل أن فيه رجاء أو نفع ما، لنستطيع أن نخلص، لأن جميع أمور هذا العالم مصيرك تتركها وتمضي عنهم، والشيء الذي عملته لأجل الله هو الذي تجده للرجاء الصالح في تلك الساعة الصعبة.



قول لأنبا إشعياء
وتفسير تلميذ مار إسحق له

📖 نقول نحن: ما دام الذهن متفق بالمفاوضة مع الشياطين التي بالقلب تتحرك، ليس له. عمل فضائل، ولا جهاد خفي مقابل الخطية، وإنما يعرف الذهن أنه {مجتهد} بالعمل والجهاد، إذا ما طرد وألقى من قلبه كل فكر شرير، وألتفت إلى الصلاة والعمل الروحاني، الذي هو الهم بالله وبتقويم ذاته.

📖 "هؤلاء يعطون النور للذهن على الدوام: وهي إلا يعرف شر أحد من الناس، ولنصنع الصلاح مع الذين يؤذونا، ولنحتمل ونصبر على جميع ما يأتي علينا من الأعداء".

📖 **قوله:** "إلا نعرف شر إنسان".

📖 هي التي قالها داود: "القلب الرديء الذي مع آخرين زيله عني".

📖 وقوله: " نصنع الصلاح مع الذين يؤذونا "، وهي التي قالها سيدنا: "لا تكافئوا شر عوض شر"، "وأحبوا أعدائكم".

📖 وقول: "نصبر على جميع ما يأتي علينا". عنى بِها طول الروح {التي يجب أن} نقتنيها في وقت الحروب والتجارب، أنه بكل نشاط نصبر على جميع ما يحدث لنا، ولا نرتخي وننحل من الحرب، ونَهرب من الجهاد والضوائق، ونستعين بالراحة والرخاوة.

📖 ٤- إذا رأى الله إن فكر الإنسان قد سلم إليه بالتمام، ووضع رجاءه فيه وحده، فسوف يقويه قائلا: «لا تخف يا يعقوب ابني، يا صغيري إسرائيل» {قارن مع. إش. ٤١:١٦}.

📖 و«١- وَالآنَ هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ خَالِقُكَ يَا يَعْقُوبُ وَجَابِلُكَ يَا إِسرائيل: «لاَ تَخَفْ لأَنِّي فَدَيْتُكَ. دَعَوْتُكَ بِاسْمِكَ. أَنْتَ لِي. إِذَا اجْتَزْتَ فِي الْمِيَاهِ فَأَنَا مَعَكَ وَفِي الأَنْهَارِ فَلاَ تَغْمُرُكَ. إِذَا مَشَيْتَ فِي النَّارِ فَلاَ تُلْذَعُ

وَاللَّهِيبُ لاَ يُحْرِقُكَ. لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ قُدُّوسُ إسرائيل مُخَلِّصُكَ. جَعَلْتُ مِصْرَ فِدْيَتَكَ كُوشَ وَسَبَا عِوَضَكَ» {اش.٤٣: ١-٣}.

📖 عندما ينصت الفكر لهذه الكلمات المطمئنة. سوف يقول بجرأة لأعدائه: «من سيحاربني؟ ليقف أمامي. من سيشتكي علي؟ فليقترب الى السيد الرب هو عوني. من يستطيع أن يضرني؟ فليقترب. كلكم كرداء قديم أكلته الفئران» {ق.م. اش.٥٠: ٨-٩}.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ ترجمة وإعداد ـ الراهب أغاثون الأنطوني ـ صفحة ٢٢

📖 ٨- إذا تحرر فكرك من كل رجاء في الأشياء المرئية، فهذه علامة على أن الخطيئة قد ماتت فيك.

📖 إذا تحرر فكرك، زالت الثغرة التي بينه وبين الله.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ ترجمة وإعداد ـ الراهب أغاثون الأنطوني ـ صفحة ٢٢

📖 ١٠- أذا تحرر فكرك من كل أعداءه، وأدرك راحة السبت، سيعيش عمرا آخر، عمرا جديدا. يتأمل الأشياء الجديدة غير الفاسدة، لأنه: «حيثما تكون الجثة، تجتمع النسور» {مت٢٦:٢٨}.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ ترجمة وإعداد ـ الراهب أغاثون الأنطوني ـ صفحة ٢٢

{٤}

الشيخ الروحاني

📖 مخيف للشياطين ومحبوب من الرب وملائكة، الذي بغيرة حادة يذهب {يخرج} من قلبه الزروع التي تنبت من الشرير.

{٥}

القديس يوحنا السلمي

📖 أن الذين يعتزمون الصعود إلى السماء بأجسادهم يلزمهم بالحقيقة اقتسار ذواتهم وتكليفها آلاما متواصلة، لاسيما في بدء زهدهم، إلى أن يتحول خلقنا المحب اللذة وقلبنا ألفاقد الإحساس إلى خلق عفيف ومحب لله نتيجة توبة صادقة،

📖 لأنها في الحقيقة مشقة كبيرة وكبيرة جدا ومرارة لا تحتمل، لاسيما للعائشين منا في التواني والكسل، إلى أن نجعل ذهننا، ذاك الكلب الشغوف بفضلات اللحوم لدى أبواب القصابين، محبا للعفة والمراقبة الذات عن طريق روح البساطة وعدم الغضب بتاتا والاجتهاد.

📖 أما نحن معشر الضعفاء المستعدين للأهواء فلنتشجع ونعترف للمسيح بضعفنا وعجزنا بأيمان غير مرتاب، فنحصل على معونته بالتأكيد أكثر مما تستحق، اللهم إذا تواضعنا باستمرار إلى قعر الاتضاع.

📖 من اعتزل العالم لكي يزيل عنه حمل خطاياه، فليماثلن الجالسين بين المقابر خارج المدينة، ولا يكفن عن سكب الدموع الثخينة وعويل القلب الخفي، حتى يرى يسوع آتيا إليه ومدحرجا عن قلبه حجر القساوة، وحالا لعاذر عقله من جدائل خطاياه، وموعزا إلى خدامه الملائكة بأن يحلوه من أهوائه ويدعوه يمضي إلى اللاهوي المبارك، وإلا فلا يكون قد انتفع من تركه العالم شيئا.

📖 إن القلب كونه روحيا في الأصل، ينطوي على حس روحي، فلا نتوقفن عن طلب استعادة هذا الحس، فانه إذا عاد وظهر فينا، فسيبطل تلقائيا ولا شك تأثير الحواس الخارجية علينا، هذا ما علمه أحد الحكماء فقال: «وستجد فيك حسًا إلهياً».

📖 ليكن سلوكنا في السيرة الرهبانية {حتى لا أقول في المسيرة الملائكة} من كل القلب، سواء في الأعمال، أو الأقوال، أو الأفكار، أو الحركات، وإلا فليست هي سيرة رهبانية.

🕮 رصد الأفكار، غير حفظ القلب {بالعمل الداخلي}، وبمقدار بعد المشرق عن المغرب، يعلو الثاني على الأول، وان كان الأول أوفر تعبا.



{٦}

القديس مكاريوس الكبير

الأفكار النقية هي الأفكار الطبيعية

🕮 **٢٦-** فينبغي إذن أن تطلب، وتسعى للحصول على مصباح منير، لكي تستطيع أن تجد الأفكار النقية.

🕮 فتلك الأفكار هي الأفكار الطبيعية التي صنعها الله.

🕮 فالناس الذين ينشؤون في البحر يتعلمون السباحة، وحينما تثور العواصف وتتلاطم الأمواج، فانهم لا يندهشون منها، وأما أولئك الذين لم يعتادوا هذه الأشياء، فان أتت عليهم زوبعة، ولو ضئيلة، فانهم يرتعبون ويغرقون في البحر.

🕮 وهكذا الأمر أيضاً مع المسيحيين.

🕮 فكما أن عقل الطفل في سن الثالثة لا يستطيع أن يتابع، أو يفهم عقل الرجل البالغ المفكر، بسبب وجود فرق كبير في السن بينهما، هكذا المسيحيون فانهم ينظرون إلى العالم مثل الأطفال، وعيونهم مرفوعة، ومثبتة على قوة النعمة المعطاة لهم. انهم غرباء بالنسبة لهذا العالم، ومدينتهم ومكان راحتهم، ليست في هذا العالم.

🕮 فالمسيحيون لهم عزاء الروح، ودموع، وحزن، وتنهد.

🕮 وحتى الدموع هي راحة، وتمتع لنفوسهم.

🕮 ويوجد عندهم خوف أيضاً، في وسط الفرح والتهليل، ولذلك فهم مثل أناس يحملون دمهم في أيديهم، ولا يضعون ثقتهم في أنفسهم ولا

يعتبرون أنفسهم انهم شيء، بل هم محتقرون ومرذولون أكثر من كل الناس.

كتاب عظات القديس مكاريوس ـ العظة الخامسة عشر ـ صفحة ١١٦ ـ ١١٧



🕮 تطهير القلب، والبناء الجديد:

🕮 **٥٣-** وإذا كانت هناك مدينة خربة، وأراد أحد الناس أن يعيد بناءها من جديد، فان أول شيء يفعله، هو أن يهدم تماماً كل الأشياء المتهدمة الساقطة، وهكذا يبدأ في الحفر، ويضع الأساسات، وهكذا يرتفع البناء، رغم انه لا يكون قد تم بناء بيت واحد بعد.

🕮 وذلك الذي يريد أن يقيم حديقة جميلة في مكان قفر كريه الرائحة، فانه يبدأ أولاً بتنظيف المكان، وعمل سياج حوله، وإعداد قنوات المياه، ثم بعد ذلك يغرس البستان، فتنمو الأشجار، وهكذا بعد وقت طويل يأتي البستان بالثمر. وهكذا قلوب البشر منذ السقوط، قد جفت وصارت خربة ومملوءة بالأشواك.

🕮 لقد قال الله للإنسان "شوكاً وحسكاً تنبت لك الأرض" {تك ٣: ١٨}.

🕮 لذلك فالأمر يحتاج إلى تعب كثير، وجهد لكي يطلب الإنسان الأساسات ويضعها، إلى أن تأتي النار إلى قلوب الناس، وتبتدئ في اقتلاع الأشواك وتنقية القلوب، وهكذا يبتدئون أن يتقدسوا فيمجدون الآب والابن والروح القدس إلى الأبد آمين.

كتاب عظات القديس مكاريوس ـ العظة الخامسة عشر ـ صفحة ١٣٢ ـ ١٣٣



🕮 المسيح يقيم ملكوته في القلب:

🕮 **٣٣-** فاذا افترضنا أن هناك قصر عظيم جداً، وهذا القصر أصبح مهجوراً، وامتلأ بكل رائحة رديئة، وبجثث ميتة كثيرة.

🕮 هكذا فان القلب هو قصر المسيح، وهو مملوء بكل نجاسة، وبجموع كثيرة من الأرواح الشريرة، فينبغي إذن إعادة تأسيسه، وإعادة بنائه، ويعاد تنظيم مخازنه، وغرف النوم التي فيه.

📖 لأن الملك نفسه أي المسيح يأتي إلى هناك، هو والملائكة، والأرواح المقدسة، ليستريح وليسكن، وليتمشى هناك، ويقيم فيه ملكوته.

📖 واني أخبرك أن القلب هو مثل سفينة مزودة بكمية وافرة من حبال الأشرعة والبكرات، وفيها قبطان يدبر الكل، ويحدد لكل واحد مهمته، ويصلح خطأ البعض منهم، وينير لغيرهم ما هو الطريق.

📖 فالقلب أيضاً له قبطان في العقل، وهو الضمير الذي يقوم دائماً بمحاكمتنا، والأفكار فيما بينها مشتكية أو محتجة" {رو ٢: ١٥}.

كتاب عظات القديس مكاريوس ـ العظة الخامسة عشر ـ صفحة ١٢٠ ـ ١٢١

📖 خطبة المسيح للنفس:

📖 ١- إذا كان إنسان غنياً جداً وهو ملك عظيم، ويضع قلبه على امرأة فقيرة لا تملك شيئاً سوى نفسها. ويصير محباً لها، ويرغب أن يأخذها لتعيش معه عروساً له فحينئذ، أن هي أظهرت كل سخاء، وخير ومحبة لزوجها، مخصصة أيضاً حبها له، فان تلك المرأة الفقيرة المسكينة، التي لم تكن تملك شيئاً، تصير سيدة مالكة لكل ما يخص زوجها.

📖 ومن الناحية الأخرى، فإنها إذا تصرفت ضد ما هو واجب، وضد الالتزام والمسئولية، وسلكت بما لا يليق في بيت زوجها، فإنها حينئذ تطرد خارجاً في خزي، ومهانة وعار.

📖 واضعة يديها على رأسها كما يقول العهد القديم بالرمز، عن الزوجة التي لا تسلك بلياقة في الغنى العظيم الذي سقطت منه، وأي مجد قد ضاع منها، وكيف تجردت من كرامتها بسبب حماقتها.

📖 واجب النفس التي يخطبها المسيح العريس السماوي:

📖 ٢- وبنفس الطريقة، فان النفس التي يخطبها المسيح العريس السماوي لنفسه، لأجل شركته السرية الإلهية، والتي قد تذوقت الغنى

السماوي، يجب عليها بكل اجتهاد وإخلاص، أن ترضي المسيح حبيبها، وتتمم بكل ما هو واجب ولائق، خدمة الروح التي استؤمنت عليها.

📖 وان ترضي الله في كل شيء، ولا تحزن الروح في أي شيء، وتحفظ التواضع والمحبة، بحسب ما هو واجب نحوه، هو الذي فيه يكمن الجمال، وتسلك حسناً في بيت الملك السماوي، بكل سخاء وخير، وشكر قلب، لأجل النعمة التي أعطيت لها.

📖 فمثل هذه النفس تصير سيدة، ومتولية على كل خيرات الرب، وحتى جسد مجد لاهوته يصير لها.

📖 ولكن أن سقطت، وسلكت ضد الواجب في خدمتها له، ولم تفعل الأشياء التي ترضيه، ولم تتبع أرادته، ولا تعاونت مع نعمة الروح الحاضر معها، فإنها حينئذ تحرم من كراماتها، وتصير في خزي ومهانة، وتنفى من الحياة، كأنها غير نافعة، وغير مناسبة لشركة الملك السماوي.

📖 حينئذ يكون غم وبكاء ورثاء على هذه النفس، وسط كل الأرواح القديسة غير المنظورة: الملائكة والقوات، والرسل والأنبياء والشهداء يبكون عليها.

📖 ٣- فانه كما قال الرب "يكون فرح في السماء" {لو ١٥: ٧} كذلك يكون أسف وبكاء في السماء، على نفس واحدة تسقط من الحياة الأبدية. وكما انه حينما يموت إنسان غني، على الأرض، فانه يشيع بالموسيقى، والألحان الحزينة والولولة {العويل} من إخوته وأقاربه وأصدقائه ومعارفه، هكذا فان جميع القديسين ينتحبون بألحان حزينة، ومراثي على تلك النفس.

📖 وهذا هو نفس ما يقوله الكتاب المقدس في موضع آخر بلغة رمزية "ولول يا سرو لأن الأرز سقط" {زكريا ١١: ٢}.

📖 فكما أن إسرائيل، حينما كان يظن فيه أن يرضي الرب - مع انه لم يرض الرب أبداً كما ينبغي - كان لهم عمود سحاب يظللهم، وعمود نار يضيء عليهم، وقد رأوا البحر ينقسم أمامهم، والماء الصافي يخرج من الصخرة

📖 ولكن حينما تحول قلبهم، وقصدهم عن الله، أهلكتهم الحيات، أو سلموا لأيدي أعدائهم، فاقتيدوا إلى أسر مؤلم، وعذبوا بعبودية مرة.

📖 وهذا ما يعلنه الروح سرياً بحزقيال النبي أيضاَ، قائلاً عن مثل هذه النفس كأنها أورشليم "وجدتك عريانة في البرية، فغسلتك من ماء نجاستك، وألبستك ثوباً، ووضعت عليك أساور في يديك، وطوقاً في عنقك، وأقراطاً في أذنيك. فخرج لك اسم بين جميع الأمم، وأكلت السميذ والعسل والزيت، وبعد كل هذا نسيت خيراتي، وذهبت وراء عاشقيك، وزنيت بخزي وعار" {أنظر حزقيال ١٦: ٧-١٧}.

📖 لنتمم خلاصنا بخوف ورعدة:

📖 ٤- هكذا بالمثل فان الروح يحذر النفس التي تعرف الله من خلال النعمة، بعد أن تتطهر من خطاياها السالفة، وتتزين بزينة الروح القدس، وتصير شريكة في الطعام الإلهي السماوي، لا تسلك كما يجب بتمييز وتحفظ، ولا تحافظ كما يجب على التوقير، والحب للمسيح العريس السماوي، وهكذا ترفض وتطرد من الحياة التي كانت شريكة فيها قبلاً.

📖 فإن الشيطان يمكن أن يقوم، وينتهز فرصة حتى ضد أولئك الذين وصلوا إلى مقاييس مثل هذه، وحتى ضد أولئك الذين قد عرفوا الله في نعمة وقوة، فان الخطية لا تزال ترفع رأسها، وتسعى أن تسقطهم.

📖 لذلك ينبغي أن نجتهد، ونسهر على نفوسنا بتبصر وحكمة، وان "نتمم خلاصنا بخوف ورعدة" كما هو مكتوب {فيلبي ٢: ١٢}.

📖 فمهما كنتم أنتم الذين صرتم شركاء في روح المسيح، فانظروا إلا تسلكوا بازدراء، أو عدم اهتمام في أي شيء، صغيراً كان أم كبيراً، ولا تزدروا بنعمة الروح، حتى لا تبعدوا من الحياة التي قد صرتم شركاء فيها.

📖 **٥-** وسأكرر هذا بمثل آخر. فاذا جاء خادم إلى قصر الملك ليعمل في الأواني المستعملة هناك، فهو يأخذ من الخيرات الخاصة بالملك - فهو لم يحضر معه شيئاً - ويخدم الملك بأواني الملك الخاصة.

📖 هذا الخادم يحتاج هنا إلى حكمة كثيرة، وبصيرة، وتمييز، حتى لا يرتكب خطأ في الخدمة، كأن يحضر إلى المائدة الملوكية نوع من الأطباق غير الذي كان تنبغي أن يحضره، بل ينبغي أن يرتب الأواني على المائدة بنظام من الأول إلى الآخر بالترتيب السليم.

📖 فاذا كان بسبب الجهل وعدم التمييز، لا يخدم الملك بالنظام السليم وبترتيب، فانه يفقد مكانه، ومعيشته في القصر.

📖 وبنفس الطريقة فان النفس التي تخدم الله بالنعمة والروح، يلزمها تبصر كثير ومعرفة لكيلا ترتكب خطأ في أواني الله، أي في خدمة الروح - بعدم حفظ إرادتها الخاصة في توافق مع النعمة.

📖 فانه من الممكن في مجال خدمة الروح، التي تتم سراً، بواسطة الإنسان الباطن، أن تقوم النفس بخدمة الرب في أوان من عندها، أي بروحها هي، ولكن الله لا يمكن أن يخدم بغير أواني الله، أي بغير النعمة حتى ترضيه وتعمل مشيئته في كل شيء.

📖 الحاجة إلى الحكمة والتمييز:

📖 **٦-** وحينما ينال الإنسان النعمة، فانه يكون حينئذ في حاجة شديدة إلى الفهم والحكمة والتمييز - وهذه العطايا هي نفسها تعطى من الله للنفس التي تطلبها منه - لكي يعبد الله عبادة مقبولة بالروح الذي ناله،

ولا تهاجمه الخطية بغتة فيخطئ، ولا يغوى بالجهالة والطياشة والإهمال ويسلك ضد ما تطلبه مشيئة الرب.

📖 لأن نتيجة هذه الأشياء هي العقاب والموت، والبكاء لمثل هذه النفس. فالرسول القديس يقول "لئلا بعد كرزت للآخرين أصير أنا نفسي مرفوضاً" {١كو ٩: ٢٧} وها أنتم تنظرون أي حذر وخوف كان عنده مع انه كان رسول الله، لذلك فلنتوسل إلى الله، نحن الذين قد حصلنا على نعمة الله، لكي نعبد عبادة الروح حسب مشيئته بأكثر مما هو معتاد، ولا يكون لنا شركة مع أفكار الاحتقار والعصيان، حتى إذا ما عشنا بطريقة مرضية للرب وعبدناه عبادة روحية حسب مشيئته فإننا إذ نحيا هكذا نرث الحياة الأبدية.

📖 أعضاء الجسم وأعضاء النفس:

📖 ٧- هناك البعض عندهم عاهات في أجسامهم، فقد يحدث أن إنساناً تكون بعض أعضاؤه صحيحة، كعيناه مثلاً، أو غيرها من الأعضاء، ولكن بقية أعضاؤه عاجزة، هكذا أيضاً في العالم الروحي، فقد يكون إنسان سليم وصحيح في ثلاث أعضاء من روحه، ولكنه ليس كاملاً.

📖 فأنتم ترون كم للروح من مراحل ودرجات، وكيف أن الخطية يتم تصفيتها والتنقية منها، على مراحل متتالية، وليس دفعة واحدة.

📖 وان عناية الله كلها، وتدبيره للخليقة، وإشراق الشمس، وكل ما خلقه هذه جميعها، إنما هي لأجل الملكوت الذي سيرثه المختارون، لأجل تكوين ملكوت السلام والوئام.

📖 نقاوة القلب، وعدم إدانة الغير:

📖 ٨- لذلك يجب على المسيحيين أن يجتهدوا على الدوام، ولا يدينوا أحداً بالمرة - ولا يدينوا حتى الزانية في الشارع، ولا الأثمة المشهورين بخطاياهم والمتمردين - بل وان ينظروا إلى كل البشر

ببساطة النية ونقاوة العين، حين يصير الأمر كقانون ثابت في الطبيعة، إلا يحتقر أحداً، ولا يدين أحداً، ولا يمقت أحداً، حتى ولا يجعل تمييزاً بين أشخاص الناس.

📖 فان رأيت إنساناً بعين واحدة، فلا تنقسم في داخل قلبك، بل أنظر إليه وراعيه كما لو كان صحيحاً تماماً.

📖 والإنسان الأقطع {ذو يد واحدة} أنظر إليه كما لو كان بيدين، والأعرج تنظر إليه كالذي يسير معتدلاً، والمشلول كالصحيح.

📖 هذه هي نقاوة القلب، إنك حينما ترى خطاة، أو مرضى، أن تشفق عليهم، وترثي لحالهم، وتكون حنوناً، ومحباً من نحوه.

📖 ويحدث أحياناً أن قديسي الرب يجلسون في المراصد، وينظرون ضلال العالم وخداعة. فبحسب الإنسان الباطن، هم يتخاطبون مع الله، ولكن بحسب الإنسان الخارجي، فانهم يظهرون للناس كأنهم يتأملون فيما يحدث في العالم.

📖 ٩- أن أهل العالم هم تحت تأثير واحد من روح الشر، ليهتموا بالأمور الأرضية، أما المسيحيون فلهم هدف آخر، وفكر واهتمام آخر، فهم من عالم آخر ومدينة أخرى.

📖 إن روح الله له شركة مع نفوسهم، وهم يدوسون العدو تحت أقدامهم. فانه مكتوب "آخر عدو يبطل هو الموت" {١كو ١٥: ٢٦}، فالأتقياء هم سادة لكل الأشياء، والنار تحرقهم، والحجر والسيف يذبحانهم، وأخيراً تتسلط عليهم الشياطين.

كتاب عظات القديس مكاريوس ـ صفحة ١٠١ ـ ١٠٧

📖 انفتاح العيون الداخلية:

📖 ولكن ليس فقط إلى يوم أن جاء آدم الأخير، بل وحتى إلى هذا اليوم، فان أولئك الذين لم تشرق عليهم "شمس البر" {ملاخي ٤: ٢}، أي المسيح، والذين لم تنفتح عيون نفسهم، وتستنير بالنور الحقيقي، لا

يزالون تحت نفس ظلمة الخطية، وتحت نفس تأثير الشهوات، وهم تحت العقاب بعينه، إذ ليس لهم إلى الآن عيون لينظروا بها الآب.

📖 **٥-** ينبغي على كل واحد أن يعرف هذا الأمر، ويتحقق منه، انه توجد عيون داخلية، أعمق من هذه العيون الطبيعية.

📖 ويوجد سمع أعمق من هذا السمع.

📖 وكما أن هذه العيون الجسدية تنظر وجه الصديق، أو المحبوب، وتتعرف عليه، فان عيون النفس المستحقة المؤمنة، بسبب نوالها الاستنارة الروحية بنور الله، فإنها تنظر الصديق الحقيقي الذي هو العريس المحبوب جداً، والحلو جداً، أي الرب، وتتعرف عليه، إذ تكون النفس مملوءة، ومشمولة بإشراق الروح الممجد.

📖 وهكذا إذ ترى بالعقل ذلك الجمال المشتهى، والذي لا يمكن التعبير عنه، فإن النفس تجرح بشهوة الحب الإلهي، وتتجه إلى كل فضائل الروح، وتسير فيها، وهكذا تمتلك حباً لا يحد، ولا يسقط، للرب الذي تشتاق إليه.

كتاب عظات القديس مكاريوس ـ العظة الثامنة والعشرون ـ صفحة ٢٢٥

📖 فالعقل الذي لا يهمل تفتيش ذاته ولا يهمل طلب الرب، يستطيع أن يقتني نفسه - النفس التي كانت في هلاك الشهوات - يقتنيها بتقديم نفسه كأسير لمحبة الرب بكل غيرة وقوة، وبالالتصاق به وحده، كما هو مكتوب: "مستأثرين كل فكر إلى طاعة المسيح" {٢كو ١٠: ٥}، لكي بواسطة مثل هذا السعي والاشتياق والطلب يمكن أن يصير العقل "روحاً واحداً مع الرب" {١كو ٦: ١٧}.

{٧}

القديس مار فليكسينوس

📖 معلوم أنه ليس الشئ، الذي يحس بحلاوة العسل، هو الذي يحس بحلاوة معرفة الله، لأن هذه المذاقة هي للذهن، لأن منه فقط يتغذى ويتقوى أيضا، وهكذا لا يكون غالبا للآلام فقط، بل وغير حاس بالآلام، لأن قوة حساسيته بالروحيات، لا تتركه يرجع لحس شيء آخر

📖 إن العقل في الكورة الروحانية يكون مثل الهدف للنشاب لقبول نظر الثاؤريا، مثلما أن الهدف ليس له أن يقبل ما يريد من النشاب لكن للرامي أن يضرب فيه، هكذا العقل إذا دخل إلى موضع الروحانية، فإنه لا ينظر ما يريد من الثاؤريا، لكن الروح هو الذي يدبره، لأن العقل ليس له سلطان على ذاته إذا دخل إلى موضع الروحانية.

📖 أن العقل مادام يحارب بهواه لنظر الثاؤريات فإنه لم يصل بعد إلى كورة الروحانية لأنه إذا وصل العقل إلى هناك، فإنه لا يكون له سلطان على تدبير ذاته، لأنه حال في السهو، وإلى حيث يدبرونه فهناك يمضى.

📖 لأنه متى انجذب العقل مع الحواس، أكل معها غذاء الوحوش {الأوجاع}، أما إذا انجذبت الحواس مع العقل، فهي تتناول معه طعام الملائكة، إن في هذه الرتبة يا حبيبى ومحبوب نفسي، لا توجد قتالات ولا حروب، لأن عملها يعمل فوق حواس الجسد وحركات النفس، فهذه هي صهيون الممجدة، التي فيها عقد داود تاج مملكته وملك على كل أعدائه، وأقسم له عبيده باليمين قائلين لا تخرج معنا إلى الحرب، ولا تطفئ سراج إسرائيل.

📖 طوبى للراهب الذي سمع ذلك الصوت ولم تنطفئ من نفسه تلك النظرة الروحانية طوبى لذلك الذي نظر تلك النظرة البهية التي لربنا يسوع المسيح إذا ظهر في وقت الصلاة على الذهن الذي وصل إلى موضع النقاء، لأنه مادام ذلك النور البهي الذي هو نظر مخلصنا، يظلل على العقل، فإنه لا يحلو له مزمور ولا قراءة، وجميع أعمال

الجسد والنفس، قد بطلت منه، مَن قد وقف ذاته لله تعالى من أول وهلة، فانه يتصرف في هدوءٍ من العقل

سأل أخٌ أنبا بيمين: بخصوص الأفكار التي تسيطر على عقله؟؟

فقال له: هذا يُشبَّه بإنسانٍ توجد نار عن يساره، وإناء به ماء عن يمينه؟ فإذا أراد أن يطفئ النار، يأخذ من الماء، ويفعل ذلك، وهو له الحق أن يفعل ذلك في كل ساعة. فالنار هي بذار أفكار العدو. والماء هو انطراح النفس أمام الرب وهو ما يجب أن يفعله الإنسان.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٦٩

{٨}

القديس الأنبا أنطونيوس

حروب الأفكار:

سأله أحد الإخوة مرةً عن الأفكار، فأجابه الشيخ: لا تجعل لها تأثيرًا عليك، بل اجعلها ترسب أسفل فأسفل حتى تلد دودًا وتهلك.

وقال أيضًا: إذا انقضّت عليك الأفكار التي تضيّق عليك ولم تكن كُفئًا لأن تطردها فاخرج في الهواء الطلق وهي ستبعد عنك.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٧٨



نقاوة القلب:

قال أنبا أنطونيوس: لا يوجد مكتوبًا في حروف الناموس {الكتاب المقدس} ما هو البرّ، ولكن القلب النقي هو برُّ الإنسان

وقال أيضًا: على كل واحدٍ أن يجعل نفسه كنيسة في هذا الزمان، وبمعنى آخر أن يعمل الإنسان كل جهده لتنقية نفسه التي هي كنيسة الله، لكي ما بصوتٍ هادئٍ نُصعد تسبيحًا مثلثًا لله ربنا بالاعتراف الثابت بالإيمان الأرثوذكسي.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٨٤

وقال أيضًا:

تجرَّد من الشرّ وارتدِ البساطة، اِخلع عنك العين الشريرة والبس البساطة والقلب الرحيم. لا تُبغض أي إنسان، لا تمشِ إطلاقًا مع ذي السيرة الرديئة، بل مع مَنْ له سيرة أكمل منك، ومع الذي يكمِّل تدبيره. لا تخشَ مذمّة الناس، اِبغض كل شيء فيه ضرر لنفسك، لا تترك إرادة الله لتعمل مشيئة الناس لكي يكون الله معك.

وقال أيضًا: لا يستطيع إنسان أن يكون صالحًا ولو كانت لديه الإرادة، ولو بذل في ذلك كل ما في وسعه، ما لم يسكن الله فيه، لأنه "ليس أحدٌ صالحًا إلا واحدٌ وهو الله" {مر١٠: ١٨}.

{٩}

قديسون أخرون

٦ـ فئة قليلة هي وحدها التي تنال القوة، والحكمة من الله.

لأن الحكمة هي أن تشارك في النعم الإلهية. والقوة هي أن تطهرها.

ولكن هذه المشاركة التي تمر على الآخرين هي نشاط إلهي حقيقي فوق قدرات الإنسان.

٧ـ أي مَعبد حقيقي حتى قبل الحياة الآتية؟

هو قلب خال من الأفكار، ينشط بالروح القدس، لأن هناك كل ما يقال ما يعمل روحانيا، ومن لم يصل إلى هذا المستوى، ولو أنه من أجل بعض الفضائل قد يكون حجرا صالحا، لا للاستعمال في بناء هيكل لله، لا يكون نفسه هيكلا، ولا محتفيا بالروح القدس.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب ـ صفحة ٤٥



📖 ٦- **كيف يضبط الراهب أفكاره؟**

📖 يجدر بالراهب أن يوجه كل اهتمامه إلى جانب واحد، وأن يضبط كل أفكاره التي تثور فيه وتدور في ذهنه، موجها إياها إلى هذا الاتجاه، أي إلى تذكر الله.

📖 وذلك كما إنسانا يرغب في بناء قبو عال على شكل قوس دائري، يلزمه أن يرسم بدقة خطا دائريا حول المركز ... لأن من حاول أن ينفذ هذا العمل من غير أن يحدد مركز الدائرة، فإنه مهما بلغت دقته ومهارته في فنه، يستحيل عليه أن يحفظ محيط الدائرة بغير أن يخطئ أدنى خطأ.

📖 هكذا أيضاً أذهاننا إن لم يدر العمل فيها حول حب الرب، وحده كمركز ثابت لها غير متحرك، فإن أعمالنا وتقاليدنا – بسبب الظروف – تنحرف عن الاستنارة السامية.

📖 هذا الحب، الذي بدونه لن يقوم التركيب الخاص بالبناء الروحي الذي مهندسه بولس، مهما كانت المهارة ممتازة، ولا تستطيع أن تمتلك المنزل الجميل الذي اشتاق إليه الطوباوي داود في قلبه، لكي يقيمه للرب قائلا: "يارب أحببت محل بيتك، وموضع مسكن مجدك" {مز٢٦:٨}.

📖 بدون الحب يقيم الإنسان في قلبه، بغير بصيرة، منزلا غير جميل، لا يليق بالروح القدس، ولا يكون له شرف استقبال القدوس الذي يقطن {في القلب}، إنما يسقط في الحال، وينهدم البناء في بؤس.

كتاب القديس يوحنا كاسيان ـ أنواع الرهبان الثلاثة ـ للأب بيامون ـ صفحة ٤٠٩

📖 **١٦٣-** أحرس عقلك، وسوف لا تتأذى من التجارب. ولكن إذا فشلت في حراسته، فإقبل بصبر كل ما يأتي من تجارب.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١١٩

📖 **٨٣ ـ** حقاً يُخرج القلب الأفكار الجيدة والرديئة من ذاته (ق.م. لو ٦: ٤٥). ولكن لا يفعل ذلك لأن طبيعة القلب تخرج أفكاراً شريرة، ولكن

بسبب أن تذكر الشر أصبح، إن بسبب جاز التعبير، طبع، كنتيجة للخداع الأول.

📖 إنه يتخيل معظم أفكاره الشريرة، على أية حال كنتيجة لهجوم الشياطين. لكننا نشعر أن كل هذه الأفكار الشريرة تنهض من القلب، ولهذا السبب استنتج بعض الناس، أن الخطيئة تسكن الفكر مع النعمة. لهذا السبب في نظرهم قال الرب: "وأما ما يخرج من الفم، فمن القلب يصدر، وذلك ينجس الأنسان، لأن من القلب تخرج أفكار شريرة، قتل زنى" الى آخره (مت ١٥:١٨-١٩).

📖 إنهم لم يدركوا على أية حال أن الفكر، لكونه عالي الحساسية، فهو يجعل الأفكار التي تقترحها الشياطين، من خلال أنشطة الجسد خاصة به، وبطريقة لا نفهمها، تؤكد ميول الجسد ضعف النفس، هذا بسبب الإتحاد بين الإثنين.

📖 يبتهج الجسد بلا نهاية، لكونه مغرى بواسطة الخداع، وبسبب هذا فإن الأفكار التي تُبذر بواسطة الشياطين في النفس، تظهر وكأنها تأتى من القلب، ونحن نجعلهم حقاً ملكاً لنا، عندما نقبل ننغمس فيهم.

📖 هذا هو الذي كان ينتقده الرب في النص المستشهد به أعلاه، كما توضح الكلمات نفسها. أليس من الواضح أن من ينغمس في الأفكار المقترحة له من خداع الشيطان، وينقشهم في قلبه، يقدمهم فيما بعد كنتيجة لنشاطه العقلي؟

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ القديس ديادوخوس الناسك ـ صفحة ٢٧٧

📖 ٧٠ـ واحد من القدماء تكلم بحكمة وببساطة عن الأفكار يقول: "حاكم الأفكار، أمام مجلس الحكم الذي للقلب، لكي تُميز ما إذا كانوا من الذين لنا، أو من الذين لأعدائنا".

📖 ضع تلك {الأفكار} الصالحة، وبشكل صحيح ملك لنا، في مقدسك الأعمق الذي في نفسك، حافظاً إياهم في كنزك المنيع هذا.

📖 لكن أدب الأفكار التي للعدو بسوط الذكاء، وعاقبهم غير معطياً لهم مكان، ولا إقامة في داخل حدود نفسك. أو بكلام بشكل ملائم أكثر اذبحهم تماماً بسيف الصلاة، والتأملات الإلهية، حتى أنه عندما يتم تدمير اللصوص، فإن رئيسهم قد يرتعب. لذلك هو يقول: "إنسان يمتحن أفكاره بصرامة فهو ذاك الذي أيضا يحب الوصايا حقاً".

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس ثيئودورس الناسك العظيم - صفحة ٢٧

{١٠}

القديس غريغوريوس

رئيس متوحدي قبرص

📖 كما يقتنى الإناء تجديدا في الكور، هكذا النفس تنير وتتجدد بموت الأعضاء الجسدانية. إذا اقتنيت النفس تجديدا استطاع العقل أن يرى كل الاتجاهات ويفرز الطبائع المتعارضة ويبدئ أن يفيض مجاري المعرفة وحكمة الأفهام الروحانية.

📖 العقل النقي بفيض المعرفة التي فيه يسقى أرض القلب ويعطى فرحا وقوة للسكان فيه الذين هم الزروع الطبيعية وقوات الخمس حواس. العقل العمال إذا ما تكدر بالغضب تظلم المعرفة التي فيه، وتبيد الأفهام.

📖 العقل الجبان {أمام الأفكار} إذا تكدر في وقت القتال، لا تهلك المعرفة التي فيه، بل تحفظ في مخازنه الداخلية، وعندما يبطل القتال ترجع إلى موضعها وتظهر فعلها.

📖 لا يحل فيه {العقل} الفرح والنياح إن لم يلق أولا عنه الرداء المحجوب عن وجهه، ذلك الذي نسجته الآلام الهيولية، ولا تنبت له أجنحة روحانية ويحصل له صعود محبوب ويتعالى بارتفاع عجيب إن لم ينق أولا الفضلات التي دخلت فيه.

العقل الذي لم يقتن تطهيرا بواسطة عمله إذا كان معه قتال من الشياطين فهو يرجع إلى المحبة الخارجية وتؤخذ منه المعرفة القليلة التي أدركها بعمله.

لا تحل نظرة العقل على قوة الكائنات ويقتني معرفة في نظرته ويحل فيه الفرح ويشرق في وجهه النور الإلهي ويؤهل لنظرة الثاؤريا التي للثالوث المقدس تلك التي بها يقتني دهشا ويتنقل تنقلات عجيبة إن لم يقتن العمل الذي بعد التطهير.

غريغوريوس رئيس متوحدي قبرص - الآباء الحاذقون في العبادة - جزء٢ - صفحة ٢٢

قوت عمل الراهب هو الصبر، وتربيته فيه هو التواضع، وعمل عقله الثاؤريا الإلهية وفهم الطبائع الروحانية.

صلاة العقل هي الدهش بالله، ومفاوضة العقل الهذيذ بنظر الثاؤريا. لباس العقل النقي هو نور عدم التألم، وذخيرة العقل هي غلبته للآلام، وإفرازه هو معرفته للأرواح، ومقتناه الحكمة والفطنة، وتربيته هي معرفة المنازل، وفرحته هي انتقاله من ثاؤريا إلى ثاؤريا، وعمله هو الصلاة والتزمير والتهليل، تطهير الحواس الخمس ذبائحه المثالية.

لا يمكن أن تتعلم القراءة من غير معرفة الألف باء، هكذا العقل لا يستطيع أن ينير بدون عمل الفضائل، لأن فيها مخفى نور إلهي مقدس. كما أن في بدء تعليم الأحرف يكون التأديب والبكاء، هكذا في بدء حفظ الوصايا تكون الدموع والبكاء والنوح وتذكر الأفعال القديمة.

غريغوريوس رئيس متوحدي قبرص - الآباء الحاذقون في العبادة - جزء٢ - صفحة ٢٣



📖 ف١١: في أنه يجب فحص رغائب القلب وضبطها:

📖 المسيح: يا بنيّ، عليك أن تتعلم بعد أموراً كثيرة، لم تتقن الى الآن تعلمها. التلميذ: وما هي، يارب؟

📖 المسيح: هي أن تجعل رغبتك موافقة لمرضاتي تمام الموافقة، والا تكون محباً لذاتك، بل غيوراً على اتباع إرادتي.

📖 كثيراً ما تضطرم فيك الرغائب، وتدفعك بشدة، ولكن انظر ما الذي يحركك: هل هو إكرامي، أم بالحري مصلحتك الشخصية؟

📖 فإن كنت أنا الباعث لها، تكن أنت راضياً تمام الرضى كيفما دبّرت الأمور، أما إن اندس فيها" شيء من طلب الذات، فذاك هو ما يعوقك ويرهقك.

📖 فاحذر أن تطمئن كثيراً الى ما يخطر لك من رغبات، قبل ان تلتمس فيها مشورتي، لئلا تندم فيما بعد، أو يسوئك ما كان قد أعجبك أولاً واشتهيته كأنه الأفضل.

📖 لا ينبغي أن تتبع في الحال، كل ميل يتراءى لك صالحا، ولا أن تتجنب، لأول وهلة، كل ميل معاكس.

📖 من المفيد أحياناً، أن تكبح نفسك، حتى في المقاصد، والرغبات الصالحة، لئلا توقعك لجاجتها في تشتت الفكر، أو تسبب أنت عثاراً للآخرين، بخروجك عن النظام، أو تقلق وتفشل في الحال، بسبب معاكستهم لك.

📖 ويجب أحياناً استعمال الشدة، ومخالفة الأهواء الحسية بحزم، وعدم الالتفات الى ما يريد الجسد أو لا يريد، بل الاجتهاد في إخضاعه للروح – وان مرغماً.

📖 وتجب المواظبة على قمعه واستعباده، حتى يصبح مستعدا لكل شيء، ويتعلم أن يقنع بالقليل، ويلتذ بالبسيط، ولا يتذمر من شيء لا يلائمه.

{١٢}

الأنبا بيمن المتوحد

ضبــط الفكــر

📖 **سأل أخٌ أنبا بيمين:**

📖 إنّ جسدي ضعيف، وأنا غير قادر على الأتعاب النسكية، فقل لي كلمة أحيا بها. فقال له الشيخ: أَلستَ قادرًا أن تضبط أفكارك، ولا تسمح لها أن تتجه نحو قريبك بمكر؟

📖 **سأل إخوةٌ شيخًا بخصوص القول السابق قائلين:**

📖 أخبرنا يا أبانا كيف يمكن للضعيف أن يعيش حياة نسكية في أفكاره؟ فقال الشيخ: هذا السؤال له علاقة قوية بسؤالٍ آخر سأله أخٌ لأنبا بيمين أيضًا قائلاً: جسدي ضعيف، ولكن أفكاري ليست كذلك.

📖 ففي الحالة الأولى تكلم القديس بخصوص الذين يخشون أن يصيروا - بسبب الآلام والأمراض - متهاونين في أتعاب الحياة الروحية.

📖 ومن ناحية أخرى يخشون أن يُعاقَبوا بآلام وأمراض.

📖 وفي الحالة الثانية تكلم القديس بخصوص الذين كدُّوا لزمنٍ طويلٍ في أتعاب الإماتة، وإنكار الذات، ثم صاروا أخيرًا ضعفاء، أما بسبب كبر السنّ، أو بسبب الأمراض، فكفُّوا بذلك عن أتعاب النسك.

📖 فالقديس بيمين عندما قال: إن كنت غير قادر بسبب ضعفك على أتعاب الجسد، كما كنت سابقًا، فجاهد في أتعاب النفس.

📖 كان يقصد ضبط الأفكار، أي التحكُّم في العقل.

📖 فإذا كنت غير قادر أن تصوم عن الأطعمة، فصُم عن الأفكار الشريرة. وإن لم تعُدْ قادرًا، بسبب ضعف الجسد، أن تنتصب لتتلو

مزامير كثيرة كما كنت سابقًا، فاجعل فكرك ينتصب أمام الـرب، وأن يصلِّي أمامه بتيقّظٍ بالصـلاة الخفيـة النقيـة. وكـن هادئـا، ومتواضـعًا، وراضيًا، وصالحًا، ومتسامحًا، ورحومًا.

وتحمّل مرضك وضعفك بشكرٍ.

ولا تجعل لسانك يُحزن أحدًا.

ولا تدِن، أو تلوم، أو تحكم على أخيك في قلبك.

هذه الفضائل يمكن أن تُزرَع فـي الـنفس بأتعـاب الـذهن، لا بأتعـاب الجسد، وهي لا تتعوّق من ضعف الجسد.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٨٠

قال أنبا بيمين:

لقد أعطى الله قاعدة السلوك هذه لشعب إسرائيل:

أن يُزيلـوا مـن أنفسـهم كـل مـا هـو مخـالف للطبيعـة، أي الغضـب، والسخط والحسد، والحقد، وكـلام الشـر، والوقيعـة وديـنونـة القريـب، وبالاختصار كل ما هو من صفات الإنسان العتيق.

وقال أيضًا: رأس كل الشرور هو الغفلة، وطياشة الأفكار.

كما قال أيضًا: بدء الشر هو السجس، بالأخذ والعطاء.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٨٠

جاء أخٌ إلى أنبا بيمين وقال له:

تضايقني أفكار كثيرة، يا أبي، وتجعلني في خطر.

فاقتاده الشيخ إلى خارج القلايـة وقـال لـه:" وسِّـع صـدرك واقـبض على الريح {بالتنفس}.

فقال له الأخ: لا أستطيع أن أفعل ذلك.

فقال له الشيخ: إن كنتَ لا تستطيع ذلك، فـلا يمكنـك أيضـًا أن تمنـع الأفكار من أن تأتي إليك، ولكن يمكنك أن تقاومها.



📖 **سأل إخوةٌ شيخًا:** سأل أخٌ أنبا بيمين: هل يقدر الإنسان أن يضبط أفكاره، ولا يعطي شيئًا منها للعدو؟

📖 فقال لهم الشيخ: من الناس مَنْ لا يعطي للعدو ولا فكرًا واحدًا، ومنهم مَنْ يعطيه واحدًا ويأخذ عشرة، ومنهم مَنْ يعطي عشرة ويأخذ واحدًا، ومنهم مَنْ يعطي جميع أفكاره للعدو'. فما معنى ذلك؟

📖 **فقال الشيخ:** إذا حرّك الشيطان في الإنسان الكامل فكرًا رديئًا، فهو لساعته يزجره ويُبعده كما قال أنبا زينون: إذا حرّك فيك الشيطان ذكر امرأة فقُل: أُفٍّ لهذا الفكر، لن أجعله يبيت عندي.

📖 والطوباوي مرقس الناسك قال: كما أنّ النار لا تبطئ في الماء، هكذا الأفكار الرديئة، لا تثبت في قلوب محبي الله.

📖 لأن مَنْ يحب الله، هو عدوٌ للشهوات. هذا النوع هو الذي قال عنه أنبا بيمين: إن من الناس مَنْ لا يعطي للعدو ولا فكرًا واحدًا.

📖 والشبان الذين لم يكملوا بعد، إذا حرّك فيهم الشيطان، فكر شهوة قبيحة، أو أحد الأوجاع، ويتفاوضون قليلاً مع هذا الفكر.

📖 فهؤلاء لا زالوا في الدرجة الوسطى في القتال، ولم يصلوا بعد إلى النقاوة، ولكن لأنهم مجاهدون وذهنهم صافٍ، وعارف بالقتال، فهم في الحال يذكرون الله وحبه، ومخافته، فيطرحون الفكر عاجلاً، بعد أن يسرّوا به قليلاً ويوافقوا عليه، وهؤلاء هم المقصودون من أن البعض يعطي فكرًا واحدًا ويأخذ عشرة.

📖 المبتدئون الذين لم يتدرّبوا بعد على الجهاد الخفي في الأفكار، إذا حرّك فيهم الشيطان فكر شهوةٍ، فهم يتفاوضون معه كثيراً في قلوبهم، وأخيرًا تبكّتهم ضمائرهم على توانيهم، وقبولهم للأفكار، فيطلبون معونة الله، وهؤلاء هم الذين يعطون للعدو عشرة أفكار، ويأخذون واحدًا.

📖 أما الأخ المتواني المنحلّ، ففي كل وقتٍ يحرِّك فيه العدو الفكرة الرديئة يقبلها بفرحٍ، ويتفاوض معها بلذةٍ، ويطيعها تمامًا.
📖 وكثيرًا ما يكمّلها بالفعل بلا حشمةٍ ولا خوفٍ.
📖 ومثل هذا النوع هو الذي يعطي أفكاره كلها للعدو.
📖 لذلك قال أنبا مرقس الناسك: ' إنّ مَنْ يتفاوض مع الأفكار الرديئة، يتقلّب مثل عود محروق بالنار، ويوجد مَنْ لا يتوقف عن هذا التفاوض، حتى يلتهب بفعل الخطية.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٥٨١ ـ ٥٨٢



📖 قيل إنّ أخًا كانت تهاجمه أفكار تجديف، لدرجة أنه كان يخجل من ذكرها لأحد، وعندما كان يسمع عن شيوخ كبار، كان يذهب إليهم ليخبرهم، ولكنه كلما كان يقابل أحدًا منهم، كان يخجل من أن يكلّمه في الأمر.
📖 وبعد أن ذهب للآباء مرات عديدة رآه مرةً أنبا بيمين، وأدرك اضطرابه بالأفكار، وشعر بالأسى من جهته، لأنه شعر أن الأخ لا يريد أن يكشف له الأمر، ولكنه انتهز فرصةً.
📖 وقال له: إنك جئتَ مرات عديدة لتخبرني عن الأفكار التي في ذهنك، ومع ذلك فقد كان من الصعب عليك أن تخبرني، فإلى متى تسير على هذا المنوال، وتظل متضايقًا من تلك الأفكار؟ أخبرني يا ابني عما يضايقك!
📖 فأجابه الأخ: ماذا أقول لك يا أبي؟ إنني أصارع ضد شيطان التجديف على الله، وكثيرًا ما حاولتُ أن أخبرك ولكنني كنتُ أشعر بالخجل. فلما علم الأب بيمين بالأمر ابتسم وقال له: لا تتضايق من ذلك يا ابني، فقط عندما يأتيك هذا الفكر قُل له: ' ليس لي شأن بهذا الفكر، لأن نفسي لا تريده، فليكن هذا التجديف عليك أيها الشيطان، لأن نفسي ترفضه.
📖 نعم، لأن كل شيءٍ لا ترغبه النفس، لا يبقى طويلاً.

فلما سمع الأخ ذلك ذهب فرحًا معافى.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٥٨٣



قال أنبا بيمين:

إذا زارك أخٌ ثم تحققت أنك لم تنتفع من زيارته، ففتش في قلبك لتعرف ماذا كنتَ تفكر فيه قبل زيارة هذا الأخ لك، وحينئذٍ ستفهم لماذا كانت زيارته لك بلا فائدة.

إن فعلتَ ذلك باتضاع، ومعرفة، فستكون بلا لوم بخصوص أخيك، أو جارك، حيث إنك تحمل ضعفاتك ونقائصك.

لأن الإنسان إذا جعل سكناه بمعرفةٍ، فلن يسقط في خطيةٍ، لأنه يكون في حضرة الله، وأنا أري أنه من ذلك يكتسب مخافة الله.

سأل إخوةٌ شيخًا عن القول السابق:

فقال الشيخ: الإخوة يخسرون من بعضهم بعضًا.

فإذا كان اثنان أحدهما قد تكمَّل في الحب والاتضاع، والآخر يعيش بانحلالٍ وتوانٍ، فالأول يعتبر كل الناس أنقياء وقديسين، كما هو مكتوب: «كل شيءٍ طاهر للطاهرين» {تي١: ١٥}، وإذا دخل إليه الأخ الآخر، فلا يخسر منه، ولا يشكّ فيه، ولو كان منحلاً متوانيًا.

وحتى الذي لم يكمل بعد، إذا كان يعيش في قلايته في ندامةٍ، ودموع وذهنه، متيقّظ، إذ يرى خطاياه، ويتفهم أوجاعه، ويحرص على تكميل ذاته، فهذا إذا جاءه أخٌ لا يخسر منه، ولو كان منحلاً متوانيًا، لأن حفظه لذهنه وتذكُّره لخطاياه لا يجعله يرى نقص أخيه".

أما الأخ الذي يعيش بانحلالٍ وتوانٍ، ويفكر في نقائص الإخوة، وقلبه خالٍ من الندامة، والحزن على خطاياه.

فكل أخ يأتي إليه يخسر منه سريعًا، ويشك في نقائصه، ويلومه في أفكاره. بل ربما يبكّته في وجهه، بسبب كلمة صغيرة قالها ببساطة، وبعد أن يفارقه يظل يفكر طويلاً في نقائصه، ويدينه في قلبه، معتبرًا

أنه خسر كثيراً من مجيئه إليه.

📖 لذلك يحذّرنا أنبا بيمين جدًا، ويوصينا أن نتذكر خطايانا كل وقتٍ، ولا ننظر إلى نقائص إخوتنا، حتى نمتلئ من الاتضاع الكامل، والحب التام.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٨٣ - ٥٨٤



📖 **سأل أخٌ أنبا بيمين:** يا أبي، عندما يسكن أحد الإخوة معي فما الذي تريدني أن أحترس منه؟

📖 **فقال له:** ضع خطاياك في رأسك {في فكرك} واحترس منها.



📖 **وقال أيضًا:** الإنسان لا يعلم شيئًا عن القوى الخارجة عنه.

📖 ولكن إذا قاومته الأفكار من داخله، فعليه أن يحاربها.

📖 وإن كان مجاهدًا فهو سيطردها من داخله.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٨٤



📖 **قال أنبا بيمين:**

📖 أفكار الزنى، وثلب الآخرين، ينبغي إلا يتكلم عنها الإنسان، ولا يُدخِلها في قلبه إطلاقًا، ولا يميل إليها. وإذا أراد أن يفكّر فيها، أو يقلِّبها في قلبه، فهو لن ينتفع، بل بالحري يصيبه الضرر.

📖 فإذا وقفتَ ضدّ تلك الأفكار بحزم، ستجد سلامًا.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٨٤



📖 **سأل أخٌ أنبا بيمين:**

📖 ماذا أفعل فإنّ الزنى، والغضب يحاربانني؟

📖 فقال له الشيخ: في هذا الأمر قال داود النبي: «سأطعن الأسد، وسأقتل الدبّ» {أنظر ١صم١٧: ٣٤-٣٧}، وهذا يعني:

📖 سأقطع عني الغضب، وأسحق الزنى، بالعمل الشاق {أي الجهاد}.

📖 **وقال أيضًا:** إذا أخذ إنسان حيّةً، ووضعها في قارورةٍ، وأغلقها فهي

تموت. هكذا الأفكار الرديئة، إذا هاجمت الإنسان، فإنّ الصبر، والجهاد، يهلكانها.

وقال أيضًا بنفس التشبيه: مَنْ يضبط فمه تموت أفكاره.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥٨٤

نقاوة القلب

قال أنبا بيمين:

إذا وُجد ثلاثة أشخاص:

أولهما يحتفظ بسلامٍ داخلي كامل وتأمل بسكون.

والثاني يشكر الله في المرض والضعف.

والثالث يخدم، ويصلِّي، ويسبّح بقلبٍ طاهرٍ، وفكرٍ متضعٍ، فعمل هؤلاء الثلاثة متساوي القدر.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦٢٠



وقال أيضًا: إذا بلغ الإنسان إلى ما قاله الرسول: «كل شيء طاهر للطاهرين» {تي١: ١٥}، فسيرى أنّ له نقائص أكثر من أي مخلوق، وأنه أقل من الكل. فسأله أخٌ: كيف يمكن أن أعتبر نفسي أكثر نقصًا من القاتل والزاني؟

فأجابه أنبا بيمين: إذا بلغ إنسان إلى هذه الآية، ورأى إنسانًا يقتل، أو يرتكب خطية، فإنه يفكر قائلاً: هذا الإنسان ارتكب هذه الخطية الواحدة، أما أنا فأرتكب خطايا كثيرة كل يوم.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦٢٠



سأل أخٌ أنبا بيمين:

هل يمكن، يا أبي، لقلب الإنسان أن يكون نقيًا بالكلية؟

فقال له: نعم هذا ممكن، إذا قوَّم {صحّح} ميول جسده يصير قلبه نقيًا. فقال له الأخ: هل يستحيل أن يصير قلبه نقيًا طالما أنه يصنع مشيئة جسده؟

📖 فأجابه الشيخ: نعم، ولكنه إذا قوَّم ميول جسده فحتى لو أراد أن يدنّس قلبه فلن يستطيع، ولكنه سيظل طاهرًا على الدوام.
كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٦٢٠

📖 **وسأله أخٌ أيضًا:** لماذا تحثني أفكاري أن أقارن نفسي بمن هو أفضل مني، وأن أحتقر مَنْ هو أقل مني؟

📖 فأجابه أنبا بيمين: يقول الرسول الطوباوي بخصوص ذلك: «في بيت كبير ليس آنية من ذهب وفضة فقط، بل من خشب وخزف {طين} أيضًا، وتلك للكرامة وهذه للهوان، فإن طهّر أحدٌ نفسه من هذه يكون إناءً للكرامة مقدسًا نافعًا للسيد مستعدًا لكل عمل صالح» {٢تي٢: ٢٠و٢١}.

📖 فقال له الأخ: كيف يمكن أن نفهم هذا الكلام؟

📖 فقال له الشيخ: يُفسَّر هذا الكلام هكذا: البيت هو العالم.

📖 والأواني هي بنو البشر.

📖 والأواني الذهبية تمثل الكاملين.

📖 والتي من فضة هي الناس الأقل من الكاملين في الأعمال النسكية.

📖 والأواني الأخرى التي من خشب وخزف، تمثل الذين لهم فضائل أقل من سابقيهم.

📖 فإذا طهّر الإنسان نفسه من كل الأمور البعيدة عن الصواب، يصير آنية كرامةٍ نقية تلائم استعمال سيده، ويكون مستعدًا لكل عملٍ صالح.
كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٦٢٠

📖 **سأل أخٌ أنبا بيمين:** ما هي الأمور العالية؟ فأجابه:" هي البر.
كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٦٢٠

📖 **قال أنبا بيمين لأبّا إسحق:**

📖 أُنقص جزءًا من برِّك، وأنت في أيامٍ قليلةٍ تكون في راحةٍ وسلام.
كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٦٢١

{١٣}
كتاب فردوس الآباء

اِنزعج الأبوان بولس وتيموثاوس {البربريان} من بعض الإخوة في الإسقيط. فقال الأب تيموثاوس لأخيه: لماذا نعيش في هذه الحالة؟، لماذا لا يتركوننا نعيش في سلام اليوم كله؟

فأجاب الأب بولس: السلام في الليل يكفينا إذا كنا نراقب أفكارنا.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٧٤٨

سأل أخٌ أنبا بيمين:

هل يمكن لإنسان أن يضبط كل الأفكار، ولا يُعطي أي واحدٍ منها للعدو؟ فقال له الشيخ: يوجد مَنْ يُعطي للعدو عشرة أفكار، ويضبط فكرًا واحدًا، والبعض الآخر يعطي واحدًا، ويضبط عشرة.

ثم أخبر أخٌ أنبا شيشوي عن قول أنبا بيمين هذا فقال: هناك البعض لا يُعطون ولا حتى فكرًا واحدًا للعدو.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٤٥٢



قال شيخ: ذهب ثلاثة إخوة إلى الأب أموي:

وقال له أحدهم: يا أبي، إن كنتُ أسهر كثيراً، وأتأمل كثيراً، أفلا أخلص؟ فلم يُجبه الأب أموي.

وقال له أخٌ آخر: يا أبي، إذا كنتُ أعمل عملاً يدويًا كثيراً، وأعطي صدقات أفلا أخلص؟ فلم يُجبه الأب أموي.

ثم قال له الأخ الثالث: يا أبي، إذا كنتُ أصوم كثيراً، وأحب الإخوة، أفلا أخلص؟ فلم يُجبه الأب أموي. فلما رأوا أنه لا يُجيبهم قالوا له: صلِّ لأجلنا يا أبانا، فنحن منصرفون.

ولكن الأب أموي لم يُرد أن يُرجعهم وهم حزانى، وقال لنفسه وهو يرغب أن يسمعه الإخوة:

إذا كنتُ أسهر وأتأمل كثيراً، أفلا أخلص؟ كلاّ إطلاقًا.

وإذا كنتُ أعمل كثيراً، وأعطي صدقات أفلا أخلص؟ كلاّ إطلاقًا.

وإن كنتُ أصوم كثيراً، وأحب الإخوة أفلا أخلص؟

حينئذ قال لنفسه: إن كنتُ لا أخلص إذا فعلتُ ذلك فكيف إذن أخلص؟ فأجاب على نفسه: يا أموي، إن كان لك قلبٌ طيبٌ {أو نقيٌّ} فإنك ستخلص.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥١١

سأل مرةً أنبا أموي تلميذه يوحنا القصير:

كيف تقاتل الأفكار الشريرة؟

فأجابه: أنا يا أبي أشبه واحدًا جالسًا تحت شجرةٍ عاليةٍ جدًا، فإذا رأى الوحوش والذئاب مقبلةً إليه، ولا يقدر أن يقف أمامها، يهرب إلى أعلى الشجرة ويخلص.

كذلك أنا أيضًا أكون جالسًا في قلايتي، فإذا رأيتُ جميع أفكار العدو الشريرة مقبلةً إلى، أهرب إلى حماية ورجاء معونة الله بالصلاة، فأخلص من يد العدو إلى الأبد.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٥١٥



سمعتُ عن أنبا أغاثون أنه قال:

إنني لا أسمح أن يدخل إلى قلبي فكرٌ رديء واحد، وقت أن أجذب مغزلي {أي ولا إلى لحظةٍ قصيرة}.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦٧٢



جاء مرةً بعض الفلاسفة إلى البرية لكي يمتحنوا الرهبان، وكان هناك راهبٌ يرتدي ملابس نظيفة. فقالوا له: تعالَ هنا، فغضب واحتقرهم. ثم مرَّ عليهم راهبٌ ليبي الأصل.

فقالوا له: أنت يا راهب، يا مَنْ لا زلتَ في الآثم وأنت في شيبتك، تعالَ هنا! فذهب إليهم في الحال، فلطموه على خدِّه، فحوَّل لهم الخدَّ

الآخر. ولما رأوا ذلك قاموا في الحال وسجدوا أمامه وقالوا: هذا هو بالحقيقة راهبٌ.

📖 ثم أجلسوه في وسطهم وسألوه: أنتم الذين تعيشون في البرية ماذا تفعلون أكثر منّا؟ أنتم تصومون ونحن أيضًا نصوم، أنتم تسهرون ونحن أيضًا نسهر، وكل ما تفعلونه نفعله نحن أيضًا، فما هو الذي تفعلونه أكثر منّا؟

📖 فقال لهم الراهب الليبي: نحن نترجَّى نعمة الله، ونحرس أفكارنا.

📖 فقال له الفلاسفة: نحن لا نستطيع أن نحرس أفكارنا.

📖 وهكذا انتفعوا ورحلوا.

📖 **سأل إخوةٌ شيخًا بخصوص القول السابق:**

📖 ما هو حفظ العقل؟ ولماذا لم يقدر عليه الفلاسفة؟

📖 فقال الشيخ: حفظ العقل هو: إلا يطيش، ولا يهتم بالأوجاع، ولا يفكِّر فيها بالجملة، بل يُبعِدها عنه مع كل فكر الخطية، ويوجِّه عقله ويوقفه قدام المسيح.

📖 إنه كل حين يذكر الله، ويتذكر خيراته، ومواعيده، ووصاياه، ووعيده. فيفرح ويبتهج لهذه، ويخاف ويرتعد من تلك.

📖 فالفلاسفة بعيدون عن هذا الحفظ كل البُعد، لأنهم وإن كانوا يتنسّكون ويصومون، فإنّ ذلك ليس من أجل الله، ولا لطلب خيراته الآتية، بل لكي تُلطَّف أجسادهم بالصوم وعدم الدسم، فتتنوّر عقولهم لفهم الفلسفة. وهم وإن كانوا يتنسّكون عن الأطعمة، فلا يقدرون أن يصمدوا أمام الأفكار الشريرة كالمتوحدين.

📖 وإن كانوا يحفظون أجسادهم من الزنى الجسداني، لئلاّ تطيش أفكارهم وينشغلوا به عن الحكمة ويُلاموا، فلا يقدرون أن يحفظوا عقولهم من الزنى الخفي الذي يكون بالفكر،

📖 لأنّ كل تدبيرهم جسداني وليس لأجل العالم الآتي.

📖 ولعدم استطاعتهم حفظ العقل، فالسكن بين الناس لا يعوِّقهم عن تدبيرهم لأنه من العالم. أما تدبير حراسة العقل الذي للمتوحدين فهو ضرورةٌ، ويحتاج إلى البُعد عن العالم، وهدوء الحواس، والصمت، وضبط الأفكار، لأنّ جميع أعمال العقل واهتماماته وهذيذه، تكون في الله والروحانيات.
كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٤٢١ ـ ٤٢٢

📖 ذهب أخٌ إلى بعض الآباء وسألهم، إن كان الإنسان عندما يفكر أفكارًا دنيئة يتنجّس. فقال بعضهم: نعم يتنجس.
📖 وقال آخرون: إنه لا يتنجّس، وإلاّ فمن المستحيل على الشعب البسيط مثلنا أن يخلص، ولكن يجب على الإنسان إلا يجعل الأفكار الدنيئة تتحول إلى أفعال.
📖 ثم ذهب الأخ إلى شيخٍ غيور ومختبِر وسأله عن هذا الأمر. فقال له: كل إنسان مطلوب منه أن يفعل على قدر طاقته. ثم توسل إليه أخٌ آخر قائلاً: من أجل الرب اشرح لي هذه الكلمات.
📖 فقال له الشيخ: افترض أنّ شيئًا شهيًّا جدًّا وُضِع هنا، وأنّ اثنين من الإخوة دخلا: أحدهما قامته الروحية عالية، والآخر قامته قصيرة.
📖 فإذا حدث أنّ الأخ المملوء قوة قال له فكره: أريد أن أمتلك هذا الشيء، ولكنه لم يحقق شهوة نفسه، بل قطعها في الحال، فهو لم يتنجّس.
📖 وإذا حدث أنّ الأخ ذو القوة الأضعف، اشتهى هذا الشيء وحرّضته أفكاره على ذلك ولكنه لم يأخذه، فهو أيضًا لم يتنجّس، ولكنه إذا اشتهاه وأخذه سيكون قد تنجّس.
كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٤٢٢ ـ ٤٢٣

📖 **قال شيخ:**
📖 ليست أفكارنا التي تطرأ على بالنا هي التي تديننا، بل التي نستخدمها استخدامًا سيئًا، ففي الحقيقة إنه بسبب أفكارنا يمكننا أن

نغرق، وبسبب أفكارنا يمكننا أن نُكَلَّل.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٤٢٣



📖 **سأل أخٌ شيخًا:**

📖 ماذا أفعل، فإنّ الأفكار التي تقاتلني كثيرة، ولا أعرف كيف أقاتلها؟

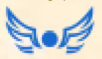
📖 فقال له الشيخ: لا تقاتلها كلها، بل واحدًا منها فقط، لأنّ جميع الأفكار الشيطانية لها رأسٌ واحدة فقط، ومن الضروري أن يعرف الإنسان هذه الرأس ويقاتلها هي وحدها، وبعد ذلك تنهزم بقية الأفكار بالضرورة.

📖 تمامًا كما أنه في الحرب إذا ظهر في أحد الطرفين إنسانٌ جبّار، فإنّ رجال الطرف الآخر يستعملون كل ما في قدرتهم لكي يواجهوه برجلٍ جبارٍ أقوى منه، فإذا تمكّن من الإطاحة بهذا الرئيس، فإنّ الباقين يهربون ويُهزَمون.

📖 هكذا أيضًا فإنّ الأفكار التي تأتي من الشياطين، لها رأسٌ واحدة، سواء كانت زنى، أو حياة استهتار، أو محبة فضة، أو التجوال من مكانٍ إلى آخر؛ لأنك إذا تعرَّفتَ على هذه الرأس وطاردتها، فهي لن تضلِّلك، ولا تجعلك تضلّ عن الأفكار الأخرى.

📖 فلما جاء إلى الأخ ذلك الفكر الرئيسي ونهض وقاتله، تعرَّف عليه وقاتله هو وحده.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٤٢٣



📖 **سأل إخوةٌ شيخًا:**

📖 ما هو رأس تلك الأفكار {المذكور في القول السابق}؟

📖 فقال الشيخ: إنّ التذكار القبيح هو الذي يحرّك فينا شهوةً، أو غضبًا خارجًا عن الطبع. والطوباوي مرقس {الناسك} يسمِّي هذا الفكر خداع الشيطان وحيلته. وأيضًا تذكُّر الأمور غير الإرادي.

📖 وبالجملة فإنّ الشيخ قصد بذلك أول فكرة في القتال لأنها هي سببه.

📖 فإن كان الأخ مستيقظًا يصلّي سريعًا بتوجُّع، فتنصرف عنه هذه الفكرة، ولكنه إذا قَبِل هذا الفكر الواحد الذي من الشيطان واتفق معه في خداعة، حينئذٍ تكثر عليه الأفكار الشريرة، ويتشوّش ذهنه ويُظلِم، فإذا أراد بعد ذلك أن يقاتل معها كلها يصعب ذلك عليه.

📖 **بخصوص الأفكار الرديئة قال نفس الشيخ:**

📖 أتوسل إليكم يا إخوتي، أننا كما نقطع عنا الأعمال الرديئة فلنقطع أيضًا الرغبات، لأنه ماذا نكون نحن؟ صوتٌ صادرٌ من مجرد تراب الأرض. إنّ يوسف الرامي لما طلب أن يأخذ جسد يسوع أنزله من على الصليب ولفّه في لفائف من كتّانٍ نقي ووضعه في قبرٍ جديد. إنّ القلب النقي هو القبر الجديد للإنسان الجديد.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٤٢٣ ـ ٤٢٤

📖 **سُئل شيخٌ:** كيف يجد الإنسان الله: بالصوم، أم بالأعمال، أم بالتيقُّظ، أم بالرحمة؟

📖 فقال: بواسطة هذه كلها، بالتأكيد إذا امتزجَتْ بالإفراز.

📖 بل إنني أقول إنّ كثيرين عذّبوا أجسادهم بدون إفراز، ثم رحلوا عنا دون أن يربحوا شيئًا.

📖 إنّ أفواهنا تصير عفنة من العطش، ونحن نردِّد الأسفار المقدسة بأفواهنا، ونعبر على جميع مزامير داود النبي في خدمتنا، أما ما يتطلّبه الله، وما هو ضروري فلا نملكه، أي الكلمة الطيبة من كلٍّ منا للآخر. لأنه كما أنّ الإنسان لا يمكنه أن يرى وجهه في المياه المضطربة، هكذا النفس إن لم تتطهّر من الأفكار الغريبة، فلا يمكنها أن تظهر أمام الله في الصلاة.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٤٢٤

📖 **قيل إنّ أحد الشيوخ:**

📖 كانت له أتعابٌ شديدة في جهاده، وحدث مرةً، عندما كان يرتل

المزامير ويصلِّي، أنّ أحد الآباء القديسين اقترب من قلايته، وسمعه يصارع مع أفكاره قائلاً: حتى متى؟

وكيف تتلاشى هذه كلها من أجل كلمة واحدة؟

فظن الأب أنّ الشيخ كان يتشاجر مع إنسانٍ آخر، فقرع على الباب لكي يصالحهما، ولكنه لما دخل لم يجد أحدًا آخر معه.

ولأنه كان صديقًا للشيخ قال له: مع مَنْ كنتَ تتشاجر يا أبّا؟

فأجابه: مع أفكاري، ففي الحقيقة إنه أمكنني أن أتلو أربعة عشر سفرًا من الكتاب المقدس عن ظهر قلب، ولكنني سمعتُ كلمةً رديئةً واحدة من الخارج، ولما بدأتُ أصلِّي جاءت تلك الكلمة ووقفَتْ أمامي، وأبطلَتْ تلك الأسفار كلها، ولذلك كنتُ أُصارع مع أفكاري.

فلما سمع القديس ذلك تعجّب من روحانية الشيخ ونقاوة قلبه، وكيف أنه أعلن له بصراحةٍ عن صراعه.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٤٢٥



قال شيخ:

ما يعنيه قول الكتاب: «هكذا قال الرب: إنني أرجع عن ذنبين لصور، وحتى عن ثلاثة، ولكنني لن أرجع عن أربعة» {عا١: ٩} هو هذا: الذنوب الثلاثة هي: فكر الشر، والاستسلام له، والنطق به.

أما الرابع فهو عمل الشر بالفعل، وهو الذي لن يرجع غضب الرب عنه.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٤٥٣



قالت أما سنكليتيكي:

كما أنّ الكائنات السامّة تطردها أكثر العقاقير مرارةً، هكذا أيضًا الأفكار الشريرة تطردها الصلاة المقترنة بالصوم.

كتاب فردوس الآباء ـ القديسة الأم سنكليتيكي ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٦٩

أعطى الأب غريغوريوس جوابًا ضد الأفكار وقال:

📖 يا إخوتي، بقدر ما نكون قد اجتزنا قامة الأطفال، فلنكفّ عن أن نكون أطفالاً في أذهاننا. بمعنى أننا فلنتحرر من عادات الشهوات البذيئة المتهاونة،

📖 فمن المخزي لنا إن كنا بعد أن اجتزنا مرحلة الطفولة، وتقدّم بنا العمر، لم تفارقنا الأمور المخزية!

كتاب فردوس الآباء - القديس غريغوريوس الثيئولوغوس - الجزء الثالث - صفحة ٩٤

{١٤}

كتاب حياة الصلاة

تنقية القلب

📖 «فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة» {أم ٤: ٢٣}.

📖 هذا يعني إلا نفقد التفكير في الرب لأي سبب كان.

📖 ولا أن أفكار العالم الزائل تحجب ذكر عجائبه عنا، فنحمل فكر الله المقدس أينما سرنا، كختم ثابت لا يمحى، مطبوع في قلوبنا بتذكار دائم. هكذا نستطيع أن نقتني حب الله على الدوام، الذي يدفعنا لتكميل وصاياه بالفرح، فتلذ لنا الوصايا ويدوم لنا الحب.

القديس باسيليوس الكبير

📖 لقد حبتنا الطبيعة الطاهرة، حب ما هو طاهر وجميل.

📖 أما بخصوص جمال الله الفائق، فنحن لا نستطيع تذوق جماله العجيب، إلا إذا تطهر القلب من كل ما هو باطل، وحينئذ تشتعل فينا هذه اللذة – الروحية، لأنها باقية حية غير محصورة، كشهوة طاهرة مغروسة فينا تصبو على الدوام في حنين نحو منبعها، وتشتاق إلى صاحب ذلك الجمال الفائق: «إني مريضة حبة.» {نش ٥: ٢}

القديس باسيليوس الكبير

«من الأعماق صرخت إليك يا رب» {مز ١: ١٣٠}.

ما معنى «من الأعماق»؟

إنها ليست هي صلاة الشفتين، أو مجرد تحريك اللسان، التي تخرج دون أن يكون للفكر، أو القلب نصيب فيها!

إنها صلاة عمق القلب، ومن أساسات النفس بحرارة شديدة، وغيرة متقدة. مثل هذه الصلاة تستقيم صاعدة أمام الله بشدة وبأس، ولا يمكن أن تتزعزع، أو تطيش، حتى ولو هاجمها الشيطان بكل ما أوتي من جرأة وتوقع.

ولكن تلك الصلاة الهزيلة التي تخرج من الفم فقط، التي يكون مبدأها اللسان، ونهايتها الشفتين، هذه لن تصل إلى الله، لأن القلب لم يشترك فيها، وكل من يصلي هكذا، فهو الذي تتحرك شفتاه، وقلبه فارغ، وعقله بليد متكاسل.

القديس يوحنا ذهبي الفم

الرب لا يطلب تنسيق الكلام، ومهارة تركيب الألفاظ، بل يطلب حرارة النفس وغيرتها. وكل من يتقدم بهذه الغيرة والحرارة، ويتكلم أمامه بما يشعر به، وهو راض عما يقدمه، يخرج من لدن الرب، وقد نال كل شيء. ليتنا نعرف ما هي الأشياء التي تدنس الإنسان، وحينما نعرفها نهرب ونفر منها.

نرى الذين يأتون إلى الكنيسة، يعتنون جيدا كيف يأتون بثياب بهية نظيفة، مغتسلي الأيدي والوجوه، ولكن كيف يقدمون نفوسة نقية طاهرة أمام الله، هذا لا يعنون به، لا في كثير، ولا في قليل.

الست أقول هذا لأمنعهم عن غسيل اليد، أو الفم، ولكن أريدهم أن يغتسلوا كما يجب من الداخل والخارج، ليس بالماء فقط، بل بالفضائل أيضاً!!!



📖 لأن قذارة الفم الحقيقية هي الكلام الخبيث، والخداع، والشتيمة، وكلام الغضب، وكلام السفاهة، والضحك، والمزاح.

📖 فإذا تيقظنا لأنفسنا، وتنقينا من هذه الأدناس - التي منبعها القلب - حينئذ نستطيع أن نقترب إلى الصلاة في ثقة!

📖 أما إذا كنت قد اتسخت بهذه الأمور، فلماذا إذن هذا الجهد والعناء باطلا! تغسل فمك بالماء، وتجهد نفسك مرارة كثيرة، وبعد ذلك تملأه بكل قذارة الألفاظ ووسخ الحديث المميت!

📖 أخبرني: إذا حملت زبلاً على يديك أو طينا، أتجرؤ أن تقف وتصلى؟ كلا بلا شك، مع أن ذلك لا يدنسك بقدر الأعمال، والأقوال التي تأتيها، والتي فيها كل الضرر والهلاك! ما هذا، إلا نصلي إذن؟

📖 كلا، بل نصلي، ولكن ليس ونحن ملوثون بهذا الطين، والوسخ الداخلي! وماذا أعمل وقد لحقني هذا الأمر؟ اغتسل وطهر ذاتك.

📖 كيف وما هي الوسيلة؟ ابكي، تأوه، قم اعتذر لمن أهنته وصالحه، قدم الصدقة، اغسل لسانك ونظفه جيدا من كل ما يغضب الله، لئلا بصلاتك تهين الله، وتغيظه بالأكثر.

📖 لأن من يمسك زبلا وطينا، وأراد أن يمسك بقدميك ليتوسل إليك، فإنك تطرده طبعا دون أن تسمع إليه. فكيف تجرؤ إذن، وأنت بمثل هذه الحالة أن تقترب من الله؟ فلسانك هو اليد التي تمدها في الصلاة!

📖 فلا تدنسه لئلا يقول لك: «يا صاحب كيف دخلت إلى هنا؟ ... خذوه اطرحوه في الظلمة الخارجية» {مت ١٢: ٢٢ و١٣}

📖 وإذ ذاك «إن أكثرتم الصلاة لا أسمع» {إش ١٠:١}

📖 لأن «الموت والحياة في يد اللسان» {أم ٢١: ١٨}.

📖 «وبكلامك تتبرر وبكلامك تدان» {مت ٣٧: ١٢}.

لذا أنا آمرك {من قبل الرب} أن تحفظ لسانك أكثر من حدقة عينك! فاللسان هو الحصان الملكي، فإذا أسرجته حسنا، ودربته أن يخطو بانتظام وترتيب، فالملك سيجد فيه راحته، ويأخذ مكانه عليه.

أما إذا تركته يجمح بلا ترتيب هنا وهناك، ويندفع ويقفز بجهالة وبلا مبالاة، فسيصير وحشا مهيأ المطية للشيطان، والأرواح النجسة.

ولا تهن لسانك! وإلا فكيف يتوسل من أجلك، وقد فقد ثقته وشجاعته الأدبية؟

زينه يا أخي بالاتضاع، واجعله أهلا للوقوف أمام الله.

املأه بالنعمة، وكلام الرحمة والسلام.

زينه بالتبريك من أجل كل شيء.

وكل أيام حياتك جمله بحلاوة ترديد وصايا الله: «إن كان أحد فيكم يظن أنه دين وهو ليس يلجم لسانه بل يخدع قلبه فديانة هذا باطلة» {يع ٢٩: ١}، ونحن إذ قد زينا أنفسنا هكذا، نأتي إلى إلهنا، ونخر عند قدميه، ليس بالجسد فقط، ولكن أيضاً بالعقل.

ليتنا نعتبر من هو الذي نقترب إليه، وإلى من نتوب.

فنحن نقترب كثيراً من الله، الذي يتطلع إليه الساروفيم، فيديرون وجوههم غير مستطيعين التفرس في بهائه، والذي من منظره يرتعب الشاروبيم. نحن نقترب كثيرة من الله «الساكن في نور لا يدني منه» {١تى ١٩: ٦}.

باقترابنا إليه عتق من الجحيم، وننال غفران الخطايا، وننجو من العذابات غير المحتملة، ونرتفع إلى السماء، ونمنح أشياء سماوية.

أقول ليتنا نخر أمامه بالجسد، والعقل كليهما حتى يرفعنا عندما يرى انخفاضنا، وإذا تحدثنا إليه، ليتنا نتحدث بكل خشوع، ولطف، ووداعة.

القديس يوحنا ذهبي الفم



يجب أن نصلي ليس فقط باللسان، ولكن بالقلب، بأن تخرج الصلاة أولا من القلب. لأننا في الصلاة نقدم ما في قلوبنا، من رغبات، وأشواق، ومشاعر.

لهذا يجب أن نفكر بالعقل، ونشعر بالقلب، في كل كلمة، ورغبة يقدمها اللسان، أو تتلفظها الشفتان، وإلا أصبحت صلاتنا كلاما فقط.

القديس الأسقف تيخون

أعمال جسدية دون طهارة عقل، كرحم عاقر، وثدي ناشف.

لأن بأعمال الجسد وحدها، لا يتقدم الإنسان أي خطوة نحو الله.

فهي إجهاد للجسد بلا نفع. وهي لا تقوى حتى على استئصال أهوية القلب المنحرفة، ونزعاته المريضة، ولهذا فهي غير نافعة لشيء قط.

مار إسحق السرياني

إذا سأل إنسان في الصلاة من أجل النجاة من تجارب، أو الراحة من أتعاب، أو قتال، أو طلب النصرة على البلايا والمحن، أو حتى نوال الفضائل، وغبطة النعمة، وحرارة وفرح الروح. ويطلب بغرض مستقيم، وقلب حزين، فالله يتنازل ليكمل إرادة ذلك الإنسان، ويمنحه رغباته.

أما بخصوص الأسرار التي للروح ومواهب وبركات الصلاة الروحية، ودخول العقل خلف حجاب قدس الأقداس، وإدراك كنه الميراث الذي لا يضمحل، فإذا لم يدفع الإنسان ثمنها، وما هو مستحق عليها، فالله لن يعطيها، حتى ولو قامت الخليقة كلها تتوسل نيابة عنه! أما استحقاقاتها فهي طهارة {نقاوة} النفس!

مار إسحق السرياني



سؤال: ما هي نقاوة النفس؟

الجواب: هي قلب مملوء رحمة نحو الخليقة.



سؤال: وما هو القلب الرحيم؟

📖 **الجواب:** هو القلب الذي يتحرك بالرحمة، فتئن أحشاؤه بإشفاق بالغ نحو كل الخليقة، بما فيها من إنسان، وحيوان، ووحوش، ودبيب، وكل ما هو كائن حي، حتى أنه من مجرد التفكير في ضعفها، يذرف الدمع ويبكي

📖 ويصير القلب رقيق الإحساس، إلى درجة لا يقوى فيها على سماع، أو رؤية أذية تلحق إحدى هذه الخلائق! وهو يتقدم نائبا عنها، مقدما صلوات بدموع على الدوام من أجلها، سواء كانت هذه المخلوقات عاقلة، أو غير عاقلة، لكي الرب يحرسها، ويشددها.

مار إسحق السرياني



📖 إذا كنت تنقي القلب، فحينئذ تكون السماء داخلك.

📖 وترى في نفسك الملائكة، ورب الملائكة أيضاً.

مار إسحق السرياني



📖 الله نار يضرم القلب كلهيب.

📖 فإذا شعرنا بالبرودة في قلوبنا، فهذا يعني أن العدو اقترب منا.

📖 لأن الشيطان برودة، وعلينا حينئذ أن نصلي إلى الرب، حتى يأتي ويلقي ناره في قلبنا، للمحبة نحوه، ونحو القريب، لأن إزاء وجه الله الكلي الدفء، يهرب الشيطان، وتنقشع برودته من القلب.

الأب سيرافيم



📖 كلما تنقي القلب وتطهر، اتسع وكبر، واستطاع أن يجد مكانا أوفر لأحباء أكثر. بيد أنه كلما تلوث بالإثم، ضاق، وأستضاق، فلا يستطيع أن يحمل إلا ذاته، إذ يكون مشغولا بحب نفسه.

📖 نحن نحب ذواتنا في أشياء، لا تتناسب قط مع أنفسنا الخالدة: من ذهب، وفضة، وطعام، وشراب، وسكر، وزني، وما شابه.

الأب يوحنا {ك.}



📖 يجب علينا كمسيحيين أن نكون ذوي قلوب نقية، حتى نستطيع بما وهب لنا من إنارة عيوننا القلبية، أن نتمتع بحب الله، وكمالاته، وجمال الملائكة، ومجد العذراء، وبهاء نفسها كأم لله الكلمة، ومن أنفس القديسين وحبهم لنا.

📖 كذلك حتى نستطيع أن نتنعم بحقائق الإيمان المسيحي، وندرك عظمة أسراره، وبنقاوة قلبنا ندرك كل ما في أنفسنا من عيوب.

📖 أما القلب غير النقي، والمشغول بشهوات هذا العالم، فلا يتمتع إلا بشهوة العيون الجسدية، وتعظم هذا العالم، فلا يرى شيئا مما ذكرناه.

الأب يوحنا {ك}

📖 إنه مدهش ويستحق العجب، كون الذي لا تستطيع الملائكة أن تنظر إليه، ولا ينطق به البشر، أو يدركه عقل ما، يتنازل بدخوله قلب الإنسان، ويسكن فيه! هو مخفي عن الأعين النارية التي للساروفيم، ويري ساكنا في مخادع القلب!

📖 الأرض لا تقوى على حمل خطواته، والقلب النقي يحمله داخله!

📖 السماء أصغر من أن تستقر على كفه، ويجد في القلب متسعا لسكناه!

📖 كل الخليقة لا تستطيع أن تحتويه بأقصى حدود اتساعها، وإذا طلبه قلب صغير، فهو يسعه ويحتويه! لقد اختار الله مكانة صغيرة في الإنسان لسكناه، فإذا حل فيه، صار الإنسان كله هيكلا لله!

📖 النفس هي هيكل الله، والقلب هو المذبح المقدس، الذي عليه تقدم ذبائح التسبيح، والحب الطاهر، والعقل هو الكاهن الذي يقوم بشرف الخدمة هناك.

مار إفرام السرياني

📖 كيف استطاع آباؤنا النساك، والحكماء، أن يشعلوا في ذواتهم روح الصلاة، ويثبتوا مقيمين فيها؟ كان الشيء الأول الذي فتشوا عليه وطلبوه، هو أن يبقى القلب ملتهبا دائمة نحو الله بلا انقطاع!

والله يحتاج إلى القلب لأن منه منبع الحياة، وحيث يكون القلب بنبضاته الحية، يكون الصحو، والانتباه، والعقل، وكل الحواس.

فحينما يكون القلب مع الله، تكون النفس فيه أيضاً، ويقف الإنسان أمامه كعابد حقيقي، بالروح والحق.

الأسقف ثيوفان الناسك

وكما أن كل قوة الأحكام والوصايا، التي وضعها الله لجنس البشر، تحدها نقاوة القلب، هكذا أيضاً كل أنواع الصلاة، التي يصلي بها بنو البشر، تحدها الصلاة النقية.

مار إسحق السرياني

بمداومة حفظ القلب، تتولد فيه النقاوة، التي بها يرى الله، حسب شهادة الرب: «طوبي الأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله» {مت ٥:٨}

الأب سيرافيم س.

يجب أن تتحلى نفسك بثوب مشرق البياض، ليس فيه أثر للانقسام والتعقيد، خال من أفكار الشر، أو النفاق، والتظاهر لإرضاء الناس، أو تشامخ الفكر، أو إخفاء الشهوة في القلب، هذه لطخ سوداء تلوث ثوب النفس، وتعطيه رائحة العبادة الفريسية.

الأسقف أغناطيوس ب.



سؤال: ما هي العلامة التي تدل، على أن الإنسان قد وصل إلى نقاوة القلب؟

الجواب: حينما يرى كل الناس في نور جميل، دون أن يتراءى له أي إنسان، أنه دنس، أو نجس، مثل هذا الإنسان يكون قد وصل إلى النقاوة. هذا تحققه كلمة الرسول: «حتى تفتكروا فكرة واحدة بنفس واحدة مفتكرين شيئا واحدا. لا شيئا بتحزب، أو بعجب، بل فليحسب بتواضع كل منكم صاحبه أفضل منه» {في ٢: ٢ و٣}.

📖 وقول بطرس الرسول: «وأما أنا فقد أراني الله، إلا أقول عن إنسان ما أنه دنس، أو نجس.» {أع ٢٨: ١٠}

📖 فما هي النقاوة إذن، وما هو حدها؟

📖 النقاوة هي تجاهل كل أنواع المعرفة، التي ليست في الأصل من طبيعة النفس النقية، بل أوجدتها طبيعة العالم وحكمته الغاشة.

📖 أما حدها فهو أن نتحرر من هذه المعرفة الغريبة عن الطبع الروحاني، إلى درجة نصل فيها إلى البساطة الأولى، وكمال الطبيعة التي للطفل.

مار إسحق السرياني

📖 لذلك يجب على المسيحيين، أن يجتهدوا دائما، إلا يفرط منهم حكم على أحد، لا على الزانية التي على قارعة الطريق، ولا على الخطاة الظاهرين بأعمالهم.

📖 بل يرى كل الناس على وجه العموم بنية طاهرة، وعين نقية، حتى يصير كناموس ثابت طبيعي في النفس، إلا تحتقر أي أحد، أو تزدري بأحد، أو تميز بين واحد وآخر.

📖 فإذا رأيت إنسانا فقد إحدى عينيه، أنظر إليه كمن هو سليم.

📖 أو إذا كان مبتور الذراع، أو الرجل، فلا تتفرس فيه كمن به عيب، بل أنظر إليه كأنه صحيح معاني.

📖 كذلك المفلوج، والأخرس، والأصم، وكل من به نقص.

📖 هذه هي نقاوة القلب، حينما ترى خطاة، أو مرضي، فلتكن فيك شفقة عليهم، وليكن لك معهم حنان ورأفة.

أبا مكاريوس الكبير

📖 فيلزم أن تطلب مصباحا تنيره، لتصل إلى حقيقة نفسك الطاهرة، وأفكارك النقية بطبعها الأول.

أبا مكاريوس الكبير

📖 **صل {قائلاً}**: يارب امنحني قلبا بسيطا، رحيما، طاهرا، مؤمنا، محبا، كريما يستحق أن يكون مكان لسكناك، أيها المنعم العظيم.

الأب يوحنا. ك.

📖 النفس النقية ترى الله في كل نفس أخرى، كما أعلم الله بطرس حين كان في يافا، واقفا على السطح يصلي، لأنه ليس من أجل البهائم والوحوش صار له الصوت والرؤيا، أن «ما طهره الله لا تنجسه أنت»، بل لينظر إلى كل الناس كأنهم أطهار، لذلك قال بطرس بعد أن تلقن وتعلم من الروح القدس: «وأما أنا فقد أراني الله إلا أقول عن إنسان ما أنه دنس أو نجس» {أع ٢٨: ١٠}.

📖 كذلك أنت يا محب الإله، قم صل لتتعلم نقاوة النفس، لترى كل الناس أطهارا. قم اصعد على سلم النفس، وارتفع إلى الطابق الأول منها، الذي هو أعمال الجسد، وصنع الفضائل، وحينئذ يمكنك الارتفاع إلى الطابق الثاني من نفسك، الذي هو ضبط العقل، والتسلط على الأفكار.

📖 فإذا ضبطت فكرك بالطهارة، وصار هذيذك في الله فقط، حينئذ ترتفع إلى الطابق الثالث، الذي هو نقاوة النفس، فترى وأنت قائم تصلي كمثل بطرس على السطح، أن كل شيء طاهر للطاهر!!

📖 فإذا نظرت أناسا أشرارا، وفسقة، أو نمامين، وشتامين، أو متوانين، ومتكاسلين، فلا تظن أنهم من طبع البهائم خلقوا، بل اعلم أنهم من الله أتوا إلى الوجود!، وحينئذ يصيرون أطهارا في عينيك!

📖 وإذا نظرت أناسا جهلة، وزناة، وعبدة أوثان، فلا تقل في نفسك أنهم مثل الكلاب، والخنازير، بل اعلم أنهم على شبه الله خلقوا، وهم له إن قاموا أو سقطوا.

📖 والمسيح لما علمك أن تزور المسجونين، أرادك أن تفهم أن الذين في الحبس هم المسيح بالحقيقة: «كن محبوسا فأتيتم إلى»، لأنه «بما

أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم» {مت ٢٠: ٣٦ و٤}. ونحن نعلم أنه لا يكون في الحبس غالبا، إلا عاملو الشر، والسارقون، والزناة، والسحرة، والقتلة.

إذن، فالمسيح أراد أن يعرفك أن تنظر إلى فاعلي الشر كالأبرار.

والا تحكم على أحد بأنه دنس، أو نجس، أو شرير.

فهو يطلب نقاوة قلبك، مع نقاوة عينك.

وإذا نظرت قوما مسيحيين، وقوما يهود، وقوم وثنيين، فبعين المحبة أنظر للجميع كأنهم واحد، لأن المسيح قد مات من أجل الجميع. وهكذا إذا نظرت جميع الخليقة بفكر طاهر ـ ونفس نقية ـ ورأيت أن الكل طاهر أمام عينيك، فاعلم أن المسيح حقا ساكن فيك.

الأسقف أندريانوس

إن كنت قد ولدت بالمسيح حقا، فكل مولود من المسيح هو أخوك، فإن أحببت نفسك أكثر من أخيك، فهذه الزيادة التي لك ليست من المسيح.

الشيخ الروحاني

الصديق يلقي همه على الرب، من أجل هذا - بغير شفقة على نفسك - قم وفرق وأعطى المساكين، لأن يد الرب مفتوحة أمامه، وهي مملوءة على الدوام، فيأخذ ويعطي بسذاجة وبغير هم.

الشيخ الروحاني

احذر من أن تكون جالسا وتفكر في إدانة أخيك، فهذا يستأصل جميع أعمال الفضيلة، ولو كنت قد ارتفعت إلى حد الكمال.

مار إسحق السرياني



نقاوة الفكر شيء، ونقاوة القلب شيء آخر.

والفرق بينها كالفرق بين عضو واحد من الجسد، وجميع الجسد.

فالفكر هو أحد حواس النفس.

🕮 والقلب هو ضابط كل الحواس الداخلية، وهو أصل كل الحواس.
🕮 فإذا كان الأصل مقدسا، فكل الأغصان مقدسة أيضاً.
🕮 إذ ما تنقي القلب، دامت نقاوتـه دون أن تتسـخ سـريعا، لأنـه يقتنيهـا بصعوبة، وبضيقات كثيرة.

مار إسحق السرياني



🕮 القلب الغاش لا يتنق أبداً.
🕮 كل شـهوة خاطئـة انضـبط القلـب بحبهـا، وشـغف بهـا، بـألف حيلـة وجهاد أعمال كثيرة، ور بوات صلوات، ودموع ينعتق منها.
🕮 الذي اقتنى الفضائل العظيمة مثل الصـوم، والسـهر، والنسـك، ومـا اقتنى حراسة القلب، واللسان، فهو يعمل في الباطل، ويتعب للريح.
🕮 لأنك إذا وضعت كل أعمال التوبة في كفة، والتدقيق، وحفظ القلـب، وتنقيته في الأخرى، لرجحت الأخيرة.
🕮 إذا حفظت عينيك، وأذنيك، ولسـانك، لكـيلا يـدخل إلـى قلبـك شـيء باطل، يتنقى قلبك سريعة. النفس التـي ابتـدأت تحمـل الثمـار البهجـة، هي التي تحررت من الضـيق، والكآبـة، والضـجر، واتسـعت لتحمـل السلام، والفرح بالله.
🕮 وفتحت القلب رحبا لمحبة سـائر النـاس، وجلسـت علـى بابـه تطـرد كلام الفكر «هذا صالح، وذاك شرير»، «هذا بار وذاك خاطئ»
🕮 ثـم قامـت لـتجلس علـى عـرش القلـب، لترتـب فكـر الضـمير، مـع التمييز، وتصلح حواسها بالنقاوة، لئلا يفلت واحد منها، فيشتعل خلسة بالغضب، أو الغيرة، أو الحسد، فتظلم بقية الحواس.

🕮 إذا كنت مشتاقا لسلامة القلب النقي، وهدوء الضمير، اقلع من قلبـك شجرة معرفة الجيد والرديء، التي أمر الله أول جنسنا إلا يأكل منها، لئلا يموت!!

📖 إذا جلست تفرز بين أخلاق الإخوة، وتدابير سيرهم، فإنك بالضرورة سوف تخسر كثيراً، لأنك ستدين الناس، وبدون أن تشعر تلوم مدبر الخليقة، وتبرر نفسك، فتسقط في الكبرياء.

📖 أنظر كم من الخطايا ولدتهم، هذه الشجرة القاتلة!

مار إسحق السرياني



📖 احذر أن تنتقد أعمال الناس. احذر من الظنون، والعظمة، والجدال في البدع، وفي أقوال الناس المنحرفين.

📖 بعد جهد تجد قليلين من الأفراد استطاعوا أن يرذلوا وفرة العلم الذي اقتنوه، ويختاروا عليه البساطة، وسذاجة القلب. هؤلاء هم أكاليل في تاج الملك.

📖 إن مسرة الله هي أن نكون أنقياء مثلما خلقنا.

📖 فنحن نحزنه حينما نغير الشيء الذي خلقنا عليه.

📖 فالنفس على صورة الله النقية خلقت، إلا أننا أبدلنا هذه النقاوة بما يخالفها، لأنها يوم خلقت كانت فيها استطاعة أن تنظر الله بدالة، ونحن ضللنا بعيدا عنه، وتعبدنا لآلام العالم والجسد!

📖 بارك دائما بفمك، ولا تذم أحدة، فلا تذم أنت من أحد قط، لأن النميمة تولد مذمة، والبركة تجلب بركة.

📖 لا شيء يستطيع أن ينقي القلب، ويقربه إلى الله مثل الرحمة!

📖 والأفضل لك أن يدعوك الناس إنسانة عاميا، من أجل بساطة يدك في العطاء، بغرض مخافة الله، وليس لطلب المديح، ولا يدعونك حكيما رزين العقل، لأجل عدم اضطرابك مع كل أحد!

مار إسحق السرياني



📖 أحب المساكين، فإنه بتوسطهم لك تحظى برحمة الله!

📖 لا تكره روائح المرضى، لأنك أنت أيضاً ذو جسد؟

📖 لا ترذل المنسحقين، موسرين كانوا أو معسرين، لئلا تضرب بالعصى التي بها ضربوا، وتطلب معزيا فلا تجد؟

📖 لا تشمئز من المتطوعين، وذوي العاهات، لأن ذلك لا يحدرهم إلى الجحيم! أحب الخطاة، وامقت أعمالهم، ولا تردهم من أجل زلاتهم، لئلا تمتحن بما امتحنوا به

📖 أذكر أنك من الطبيعة الآدمية، وشريك للخطاة في نتن الخطية.

📖 اتبع البساطة كتعليم الصيادين المستقيم الخالي من الغش.

📖 إن كنت نقي القلب، رحيما بالحق، فإذا ما انتزع منك مالك ظلمت فلا تحزن من داخل، ولا تشرح خسارتك لآخرين، بل لتكن خسارتك بمشيئتك، مغتفرة برحمتك، مستورة بصدقتك! فينغلب ظالمك كما تنغلب جمرة النار في وسط مياه كثيرة!

📖 أظهر أنت علامة نقاوة قلبك، بمقابلتك الشر بالخير، والبشاشة.

📖 اقبل مثلبة الكلام، والظلم الواقع عليك كأنه حق، ولا تهتم كيف تقنع الناس أنك شتمت، أو ظلمت، بل اسأل واطلب العفو؟

📖 ابسط جناحك على المذنب.

📖 وإذا كنت لا تستطيع أن تحمل أوزاره، عليك فبالأقل استره.

📖 إن كنت لا تقدر أن تسد فم المتكلم على إنسان بالشر، فلا أقل من أن تحفظ فمك من مشاركته في هذا الأمر؟

📖 إذا قيل فيك رديئة، وتعب ضميرك وتألم، فمهما قدمت من صلاة ودموع، لا ينعتق ضميرك من التحرك بالغضب، وتتعصر نفسك بالهم، إلى أن تعتقد تماما أنك أنت المخطئ والمسيء، سواء أخطأت، أو لم تخطئ!

مار إسحق السرياني

📖 الذين يتراءون أمام الرب في الصلاة، ولا يتقدمون بكل قلوهم، بل يكونون ذوي رأيين، وجميع ما يصنعونه إنما يصنعونه حتى ينالوا المجد من الناس، فهؤلاء لا يستمع الله لهم في شيء ما من طلباتهم، بل بالأكثر يغضب عليهم.

أبا أنطونيوس الكبير



📖 «طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله»

📖 لأنه بغير طهارة الجسد، ونقاوة القلب، لا يستطيع أحد أن يكون كاملا. فاحرصوا يا أولادي أن تنقوا قلوبكم من الحقد والغضب، بعضكم على بعض، لئلا يفاجئكم الموت فتعدوا مع القتلة: «لأن من يبغض أخاه فهو قاتل نفس».

📖 ومن ظلم منكم، فليقبل ذلك بفرح، ويعطي الحكم للحاكم العادل.

📖 ومن ظلم رفيقه فليسرع إليه، ويتضرع أن يغفر له، ولا تدعوا الشمس تغرب على غيظكم.

أبا أنطونيوس الكبير



📖 إن الشرط الأساسي لنجاح الصلاة، هو تنقية القلب من الشهوات عموما، ومن التعلق بأي شيء محسوس أيا كان.

📖 بدون هذا تظل الصلاة في درجتها الأولى، أي درجة التلاوة.

📖 وبقدر ما تنتقي قلبك، بقدر ما تنتقل من صلاة التلاوة، إلى الصلاة العقلية المتحدة بالقلب.

📖 حتى إذا ما أصبح القلب نقيا تماما، فحينئذ ترى أنه هين عليك أن تدوم في الصلاة بلا انقطاع! وكيف تبدأ العمل؟

📖 في الكنيسة تابع الخدمة بانتباه، واربط أفكارك ومشاعرك، بأفكار ومشاعر الخدمة ذاتها. في البيت أيقظ في نفسك مشاعر الصلاة، وحاول أن تداوم على إنماء روح الوجود في حضرة الله.

الأسقف ثيوفان الناسك

كتاب حياة الصلاة الأرثوذكسية - البـاب الثاني - نواحي النشاط الداخلي الصّلاة - الفصل الثاني: تنقية القلب - صفحة ٢٨٨ - ٢٩٩



{١٥}
القديس أنبا باسيليوس

في حراسة الأفكار

📖 ما هي العلاقة بين النفس والعقل؟ وبين النفس والجسد؟

📖 الدرجات الروحية العالية التي يصل إليها الإنسان، إذا صار العقل والجسد في الوضع الطبيعي. كيف ينشأ الانحراف؟

📖 القوتان اللتان للنفس، وعمل وطبيعة كل منهما، ولمَنْ تكون القيادة للسير في النهج القويم. ليس الجسد هو علة الشر كما يعتقد قوم.

📖 كيف تروِّض النفس حركات الجسد.

كل هذا يشرحه القديس باسيليوس الكبير في هذا الباب
عاملاً على تبسيطه بعرض مثال مفهوم

📖 قبل كل شيء ينبغي لنا أن نضبط الأفكار بكل وسيلة، ونتيقظ، ونحترس، ونتأمل قلوبنا بكل ثبات، لئلا نسمح لنفوسنا فلا نلجمها عن الميلان إلى آلام الجسد، بحركات غير جيدة.

📖 **النفس والعقل:**

📖 نور الجسد هو العين، وبصيرة النفس هي العقل المخلوق فيها بالطبع، ولست أقول إن العقل هو غير النفس كأنهما منفصلان أحدهما عن الآخر، كلا.

📖 بل أن النفس، هي والعقل مرتبطان باتحاد. لأن العقل هو قوة طبيعية للنفس، وهو أحشاؤها، خُلق معها، وليس هو غريباً عليها، ولا دَخَل إليها بعد زمان.

📖 **الوضع الطبيعي الصالح:**

📖 فإذا ما تحركت النفس إلى معقولها الذي هو العقل {هذا الذي جعله الثالوث المقدس خالق كل شيءٍ مغروساً فيها منذ جبلها}، وفكر العقل فيما ينبغي ويليق بالله، حينئذ تصير النفس مخلصة، وتهرب من جميع

استعمالات الآلام. وعندما تسبق النفس فتنتظر حركات الجسد وتضبطها، حينئذ تكون في هدوء وورع يليقان بها.

📖 فإذا ما صارت في المناظر الفاضلة ـ كطبيعتها ـ فإنها تبقى متفكرة في جميع أعمال الله، ومجده، بخوف وهدوء، من غير قلق.

📖 بل دفعات تجدها داهشة، ناظرة قدامها إلى الثالوث، تتفكر في مجد اللاهوت الذي لا يُدرك من أجل عظمة نوره، وتبقى متفكرة في ذلك النور الطوباوي، والحكمة التي ليس انتهاء، وعدم الاضطراب.

📖 فإذا ما حفظت النفس عقلها متيقظاً ـ كطبعها، وتفكرت فيما ينبغي، فلابد للعقل أن يكون في تاؤرية الأعمال الممجدة، وكل ما هو للسلام.

📖 مصدر الأوجاع:

📖 فإذا ملت النفس، ولم تفكر فيما ينبغي، ولم تنظر بنظر نقي، فحينئذ تقوم عليها آلام الجسد كالكلاب، وتهر على الذي هو لها، وتبتدئ أن تشقه، وكل واحد من هذه الأوجاع يجتذب النفس إلى ما يريد.

📖 القوتان اللتان للنفسي:

📖 لأني أقول ـ كما أظن ـ **أن** قُوى النفس اثنتان، وإن كانت النفس واحدة: إحدى القوتين متصلة بالجسد حتى يعيش بها {يقصد الحياة التي تعطيها النفس للجسد}، والأُخرى هي التي تنظر جميع الأشياء، هذه التي تُدعى النطقية {يقصد القوة العاقلة، أو العقل}، وهي التي تفكر في الأمور الممجدة.

📖 لكن إحدى القوتين، وهي التي منها يعيش الجسد {أي الحياة} لا تعطيها النفس للجسد بهمتها {أي باختيارها}، بل هي فيه كطبيعة منذ خلقه، لأن الله منذ البداية صير الإنسان واحداً من النفس والجسد معاً.

📖 فكما أن الشمس لا يمكن أبداً أن لا تُضيء على الموضع الذي تشرق عليه، كذلك لا يمكن إلا تعطي النفس الحياة للجسد الذي تسكن فيه. والقوة الثانية التي للنفس {أي القوة العاقلة}، هي التي خلقها الله فيها، لتنظر وتفكر كل حين من ذاتها، في الأعمال المملوءة مجداً.

📖 **وجعل** لها حركة في ذاتها من جهة سلطان الهمة {أي أن هذا لها بالاختيار، وليس بالطبيعة}

📖 **لمن تكون القيادة؟**

📖 فإذا ما حفظَت **النفس** الجزء الناظر، المفكر، الحارس كل حين، حينئذ تجعل آلام الجسد تهتدي عن طريقين: الأول بأن تتفرغ النفس إلى طلب المناظر الفاضلة، المنسوبة {أو المناسبة} لطبعها.

📖 والآخر بأن تميز قلق الجسد، وترده إلى ما هو أفضل.

📖 فإذا ما كسلت النفس، وتركت الجزء الناظر {أي العقل}، غير متحرك بفكره إلى ما يليق بطبعه، فإن آلام الجسد تجد جزء النفس الآخر، الذي قلت أن الجسد يعيش به فارغاً، بطالاً، فتقسمه عليها كخبثها، إذ ليس من يترأس عليها، ويمنع حركتها، أعني الجزء الناطق عندما تهمله النفس، وهكذا تجذب آلام الجسد النفس إلى عمق الشر.

📖 **ليس الجسد علة الشر:**

📖 لكن هذه الآلام تخضع إذا كان الجزء الفكري متيقظاً، حارساً لها كما ينبغي، متفكراً دائماً فيما يليق بالله، لا يُعطي الآلام فرغة حتى لا تجد وقتاً ترفع فيه رؤوسها. فلا يَلُم إنسان الجسد، فليس هو علة الشر عند المدبرين له باستقامة، كما يظن الهراطقة الأردياء.

📖 **الجسد للنفس العاقلة، كالحصان لراكبه:**

📖 وانظر الآن يا حبيب إلى ما أقول: اعلم أنه كما أن الحصان إنما يكون جيداً من جهة إسراعه في الخدمة المحددة له، لكنه يحتاج إلى مروِّض يركبه ويثنيه إلى الموضع الذي يريده، لأن البهيمة وحدها لا تعرف ما ينبغي فعله.

📖 وكما أنه إذا رُكب الحصان فلابد أن يستعمل الأمور الطبيعية له، أعني أن يثب ويقفز، فإذا دبر راكبه أسباب حركاته جيداً، زال الضرر، وحصل الانتفاع.

📖 وكما أن الراكب ليس يكفيه أن يدبر الحصان فقط، بل وأن يقتني أيضاً معرفة، واعتياداً للثبوت عليه، وحينئذ تكتمل بذلك الحاجة، والسلامة للراكب، والمركوب.

📖 فأما إذا لم يدبره جيداً، ولم يكن عارفاً، ومعتاداً الثبوت عليه، فإن الحصان دفعات كثيرة يحيد عن الطريق المستقيمة، ويخرج إلى طرق شاهقة وعرة، فيتعثر ويسقط معه راكبه، ويصيران كلاهما في شدة. وسبب ذلك جميعه غفلة راكبه، أما لكونه لم يكن عارفاً برياضته، ولا معتاداً الثبوت عليه، وأما لأنه أهمل سياسته وتدبيره ورده إلى الطريق المستقيمة.

📖 كذلك أيضاً بهذا المثال خلق الله الإنسان، وجعل فيه عقلاً يعقل به إكراماً للنفس، التي خلقها مع الجسد. فإذا ما تدبرت النفس جيداً، وترأست كما ينبغي، وألجمت حركات الجسد، فإنها تنجو وتخلص الجسد من السقوط في الشدة.

📖 أما إذا توانت، ولم تدبر حركات الجسد كما يجب، وتغافلت، وكسلت، وأطلقت لجام الجسد، فهو من أجل أنه لا فكر له، يخرج إلى الطرق الوعرة، وتسقط النفس معه في هذه الشرور. وليس هذا من أجل شر في الجسد ـ معاذ الله ـ بل من أجل أن النفس لم تدبره كما يجب. النفس إذاً هي الملومة.

لو كانت النفس لا استطاعة لها أن تزلل آلام الجسد، وتروض حركاته، لكان لهم {أي الهراطقة} حجة في لوم الجسد، إلا أن الأبطال المجاهدين قد قهروا أوجاع الجسد، وروضوا حركاته، واستخدموه في المنافع، والنفس هي التي يلزمها اللوم، لأنها توانت مع أن لها السلطان على الجسد.

والنفس أيضاً ليس فيها شر بطبعها ـ معاذ اللَّه ـ إنما وجد فيها الشر من جهة أنها لم تعمل الخير، الذي أُعطيت لها القدرة عليه، والاختيار فيه. فإن الشر في الإنسان ليس هو إلا انعدام الفضيلة، وحيث لا فضيلة فهناك الشر حقاً.

ميامر مار إسحق ونسكيات القديس باسيليوس ـ الجزء الأول ـ صفحة ١٦٨ ـ ١٧٢

في فهم القلب

ينبغي للإنسان أن يجعل الفهم هاديه، ورئيساً على كافة ما يعمله، حتى أن الخير الذي يعمله بغير فهم قد يعود إلى شر: إذ يجوز أن يعمله في غير وقته، أو بخلاف مقداره.

أما إذا كانت المشورة الصالحة، والفهم يفرزان الوقت والمقدار كما ينبغي، فإن الأعمال تصير صالحة نافعة، من جهة المستشير والمستشار.

ميامر مار إسحق ونسكيات القديس باسيليوس ـ الجزء الأول ـ صفحة ١٧٩

أنواع الأفكار الرديئة

كيف نفرق بين نوعي الأفكار الرديئة: التي تأتي من تهاون النفس، والتي تأتي من محاربة الشيطان لنا؟

ما سبب كل منهما، وما علاجه؟

من أي نوع الأفكار التي تطيش في الصلاة؟

ما موقفنا حيالها؟ وعلى الأخص إذا استمرت؟

هذا ما سيجيب عنه القديس باسيليوس الكبير



📖 **الأفكار الرديئة التي تعوق الأفكار الجيدة تأتي بطريقين:**

📖 **أ ـ** أما عندما تتوانى نفس الإنسان، وتبقى طائشة ههنا وههنا فيما لا ينبغي، وتفتش في الخيالات الخبيثة، أو البطالة.

📖 **ب ـ** وأما عندما يتخابث الشيطان، ويلقي إلى قلوبنا أفكار الأعمال الرديئة، ليجتذب نفوسنا من التفكر في الأعمال الكريمة.

📖 **أما النوع الأول:**

📖 فلغفلة نفوسنا وكسلها، تنقطع منها الحرارة والاحتراس، فتنحل وتفكر في أفكار باطلة، فيتنازل العقل، ويطيش فيما تفكر فيه، وحينئذ ينتقل من ضلال إلى ضلال، ومن أباطيل إلى شرور، ويسقط في أعمال رديئة.

📖 فينبغي أن ننهض نفوسنا من هذا الانحطاط والتواني، ونميز قلبنا حتى يعود إلينا، فنقيمه حتى يكون حارساً متيقظاً، ناظراً في أعمال الله الصالحة التي أمامه.

📖 **أما أفكار النوع الثاني:**

📖 فتأتي عندما يبتدئ الشيطان بمكره أن يُلقي في نفوسنا أفكاراً رديئة، هذه التي تشبه سهاماً متوقدة، ويسكنها مع النفس التي تقبلها، حتى يعسر خروجها.

📖 فحينئذ ينبغي للإنسان أن يتيقظ، ويتأمل ذاته، ويجتذبها من هذه القتالات الخبيثة، ويجاهد كمجاهد نجا من يد مقاتله، وعاد بشجاعة يحاربه، ويحترس، ويدرب جسده أن يعود بسرعة.

📖 ثم يسلم الإنسان نفسه للصلاة بالدوام، ويصرخ نحو معونة الله من السماء، ليعطيه غلبة في الحرب التي ثارت عليه، وينزع منه سهام الخبث. هذه هي الوسيلة التي ذكرها بولس الرسول قائلاً: "حامِلِينَ

فوقَ الكُلِّ تُرْسَ الإيمان، الذي بهِ تَقْدِرونَ أنْ تُطْفِئوا جميعَ سِهام الشِّرِّير المُلْتَهِبَةِ" {أف ٦: ١٦}.

📖 حتى يا أحبائي لو ألقى علينا خيالاته، وأفكاره الخبيثة في الصلاة أيضاَ، فلا ندع نفوسنا تنحل من الصلاة، ولا ندعها تفكر أن تلك الأفكار والخيالات الخبيثة هي لها من ذاتها، بل تعلم أنها من العدو، الذي هو معلم كل شر، بكل نوع، لتزداد الطلبة، كإنسان يستغيث على خصمه، ليس على ذاته، وإنما على آخر غيره.

📖 وهكذا تطرح النفس ذاتها قدام اللَّه، وتسأله أن يبعد عنها عسكر الخبيث المحيط بها. فإذا امتد عقلنا مرتفعاً نحو اللَّه، فليس شيء من أفكار العدو يستطيع أن يغلب صلاتنا أو يمنعها.

📖 فإن ثبت العدو في محاربتنا وقت الصلاة أيضاَ، فينبغي إلا نقطع جهادنا، حتى ينظر اللَّه إلى جهادنا، فيشرف علينا بنعمة روح قدسه، ويطرد عدونا، ويعطينا سبباً لهدوء أفكارنا، لنعبده بفرح دائم.

📖 والمجد للآب والابن والروح القدس إلى الأبد. آمين.

ميامر مار إسحق ونسكيات القديس باسيليوس ـ الجزء الأول ـ صفحة ١٨٠ ـ ١٨٢

{١٦}

القديس يوحنا كاسيان

نقاوة القلب طريق الملكوت

للأب موسى

📖 ١ـ إقامتنا بالإسقيط:

📖 في صحراء الإسقيط حيث يوجد أعاظم الآباء الرهبان، ويترعرع الكمال، كنت مصطحباً الأب جرمانوس، هذا الذي كان ملازماً لي منذ الأيام الأولى، ومنذ بداية الخدمة الروحية، سواء ونحن في نظام الشركة، أو في البرية.

🕮 وتستطيع أن تتلمس مقدار وفاق صداقتنا، ووحدة هدفنا، مما يقوله الكل عنا، أننا قلب واحد، وروح واحد في جسدين.

🕮 وإذ كنا في البرية بحثنا عن الأب موسى، الذي يعتبر من أسمى تلك الزهور الرائعة في البرية، متفوقاً لا في حياة العمل فحسب، بل وفي حياة التأمل أيضاَ.

🕮 لقد كنت شغوفاً لسماع تعاليمه، فتضرعنا إليه سوياً بدموع، أن يحدثنا لأجل بنياننا، وذلك لمعرفتنا عنه جيداً أنه لا يفتح باب {الحديث عن} الكمال، إلا للذين يبحثون عنه بإيمان، بقلوب تائبة.

🕮 فهو يخشى الحديث عن تلك الأمور الهامة، فلا يكشفها إلا للساعين نحو الكمال، غير متحدث بها لغير المبالين، أو الذين يتقبلون الكلام بغير إيمان كامل، مستخفين بها، وهم غير مستحقين لها.

🕮 وذلك لكيلا يكون في حديثه عرضه للزهو الباطل، أو بهذا يكون خائناً لما قد أؤتمن عليه.

🕮 **أخيراً غُلب بتضرعاتنا فبدأ يتحدث:**

🕮 **٢– سؤال:** عن هدف المؤمن وغايته؟

🕮 **قال:** لكل الفنون والعلوم أهداف، وغايات يتطلع إليها المجاهدون في كل فن صابرين، محتملين كل أنواع المتاعب والأخطار، والخسائر بفرح، ورباطة جأش.

🕮 فالفلاح لا يعبأ بحرارة الشمس، أو بالصقيع، وبرودة الجو ... فيقوم بتقسيم الأرض، وحراثتها مرة وأخرى، متطلعاً إلى هدفه بلا ضجر.

🕮 إنه يجاهد لتفتيت الأرض، حتى تصير كالرمل الناعم، منقياً إياها من العليق والأعشاب، مؤمناً بأنه ليس هناك طريق آخر يبلغ به هدفه اللامحدود، إلا بحصوله على أفضل إنتاج، وأكبر محصول.

🕮 بهذا يمكنه أن يعيش، وتتزايد ممتلكاته.

🕮 فإذ يمتلئ مخزنه يستعد ليفرغه، ويلقي البذار في الأرض المحروثة مرة أخرى ... هذا كله من أجل المحصول المنتظر!

📖 كذلك المنشغلون بالتجارة، لا يبالون بعدم ضمان الربح، أو بمخاطر المحيطات، إنما تحفزهم أمانيهم نحو تحقيق الربح.

📖 والطامحون في الحياة العسكرية، يتطلعون إلى هدفهم، أي نحو الشرف، أو القوة، غير مبالين بالأخطار والهلاك، الذي يلحقهم خلال عملهم ... من أجل رغبتهم في نوال الشرف. ونحن أيضاً لعملنا هدف، أو غاية بسببه نحتمل كل صنوف الجهاد، ليس بدون ضجر فحسب، بل وبفرح.

📖 فحرماننا من الطعام أثناء الصوم، لا نعتبره ضيقاً.

📖 وأتعاب السهر تتحول إلى بهجة.

📖 والقراءة والتأمل في الكتاب المقدس، ليس فرضاً ثقيلاً.

📖 فلا يخيفنا الجهاد المتواصل. وإنكار الذات.

📖 والحرمان من أمور العالم. ومتاعب هذه البرية القاحلة.

📖 وأنت أيضاً إذ تستخف بمحبة الأقرباء "أي بالعاطفة تجاههم، بتركهم سالكاً طريق الرهبنة"، تاركاً مسقط رأسك، ومباهج العالم، عابراً كل هذه المناطق لكي تأتي إلينا نحن البسطاء، العائشين في حالة مضنية في البرية. ما هو هدفك من هذا؟

📖 وما هي غايتك، التي دفعتك لتتحمل كل هذه الأمور بفرح؟

📖 ٣– وإذ أصر على كشف الفكرة من إجابتنا على سؤاله، أجبناه قائلين: "لقد تحملنا هذا كله من أجل ملكوت السماوات".

📖 **٤– أجاب حسناً!**

📖 لقد تحدثتم عن الهدف غير المحدود، لكن ما هو الهدف القريب، الذي إذا ما عرفناه، ووضعناه دائماً نصب أعيننا، نقدر أن نبلغ غايتنا؟ وإذ اعترفنا بجهلنا بصراحة، أكمل حديثه قائلاً:

📖 كما قلت أولاً، أن لكل فن، أو علم هدف، يوضع أمام الذهن ... فإذا لم يتمسك الإنسان به بجهاد ثابت، لا يصل إلى الغاية النهائية.

📖 فكما قلت: أن الفلاح يهدف إلى الحياة السعيدة والرخاء، وتحقيق محصول وفير، وأما هدفه الحالي فهو، حفظ الحقل نظيفاً من الأحجار والأعشاب ... الخ.

📖 ونحن أيضاً نهاية طريقنا في الحياة هو بلوغ ملكوت الله، ولكن ما هو الهدف الحالي الذي يلزم أن نتساءل عنه؟

📖 فإننا إن لم نعرفه نتعب أنفسنا دون جدوى، لأن من يسافر في اتجاه خاطئ تضيع أتعابه سدى، ولا ينتفع شيئاً من سفره.

📖 وإذ دهشنا من هذا الحديث أكمل الشيخ قائلاً:

📖 "إن هدف عملنا كما قلت هو: "ملكوت الله" أو "ملكوت السماوات". وأما الهدف الحالي فهو: "نقاء القلب" الذي بدونه لا نقدر أن نحقق الهدف النهائي.

📖 فلنوجه أنظارنا بثبات نحو هذا الهدف كعلامة ثابتة.

📖 ولنوجه سلوكنا نحوه مباشرة، حتى إذا ما انحرفت أفكارنا بعيداً عنه نعيدها إليه، ونضبطها نحوه بإتقان، كما لو كان مقياساً دقيقا.

📖 وبهذا تتحول جهودنا إليه، وبالتالي نستطيع أن نكتشف، عما إذا كان عقلنا قد انحرف ولو قليلاً عن الاتجاه المحدد له.

📖 ٥- هدفنا الحالي نقاوة القلب:

📖 قبل الحرب يختبر الجنود مهارتهم بإطلاقهم السهام والرماح، تجاه أهداف صغيرة محددة ... وهم يعلمون أنه بغير هذه الوسيلة، لا يمكنهم نوال الجعالة التي يترجونها ... وبغير هذا لا يوجد ما يكشف لهم قدرة مهارتهم، أو ضعفها.

📖 وبهذا فإن الهدف النهائي الموضوع أمامنا هو "الحياة الأبدية" إذ يقول الرسول: " فلكم ثمركم للقداسة، والنهاية حياة أبدية " رو٦: ٢٢.

🕮 وأما الهدف الحالي فهو "نقاوة القلب" التي يعبر عنها الرسول بقوله "ثمركم للقداسة" والتي بدونها لا يتحقق الهدف النهائي "والنهاية حياة أبدية". يعلمنا الرسول عن نفس الهدف قائلا: "أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا" في٣: ١٣، ١٤.

🕮 بمعنى أنه بهذا الهدف الذي به ينسى ما هو وراء، أي خطايا الحياة الأولى "نقاوة القلب" يجتهد لبلوغ جعالة السماء.

🕮 إذن فلنهتم بالكشف عن هذا الموضوع أي "نقاوة القلب" متجنبين كل العطلات التي تعوق "نقاوة القلب" لأنها خطيرة وضارة.

🕮 فمن أجل نقاوة القلب: ينبغي أن نفعل كل شيء.

🕮 ونصبر على كل شيء. ولا نتعلق بأقربائنا، وأرضنا "ممتلكاتنا"

🕮 وكرامتنا "الأرضية"، وجاهنا، ومباهج العالم.

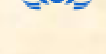
🕮 وكل أنواع الملذات.

🕮 ٦ – زهد بغير نقاوة قلب:

🕮 إننا نرى بعضاً ممن زهدوا أمور هذا العالم، ليس فقط الذهب والفضة، بل والممتلكات الضخمة، يتضايقون ويضطربون من أجل سكينة، أو قلم، أو دبوس، أو ريشة.

🕮 بينما لو وجهوا أنظارهم نحو نقاوة القلب، بلا شك ما كانوا يضطربون من أجل الأمور التافهة، فكما لا يبالون بالغنى العظيم، يتركون أيضاَ كل شيء. ويخاف البعض على كتبهم، حتى أنهم لا يسمحون لأحد أن يحركها، أو يلمسها.

🕮 وهذا يكشف عن حاجتهم إلى الصبر، والحب العميق.



📖 فإذ تركوا كل غناهم من أجل محبتهم للسيد المسيح، إلا أنهم يحتفظون بطبيعتهم الأولى بالنسبة للأمور التافهة، فسرعان ما ينشغلون بها. وبهذا يصيرون عقيمين بلا ثمر، كمن هم بلا حب.

📖 هؤلاء يتحدث عنهم الرسول الطوباوي، متنبئاً بالروح قائلا: "وإن أطعمت كل أموالي، وإن سلمت جسدي حتى احترق، ولكن ليس لي محبة فلا أنتفع شيئاً"

📖 من هذا يظهر بوضوح أن الكمال، لا يتأتى لمجرد إنكار الذات، أو ترك كل شيء، أو الهروب من الكرامات، ما لم يصحبها المحبة التي وصفها الرسول بالتفصيل، أنها ليست إلا "نقاوة القلب" وحدها.

📖 لأنه إذ المحبة "لا تحسد" - "لا تتفاخر"، "لا تغضب {تقبح}" - "لا تطلب ما لنفسها" - "لا تحتد" - "لا تظن السوء" ١كو١٣، هذا كله ماذا يعني سوى أن نقدم لله قلباً نقياً كاملاً، محفوظاً من كل اضطراب؟!!

📖 ٧ ـ أعمال صالحة بغير نقاوة قلب:

📖 ينبغي أن نفحص كل شيء، أو نبحث عن أي شيء من أجل نقاوة القلب. فمن أجلها نطلب التوحد.

📖 ومن أجلها نصوم، ونسهر، ونحتمل الأتعاب، والعري، والدراسة، ونقتني كل الفضائل الأخرى، لكيما نهيئ قلوبنا، ونحفظها من كل السموم الشريرة، وبهذا نصعد إلى كمال المحبة.

📖 فالأمور التي تأتي في المرتبة الثانية في أهميتها كالصوم، والسهر، والزهد في العالم، والتأمل في الكتاب المقدس، هذه يلزمنا أن نفعلها ناظرين إلى الهدف الرئيسي وهو "نقاوة القلب" الذي هو "المحبة".

📖 فعلينا إلا نفقد هذه الفضيلة الرئيسية بسبب تحقيق فضيلة أخرى.

📖 فإذا لم ننفذ إحدى هذه الفضائل الأخرى لسبب قهري، لا يصيبنا أذى، طالما وجدت الفضيلة الرئيسية {نقاوة القلب}. فليس أمراً هيناً أن ننفذ عملاً، يكون من شأنه أن نفقد هذا الهدف موضوع حديثنا، والذي من أجله نصنع كل شيء.

📖 فالإنسان يشغف بالحصول على أدوات العمل، لا لأجل امتلاكها بلا غاية، لأن هذا في حد ذاته لا يحقق نفعاً. إنما باستخدامها يستطيع أن يضمن المعرفة العلمية، ويحقق هدفه المحدد، أي نوال الغنى الذي يرغبه. هكذا الصوم، والسهر، والتأمل في الكتاب المقدس، وإنكار الذات، وترك الممتلكات، هذه جميعها ليست كمالاً في ذاتها، إنما تقود إلى الكمال.

📖 لأن هدف العلم "الروحاني" لا ينصب في اقتناء هذه الأمور، إنما بها نبلغ إلى الغاية، فمن يكتفي بهذه الأمور على أنها الخير الأعظم، يتممها بغير هدف، جاعلاً بغية قلبه تحقيق هذه الأمور، دون أن تمتد جهوده لبلوغه الهدف الذي لأجله ينفذ هذه الفضائل. وهذا يكون مثله، مثل من يمتلك أدوات، ويجهل هدف فنه الذي يستخدمها فيه.

📖 **٨ – مثال من الكتاب المقدس:**

📖 نقاوة القلب هي: موضوع جهادنا الرئيسي، وغاية قلبنا الدائم.

📖 وهي تعني التصاق الروح بالله، وبالأمور السماوية.

📖 أما ما خلاف هذا، فإنه مهما بلغت قيمته يحتل المرتبة الثانية، بل ويصير بلا قيمة، وأحياناً يكون ضاراً.

📖 وقد أوضح الإنجيل تفسيراً رائعاً لهذا الأمر، في حالة مريم ومرثا:

📖 لقد كانت مرثا تخدم، مقدمة عملاً مقدساً بلا شك.

📖 وفيما هي تخدم الرب وتلاميذه، كانت مريم تهتم بتعاليمه الروحية فقط، ملتصقة عند أقدام السيد المسيح اللتين قبلتهما، ودهنتهما بطيب الاعتراف الحسن. لقد شهد لها الرب أنها اختارت النصيب الصالح، الذي لا ينزع منها.

📖 لأنه بينما كانت مرثا تعمل مجتهدة، وقد ارتبكت في الخدمة، حتى شعرت بعجزها عن القيام بالخدمة بمفردها، طلبت من السيد أن

تساعدها أختها قائلة "يارب أما تبالي أن أختي قد تركتنني أخدم وحدي، فقل لها أن تعينني" لو١٠: ٤٠.

📖 لقد استدعت أختها لتعمل عملاً ليس تافهاً، بل يستحق الثناء، ومع هذا بماذا أجابها الرب؟ "مرثا مرثا أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة. ولكن الحاجة إلى واحد. فاختارت مريم النصيب الصالح الذي لن ينزع منها" لو١٠: ٤١، ٤٢.

📖 لقد رأيت كيف جعل الرب الخير الرئيسي ينصب في التأمل الإلهي!! لقد رأيت كيف احتلت جميع الفضائل الأخرى المركز الثاني، رغم تسليمنا بأهميتها، وفائدتها، وسموها.

📖 لأن هذه جميعها إنما تصنع لأجل هدف واحد.

📖 فعندما قال الرب: "أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة، ولكن الحاجة إلى واحد" جعل الخير الرئيسي لا يكون في الأعمال ذي ذاتها، مهما بلغ شأنها، بل في التأمل في الرب، الذي هو بالحقيقة الأمر الواحد.

📖 هذا القول يجب أن يكون موضع اهتمامنا جداً، فقد قال لمريم أنها اختارت النصيب الصالح، من غير أن يلوم مرثا. فإن مدح الواحدة، أظهر أن الأخرى أقل منها فحسب.

📖 وقوله "الذي لا ينزع منها" كشف أن نصيب الأخرى يمكن أن ينزع منها، لأن الخدمات الجسدية لا يمكن أن تبقى مع الإنسان إلى الأبد، أما اشتياق مريم فلن يكون له نهاية.

📖 **٩ ــ سؤال:** كيف تزول الأعمال الصالحة ما هذا؟

📖 هل الاجتهاد في الصوم، والمثابرة في القراءة، وأعمال الرحمة، والبر، والشفقة، والسخاء، تنزع عنا، ولا تبقى مع فاعليها؟!

🕮 مع أن الرب نفسه وعد بملكوت السماوات لأجل هذه الأعمال إذ يقول: "تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم. لأني جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني" مت٢٥: ٣٤،٣٥
🕮 فكيف تنزع الأعمال التي بها ينال صانعوها ملكوت السماوات؟!

🕮 **١٠ــ موسى:** إنني لم أقل بأن جزاء العمل الصالح يزول، فالرب نفسه يقول: "ومن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ فالحق أقول لكم أنه لا يضيع أجره" مت١٠: ٤٢.
🕮 بل أؤكد أن فعل أي عمل، سواء كان من ضروريات الجسد، أو لضبطه، كل هذه الأعمال رغم ضرورتها، والالتزام بها، لكنها ستنتهي. فالمثابرة على القراءة، والزهد في الصوم، لهما أهميتهما في تنقية القلب، وإقماع الجسد في هذه الحياة وحدها، طالما أن الجسد يشتهي ضد الروح {غل٣: ٧}.
🕮 بل وأحياناً تنتهي في هذه الحياة، وذلك كما في حالة إنهاك القوة، بسبب التعب الشديد، أو المرض الجسدي، أو كبر السن، حيث لا يقدر الإنسان على تنفيذها.
🕮 وبالأكثر تنتهي هذه الأعمال، عندما يلبس هذا الفاسد عدم فساد {١كو١٥: ٥٢}. ويقام الجسد الحيواني، جسداً روحياً {١كو١٥: ٤٤}، ولا يعود الجسد يشتهي ضد الروح.

🕮 ويوضح الرسول ذلك بجلاء بقوله "الرياضة الجسدية نافعة لقليل، ولكن التقوى {وبالتأكيد يقصد الحب} نافعة لكل شيء، إذ لها موعد الحياة الحاضرة، والعتيدة" ١تي٥: ٨.
🕮 فما قيل عنه أنه نافع لقليل، هو ما لا نفعله كل حين. والذي لا يمكن به في ذاته الوصول إلى الكمال الأسمى. ففي قوله لقليل يقصد به أحد معنيين.

📖 الأول: من جهة قصر الوقت، فالرياضة الجسدية لا يمكن القيام بها في هذه الحياة الأرضية، والحياة العتيدة.
📖 الثاني: قد يكون ذلك إشارة إلى أن الفائدة أقل من الثانية.

📖 فالرياضة الجسدية تؤدي بنوع ما إلى بداية التقدم، ولكنها ليست مثل كمال المحبة، التي وعد بها في هذه الحياة، والحياة العتيدة. إذن الأعمال السابق ذكرها هامة، إذ بها نصعد إلى مرتفعات المحبة.
📖 فتكون الأعمال التي ندعوها أعمال عبادة، ورحمة، ضرورية في هذه الحياة، حيث يوجد الظلم والجور بين البشر، لكن لا وجود لها في الحياة العتيدة، حيث يسود العدل، فيتحول البشر عن الأعمال الصالحة إلى حب الله، والتأمل في السماويات في نقاء قلب دائم.
📖 وهذا الأمر اختاره الذين كرسوا حياتهم للمعرفة، ونقاوة القلب.
📖 باذلين كل جهدهم لكي يخضعوا له، وهم بعد في الجسد.
📖 وتكمل نقاوة قلبهم، حينما ينزع عنهم الفساد، وينالون وعد الرب المخلص القائل: "طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله".

📖 ١١ــ خلود المحبة أو نقاوة القلب:

📖 ولماذا نندهش من أن هذه الأعمال السابق ذكرها ستبطل، بينما يخبرنا الرسول الطوباوي أنه حتى عطايا الروح القدس العظمى ستنتهي، مشيراً إلى أن المحبة وحدها هي التي تبقى إلى الأبد.
📖 إذ يقول: "وأما النبوات فستبطل، والألسنة فستنتهي، والعلم فسيبطل" ١كو١٣: ١٨.
📖 أما عن المحبة فيقول: "المحبة لا تسقط أبداً"، فالعطايا توهب إلى حين، من أجل الحاجة إليها لاستخدامها، فإذا ما انتهى عملها زالت.
📖 أما المحبة فلا تسقط أبداً، لأن المحبة لا يتوقف نفعها عند هذه الحياة، بل يتعداها إلى الحياة العتيدة. فإذ تزول أثقال احتياجات الجسد، تستمر المحبة في نشاط أعظم، وسعادة أوفر، فلا تعود بعد

تضعف بتأثير ما، بل بعدم فسادها الدائم، تلتصق بالله بأكثر نشاط وغيرة.

📖 ١٢ـ أسئلة حول التأمل الدائم في الله:

📖 **جرمانيوس**: ومن يستطيع أن يبقى على الدوام في هذا التأمل، وهو مثقل بالجسد الضعيف، دون أن يفكر قط في وصول أخ، أو زيارة مريض، أو في عمل يدوي، أو على الأقل يهتم بالغرباء والزائرين؟!

📖 ومن الذي لا يتعطل بإعالته جسده واعتنائه به؟

📖 وبأي وسيلة يمكن للعقل أن يلتصق بالله غير المنظور، ولا مدرك؟ هذا ما نود أن نتعلمه.

📖 **١٣ ـ الجواب**: يستحيل على الإنسان، وهو مازال في هذا الجسد الضعيف، أن يلتصق بالله تماماً {وإن كنا نتحد بالله هنا، لكن ليس في كمال الاتحاد الذي نكون عليه في الأبدية}.

📖 ويلازم التأمل فيه على الدوام {بغير انقطاع}.

📖 لكن يلزمنا أن نعرف الهدف المثبت أمام عقلنا، والغرض الذي نصوب نحوه نفوسنا، فنفرح قدر ما يتحقق، ونحزن ونتنهد عندما ننحرف عنه.

📖 فإذا ما اكتشفت النفس فشلها في التأمل في الله، تكون بذلك قد سقطت عن الخير الأعظم، آخذة في اعتبارها أن ابتعادها عن التأمل في الرب يسوع، ولو إلى حين يعتبر زنا.

📖 فإذا ما انحرف نظرنا عنه ولو قليلاً، نعيد إليه أنظار أرواحنا ثانية، متذكرين تأملنا العقلي المستقيم.

📖 كل شيء يتوقف على عقلنا الداخلي، فإذا ما طرد منه الشيطان، لا يصير للخطية سلطان علينا، ويكون ملكوت السماوات فينا، إذ يقول

الإنجيل: "لا يأتي ملكوت اللـه بمراقبة. ولا يقولون هوذا ههنا، أو هوذا هناك، لأن ها ملكوت اللـه داخلكم" لو١٧: ٢٠، ٢١.

📖 ففي "داخلكم" أما معرفة الحق، أو جهله. الابتهاج بالفضيلة، أو الرذيلة. وبهذا نعد قلوبنا لملكوت المسيح، أو ملكوت الشيطان.

📖 ويصف الرسول الملكوت قائلاً: "لأن ليس ملكوت اللـه أكلاً وشرباً. بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس" رو١٤: ١٧. فإن كان ملكوت اللـه داخلنا، وهو بر وسلام وفرح، فإن من يتمم هذه يكون في ملكوت اللـه.

📖 وعلى العكس من يعيش في الشر، والنزاع، والحزن الذي للموت، يكون في ملكوت الشيطان، وفي الجحيم والموت.

📖 بهذا يتميز ملكوت اللـه عن ملكوت الشيطان.

📖 فإذا ارتفعنا بعقولنا إلى فوق لنتأمل القوات السمائية، التي هي بالحقيقة في ملكوت السماوات، ماذا نتصورهم سوى أنهم في فرح دائم أبدي؟! فأي شيء يليق بالسعادة الحقيقية، مثل الهدوء الدائم، والفرح الأبدي؟!

📖 وينبغي علينا أن نؤكد أن ما قلته ليس من عدياتي، بل حسب حكم اللـه الذي كشف بوضوح عن ذلك بالقول: "لأني هاأنذا خالق سماوات جديدة، وأرضاً جديدة، فلا تُذكر الأولى ولا تخطر على بال. بل افرحوا وابتهجوا إلى الأبد فيما أنا خالق" إش٦٥: ١٧، ١٨.

📖 ومرة أخرى يقول: "الفرح والبهجة يوجدان فيها. الحمد وصوت الترنم يوجدان فيها" إش٥١: ٣، ويقول: "ابتهاج وفرح يدركانهم، ويهرب الحزن والتنهد" إش٣٥: ١٠.

📖 وإن أردت أن تعرف بأكثر وضوح عن الحياة التي في مدينة القديسين، أنصت إلى ما يعلنه صوت اللـه عن أورشليم السمائية قائلا: "وأجعل وكلاءك سلاماً، وولاتك براً. لا يسمع بعد ظلم في

أرضـك، ولا خـراب، أو سـحق فـي تخومـك، بـل تسـمن أسـوارك خلاصاً، وأبوابك تسبيحاً. لا تكون لك بعد الشـمس نـوراً فـي النهـار، ولا القمر ينير لك مضـيئاً، بـل الـرب يكـون لـك نـوراً أبـدياً، وإلهـك زينتك" إش٦٠: ١٧ – ٢٠.

📖 ولا يتحدث الرسول عن الفرح بغير تمييز، بل يوضح مؤكداً نوعـه أنه "فـي الـروح القـدس" رو١٤: ٧. إذ يعـرف تمامـاً الفرح الممقوت الذي نسمع عنه "العالم يفرح" يو١٦: ٢٠، "ويـل لكـم أيهـا الضـاحكون لأنكم ستحزنون وتبكون" لو٦: ٢٥.

📖 ويلزمنا بالحق أن ننظر إلى ملكوت السماوات من جوانب ثلاث:

📖 أمـا أنـه مـا سـيملكه القديسـون، حيـث تخضـع لهـم الأمـور، وذلـك كالقول: "فليكن لك سلطان على عشر مدن ... وكن أنت علـى خمـس مدن" لو١٩: ١٧، ١٩. وما قيل للتلاميذ "وتجلسون أنتم على إثنى عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر" مت١٩: ٢٨.

📖 أو أن السماوات تُملك بالسيد المسيح حيث "كل الأشياء تخضـع لـه" ويكون الله "الكل في الكل" ١كو١٥: ٢٨.

📖 أو أن القديسين سيملكون مع اللـه في السماوات.

📖 ١٤ – أبناء الملكوت أحياء يتأملون ويسبحون اللـه حتى وإن ماتوا:

📖 من ثم ليأخذ كل إنسان في اعتباره، أنه سيكون له نصيب في ذلك.

📖 فلا يشك في أنه سيشارك في الحياة الأبدية {الـرب} الـذي يخدمـه، إذ يقول: "إن كان أحد يخدمني فليتبعني. وحيـث أكـون أنـا هنـاك يكـون خادمي" يو١٢: ٢٦. وكما أن ملكوت الشيطان يكون بقبول الخطية.

📖 فإن ملكـوت اللـه يُنـال بعمـل الفضـيلة، فـي نقـاوة قلـب، وبمعرفـة روحية. وأينما وجد ملكوت السماوات، فبالتأكيد تكـون الحيـاة الأبديـة بفرح. وحيثما وجد ملكوت الشيطان، فبلا شك يوجد الموت والقبر.

📖 ومن يكون في ملكوت الشيطان، لن يقدر أن يحمد اللـــه، إذ يخبرنـا النبي قائلاً: "ليس الأموات يسبحون الرب، ولا من ينحدر إلـى أرض السكوت أما نحن {الأحياء الذين نعيش للـه، وليس للخطية أو للعـالم} فنبـارك الرب من الآن وإلى الدهر هلليلويا" مز١١٥: ١٧، ١٨.

📖 "لأنه لـيس فـي المـوت مـن يـذكرك، ولا فـي الجحـيم {الخطيـة} من يعترف لك". فالإنسان ليس كيفما كـان، بـل ولـو دعـي نفسـه مسـيحياً آلاف المرات، أو راهبا، لا يقـدر أن يعتـرف باللـــه، إن كـان يخطـئ متمسكاً بخطيئته.

📖 فمن يسـمح لنفسـه أن يصـنع مـا يكرهـه اللـــه، لا يقـدر أن يعتـرف باللـه، أو أن يدعي لنفسه أنه خادم اللـه. لأن من يحتقر وصـايا اللــه بغباء وطياشة، يسقط في الموت، الذي تسـقط فيـه الأرملـة المتنعمـة، الذي يقول عنه الرسول: "وأما المتنعمة فقد ماتت وهي حيـة" ١تـي٥: ٦، على هذا هناك كثيرون أحياء بالجسد، لكنهم أمـوات، ولا يقـدرون على التسبيح للـه.

📖 وهناك كثيرون قد ماتوا بالجسد، لكنهم يسبحون اللـــه بـأرواحهم، إذ يقال "يا أرواح وأنفس الأبرار سبحي اللـــه" راجع دا٣: ٨٦

📖 "كل نسمة فلتسبح الرب" مز١٥٠: ٦، وفي سفر الرؤيـا نجـد نفـوس الذين قتلوا ليس فقط تسبح اللـه، بل وتطلب منه {رؤ٦: ٩، ١٠}.

📖 وفي الإنجيل يقول الرب للصدوقيين في وضوح تام: "أما قـرأتم مـا قيل لكم من قبل اللـه القائل: أنا إله إبراهيم، وإله إسحق، وإله يعقوب. ليس اللـه إله أموات، بل إله أحياء {لأن الكل يحيا فيه}" مت٢٢: ٣١، ٣٢

📖 وعمن يتحدث الرسول قائلاً: "لذلك لا يستحي اللـه أن يدعى إلههم، لأنه أعد لهم مدينة" عب١١: ١٦؟! فانفصـالهم عـن الجسـد، لا يجعلهـم بلا عمل، ولا يفقدهم الإحساس والشعور.

📖 وإذا تفهمنا بدقة الكلمات التي قيلت للص: "اليوم تكون معي في الفردوس" لو٢٣: ٤٣. لظهر بوضوح أن صفات الروح لا تلازمها فحسب، بل ويصير للروح في حالتها الجديدة {بعد انفصالها عن الجسد}، صفات تتناسب مع عملها واستحقاقها.

📖 فما كان الرب يعد اللص بذلك، لو أنه يعلم بأن روحه تفقد تمييزها وإدراكها، أو تتحلل بسبب انفصالها عن الجسد. فالداخل إلى الفردوس روحه، وليست جسده.

📖 لذا يلزمنا على الأقل أن نتجنب الأقوال التي توقف تمتع الروح بالميراث. ولقد كشف السيد المسيح أن الأرواح المنفصلة عن الجسد، ليس فقط تزول عنها متاعب الجسد، بل وتشعر بالأمل والحزن والفرح والخوف.

📖 إنها للحال تبتدئ تتذوق مما قد حفظ لها في يوم الدينونة العظيم، إنها لا تتحلل إلى العدم عند انفصالها من الجسد، كما يظن غير المؤمنين، بل تحيا الحياة الحقيقية، ويزداد شغفها نحو التسبيح لله. لنترك البراهين الكتابية قليلاً، وللنظر بقدر المستطاع إلى طبيعة النفس ذاتها.

📖 فإننا لا نكون جهلاء بل متهورين، ومملوءين حماقة، إن كان لدينا أدنى شك في أن ذلك الجزء النبيل في الإنسان، والذي يقول عنه الرسول الطوباوي أنه: "على صورة الله ومثاله" {راجع ١كو١١: ٧، كو٣: ١٠}، يصير عديماً للحس، عندما يلقي عنه الجسد في هذا العالم.

📖 النفس هي التي تهب الجسد عديم الحس، أن يكون عاقلا بمشاركته لها. خاصة إن اتبعها.

📖 والأمر عينه من جهة العقل، الذي متى تأثر بثقل الجسد يهبط عمله، لكن النفس تعيد إليه قواه، أحسن مما كان عليه.

📖 وقد نادى الرسول الطوباوي بذلك معلناً بذلك معلنا قولنا، مشتاقاً إلى الانفصال عن الجسد، حتى يتمكن من أن يفرح بالله بأكثر غيرة قائلاً: "لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل" في١: ٢٣

📖 "ونحن مستوطنون في الجسد فنحن متغربون عن الرب ... فنثق ونسر بالأولى أن نتغرب عن الجسد، ونستوطن عند الرب. لذلك نحترس أيضاً مستوطنين كنا، أو متغربين، أن نكوم مرضيين عنده" ٢كو٥: ٦-٩.

📖 إنه يعلن أن بقاء الروح في الجسد هو تغرب عن الله، وابتعاد عن المسيح، ويؤمن إيماناً كاملاً أن الابتعاد والانفصال عن الجسد فيه حضور المسيح {وجهاً لوجه}.

📖 مرة أخرى يكشف الرسول بوضوح أن هذه الأرواح أكثر حيوية بقوله: "بل قد أتيتم إلى جبل صهيون، وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية، وإلى ربوات هم محفل الملائكة. وكنيسة أبكار مكتوبين في السماوات ... وإلى أرواح أبرار مكملين" عب١٢: ٢٢، ٢٣.

📖 ويقول أيضاً عن هذه الأرواح: "ثم قد كان لنا آباء أجسادنا مؤدبين وكنا نهابهم. أفلا نخضع بالأولى جداً لأبي الأرواح فنحيا" عب١٢: ٩.

📖 ١٥- كيف نتأمل في الله؟

📖 يمكننا بلوغ التأمل في الله بطرق عدة.

📖 فلا نعرف الله فقط عن طريق اندهاشنا من جوهره المخفي غير المدرك ... لكن يمكننا أن نراه أيضاً في عظمة أعماله في الخليقة.

📖 وفي التطلع إلى عدالته. والتأمل في معونة نعمته اليومية.

📖 وعندما نتأمل بعقل نقي في أعمال الله في قديسيه، عبر كل الأجيال، ونعجب بقلوب مرتجفة لقوته، التي بها يحكم كل الأشياء، ويوجهها، وينظمها.

📖 أو نعجب من علو معرفته، وعلمه لكل خفايا القلب.

إن أخذنا في اعتبارنا معرفته لعدد رمال البحر، وموجات البحر، وقطرات الأمطار، وأيام أعمارنا وساعاتها، وكل الأمور الماضية والمستقبلة هي حاضرة قدامه.

عندما نتطلع في دهش بلا حدود أمام محبته، التي لا ينطق بها، أو صبره اللانهائي، غافراً في كل لحظة الخطايا التي نعترف له بها بلا حساب. ودعوته لنا رغم عدم استحقاقنا السالف، إنما بنعمة رحمته.

كذلك فرص الخلاص التي يقدمها لنا بغير حدود، واهباً لنا التبني، إذ يجعلنا نولد له، متعهداً إيانا منذ الطفولة بالنعمة، ومعرفة نواميسه.

ويهب لنا أن نغلب به العدو {الشيطان} خلال إرادته الصالحة فينا، مقدماً لنا السعادة الأبدية والأكاليل الدائمة.

كذلك تعهده بتدبير التجسد من أجل خلاصنا، واتساع عجائب أسراره التي يقدمها للأمم جميعاً. وهناك تأملات أخرى من هذا النوع لا تحصى، ترتفع في أذهاننا حسب صلاح حياتنا، ونقاوة قلبنا، هذا القلب الذي كعينين نقيتين نعاين به الله، أو نحتضنه.

هذه التأملات بالتأكيد لا يمكن لأحد أن يحتفظ بها، مادامت ميوله الجسدية قائمة، إذ يقول الرب "لا تقدر أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا يراني ويعيش" خر٣٣: ٢٠، أي من له ميول زمنية، أو أرضية.

١٦- سؤال:

هل يمكن للإنسان أن يمنع الأفكار لينعم بالتأملات الإلهية؟

جرمانيوس: كيف تتسلل إلينا أفكار الكسل خفية، رغم إرادتنا، وعدم معرفتنا، حتى يصعب جداً ليس فقط طردها، بل أيضاً مجرد معرفتها؟ هل يستطيع العقل أن يتحرر منها ولا يحارب قط بمثل هذه الخداعات؟



📖 ١٧- موسى:

📖 يستحيل على العقل أن يمنع اقتراب الأفكار إليه، لكن في استطاعة الإنسان المجتهد أن يقبلها، أو يرفضها. فظهور الفكر لا يعتمد على إرادتنا، لكن قبوله، أو رفضه في مقدورنا.

📖 فإن كنا قد قلنا بأننا لا نستطيع منع الأفكار من الاقتراب نحو العقل، فإنه علينا إلا نحتج بهجومها ... متجاهلين حرية إرادتنا، وإلا لا يكون إصلاحنا في أيدينا.

📖 لكنني أقول إلى حد كبير، أنه في قدرتنا تحسين أفكارنا، إذ لنا أن نقبل الأفكار المقدسة الروحية، أو الأفكار الأرضية أن تنمو في داخل قلوبنا. لهذا الغرض تستخدم القراءة المستمرة.

📖 والتأمل الدائم في الكتاب المقدس، كفرصة لتهيئة القلب، وتذكر الروحيات. ويستخدم التسبيح بالمزامير، في الحصول على الشعور بالندامة باستمرار.

📖 كذلك يستخدم السهر، والصوم، والصلاة باجتهاد، للسمو بالعقل عن الأمور الأرضية، متأملاً في الأمور السماوية. فإذا ما أُهملت هذه الأمور وتُركت، بالتأكيد ينحرف العقل نحو الميول الجسدية، ويسقط في دنس الخطية.

📖 ١٨- تشبيه العقل بطاحونة الهواء:

📖 يليق بنا مقارنة حركة القلب بعجلة طاحونة الهواء.

📖 فالمياه تندفع بسرعة ... ولا يمكن إيقافها مادامت العجلة تعمل ... لكن في استطاعة الإنسان أن يوجه المياه في زراعة الحنطة، أو الشعير، أو الزوان، وهذا يتوقف على الإنسان الموكل إليه بالعمل.

📖 هكذا أيضاً بالرغم من قوة تأثير الإغراء في هذا العالم، التي تضغط على العقل من كل جانب، حتى أنه لا يقدر أن يكون متحرراً من تدفق الأفكار، إلا أن نوع الأفكار التي تتسلل إليه وتأتيه، تتوقف على جهاده.

فمتى كنا دائمي التأمل في الكتب المقدسة، موجهين أذهاننا إلى تذكر الروحيات، راغبين في بلوغ الكمال، مترجين السعادة العتيدة، فإن أفكارنا الروحية ترتفع، وعقلنا يحيا فيما نتأمل فيه.

لكننا إن غُلبنا بالكسل والإهمال، وأضعنا وقتنا في فلسفة الكلام.

أو عاقتنا اهتمامات هذا العالم، ومباهجه غير الضرورية.

فإنه تظهر بعض أنواع الزوان، وتُضر قلوبنا، وكما يقول إلهنا ومخلصنا بأنه: حيث يوجد كنز أعمالنا، أو هدفنا، هناك تكون بالتأكيد قلوبنا. {مت٦: ٢١}.

١٩- مصادر الفكر:

يلزمنا قبل كل شيء أن نعرف على الأقل أن هناك ثلاثة مصادر للأفكار: اللـه - الشيطان - ذواتنا.

فالفكر يأتي من اللـه:

عندما يهبنا اللـه أن يفتقدنا، بإنارة الروح القدس، رافعاً إياناً إلى تقدم عظيم. ويقوم اللـه بتأديبنا تأديباً نافعاً، متى تباطأنا في النمو، أو غُلبنا بالكسل. إنه يكشف لنا أسرار السماوات، ويحول أهدافنا إلى الأعمال الفضلى، وذلك كما فعل بأحشويرش الملك الذي أدبه اللـه، والذي حثه أن يسترجع ما قد كتب في الأخبار، بخصوص أعمال مردخاي العظيمة.

كذلك يقول النبي "إني أسمع ما يتكلم به اللـه الرب" مز٨٥: ٨.

ويخبرنا آخر "فقال لي الملاك الذي كلمني" زك١: ١٤.

ويقول الرب: "لأن لستم أنتم المتكلمين، بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم" مت١٠: ٢٠. ويقول الإناء المختار: "أنتم تطلبون برهان المسيح المتكلم فيَّ" ٢كو١٣: ٣.



🕮 **كذلك تنبع سلسلة أفكار من الشيطان:**

🕮 وذلك بسبب حسده لنا، راغباً تدميرنا، أما بمباهج الخطية، أو بهجماته السرية، فهو يخدعنا بحيله الخبيثة، مظهراً الشر كما لو كان خيراً، ومعلناً ذاته في صورة ملاك نوراني {٢كو١١: ٤}.

🕮 ويخبرنا الإنجيلي "فحين كان العشاء، وقد ألقى الشيطان في قلب يهوذا سمعان الإسخريوطي أن يسلمه" يو١٣: ٢.

🕮 ويقول بطرس لحنانيا "لماذا ملأ الشيطان قلبك، لتكذب على الروح القدس؟!" أع٥: ٣. وجاء في سفر الجامعة "إن صعدت عليك روح المتسلط فلا تترك مكانك" جا١٠: ٤.

🕮 وهذا أيضاً ما قيل ضد آخاب في الكتاب الثالث للملوك، عن الروح غير المنظور "أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه " ١مل٢٢: ٢٢.

🕮 **وتصدر الأفكار من ذواتنا:**

🕮 إذ بطبيعتنا نتذكر ما نفعله، أو فعلناه، أو سمعناه.

🕮 ويقول عن ذلك الطوباوي داود "تفكرت في أيام القدم، السنين الدهرية. أذكر ترنمي في الليل. مع قلبي أناجي وروحي تبحث" مز٧٧: ٥،٦. ومرة أخرى يقول "الرب يعرف أفكار الإنسان أنها باطلة" مز٩٤: ١١، "أفكار الصديقين عدل" أم١٢: ٤. وفي الإنجيل يقول الرب للفريسيين "لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم؟!" مت٩: ٤.

🕮 **٢٠- تمييز الأفكار:**

🕮 يلزمنا أن نراعي بكل حرص هذا الأمر المثلث الجوانب، فنحلل الأفكار التي تصعد إلى قلوبنا ببصيرة حكيمة، لندرك ما هو مصدر الفكر، وأسبابه منذ بدايته.

🕮 وبهذا يمكننا أن نأخذ في اعتبارنا هل نخضع له، وذلك حسب نوع مقترحها، فنكون كالصيارفة الحكماء، كما يعلمنا بذلك الرب. إذ هم

بمهارتهم وخبرتهم يميزون الذهب النقي الخالص الذي تنقى بالنار كما ينبغي، وبمهارتهم لا ينخدعون بقطع النحاس المغشاة بطبقة خفيفة من الذهب، والتي تبدو ذات قيمة عظيمة ... إنهم بذكائهم ومهارتهم يدركون تمتماً العملات المزيفة التي يصكها كبار المخادعون.

📖 هكذا يلزمنا أولاً أن نختبر بكل حرص كل فكر يدخل إلى قلوبنا، وكل تعليم نتقبله لنرى ما إذا كان قد تنقى بنار الروح القدس الإلهي السماوي، أو ينتمي إلى خزعبلات اليهود، أو هو ثمرة كبرياء الفلسفة البشرية، التي ليس لها إلا سطحيات التدين. نستطيع أن نعمل هذا إن سلكنا بنصيحة الرسول القائل: "أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله" ١يو٤: ١.

📖 فينخدع البعض بهذا النوع، فيغويهم حُسن التنسيق، والتعاليم الفلسفية التي تخدع لأول وهلة، بما فيها من بعض المعاني الورعة، التي تتفق مع الدين، وذلك كما يخدع بريق الذهب ناظريه.

📖 هؤلاء تجذبهم المظاهر، لكن سرعان ما تفقرهم، وتسقطهم في اليأس، ويكونون كمن قد انخدعوا بالنقود النحاسية المغشوشة.

📖 هذه الأفكار، أو التعاليم: أما أن تجذبهم إلى الانهماك في العالم.

📖 أو تسقطهم في أخطاء الهراطقة. وتنحدر بهم إلى الكبرياء الباطل.

📖 ومن جهة أخرى يلزمنا أن نحرص، لئلا يوضع أمامنا تفسيراً خاطئاً للذهب النقي، الذي هو الكتاب المقدس فننخدع.

📖 وقد استخدم الشيطان هذه الوسيلة، لكي يخدع بها سيدنا، ومخلصنا الذي بدا ربنا كأنه رجل عادي، إذ بتفسيره {الشيطان} المضلل، حاول أن يفسد ما يفهمه الصالحون {مت٤}.

🕮 لقد حاول أن يثبت تفسيره ... فلفت أنظارنا إلى الأقوال القيمة التي للكتاب المقدس، محرفاً تفسيرها لنفهمها فهماً خطيراً، يختلف كلية عن المعنى الحقيقي.

🕮 كذلك يحاول أن يخدعنا بالتزييف، كأن يحثنا على الانشغال ببعض أعمال الرحمة {بطريقة غير سليمة}، وهو بهذا يظهر كأنه يتكلم بفكر الآباء الحقيقي، فيقودنا إلى الرذيلة في شكل الفضيلة، فيخدعنا بالأصوام المفرطة، أو المستحيلة، أو الأسهار الطويلة، أو الصلوات الزائدة عن الحد، أو القراءات غير المناسبة، وبهذا يجذبنا إلى نهاية سيئة.

🕮 وأيضاً يغوينا بأن نسلم أنفسنا إلى الاعتناء بالآخرين والافتقاد الروحي، وهو بهذا يخلعنا عن وجودنا الروحي في الدير، ولينزع عنا سر الهدوء الملازم لنا، ويقترح علينا أن نأخذ على عاتقنا الاهتمام بضيقات النساء المتدينات اللواتي في عوز وإشباع احتياجهن. فإذا ما ارتبك الراهب وسقط في أمر كهذا يجعله بهذه الأعمال والاهتمامات الضارة.

🕮 كذلك عندما يحرص الراهب أن يشتاق إلى وظيفة كهنوتية مقدسة، بحجة تعليم الناس، وحبه لربح النفوس، وهو بهذا يجذبنا بعيداً عن الاتضاع، والتدقيق في حياتنا.

🕮 هكذا يقدم لنا كل الأمور التي تعترض خلاصنا، ولا تتناسب مع عملنا، غير أنه يخفيها بغطاء، أو يحجبها بحجاب من الشفقة والدين، لكي يخدع بسهولة من تنقصهم المهارة والحرص.

🕮 إنهم يقلدون عُملة الملك الحقيقي، إذ يظهرون هذه الأعمال مملوءة شفقة، لكن لم يصكها الذين لهم الحق، أي لا تتفق مع فكر آباء الكنيسة الجامعة، ولا يحصلون عليها من المكتب العام المخصص

بتسليمها، إنما تصك خلسة بخداع شيطاني، ويدسونها لغير الماهرين والجهال.

🕮 وإذ تبدو في النهاية أنها نافعة ولازمة، إلا أنه بعد ذلك تبدأ في أن تتدخل داخل سلامة عملنا، وتضعف كل كيان هدفنا ببعض الأساليب.

🕮 لذلك حسن أن تقطع هذه الأفكار، وتبعد عنا، وذلك كما لو كانت عضواً فاسداً، الذي وإن بدا لازماً لكنه مضر لنا.

🕮 فإنه من الأفضل أن نكون بلا هذا العضو من وصية ما، أي أننا لا ننفذها، ونبقى في سلام وأمان، فندخل ملكوت السماوات هكذا، عن أن نخطئ في كل الوصايا، عن طريق خداع الشيطان، الذي يقدم لنا أن ننفذ وصية ما، بواسطتها يحرمنا من نظامنا الدقيق، وترتيبنا.

🕮 وتصير لنا خسارة تفوق في أهميتها، أي ضرر لاحق، وتدفع بكل جهادنا السابق، وكل جسد أعمالنا إلى الحرق في نار جهنم {مت١٨: ٨}. قيل عن هذه الأنواع من الخداع: "توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة، وعاقبتها طرق الموت" أم١٦: ٢٥.

🕮 وأيضاً: "ضرراً يُضير من يضمن غريباً" أم١١: ١٥.

🕮 فالشيطان يخدعنا بأخذه مظهر القداسة.

🕮 ٢١- مثال: انخداع الأب يوحنا:

🕮 لقد سمعنا عن الأب يوحنا الذي كان يقطن في Lycon {Lycon أوLycopolis ليكوبوليس وتدعى حالياًEl Syuot في الجنوب الشرقي لهرموبوليس {المنيا}.}، وقد انخدع منذ فترة قصيرة.

🕮 فقد أنهك جسده، وأعياه، وإذ صام يومين، وفي اليوم الثالث بينما كان ذاهباً ليأخذ بعض القوت، ظهر له الشيطان في صورة سوداء قذرة، وسقط تحت قدميه قائلاً: "عفواً. فإني سأقوم لك بهذا العمل".

🕮 فانخدع الرجل العظيم بمكر الشيطان، وحسب أن هذا العمل لا يتناسب معه بسبب زهده.

فازداد في الصوم، متظاهراً بإنهاك قوى جسده، وصار في حالة ملل كان في غنى عنها، وهكذا أضر الرجل روحه، وانخدع بالعملة المزيفة. فكما سبق أن أشرنا أنه يلزم على الصراف الحكيم، أن يختبر وزن العملة، فيتحقق الفكر الذي يخطر علينا، ويضعه على ميزان قلبه، ويزنه بميزان دقيق.

فقد يكون العمل {الذي يبثه الفكر} مملوء بالخير للجميع، أو مثقلاً بمخافة الله، أو نقياً وكاملاً في معناه.

وخفيفاً بالتفاخر، والزهو البشري، أو الغرور بالتجديد.

يلزم وزن الفكر بالميزان العام، أي اختباره بأعمال وبراهين الرسل والأنبياء النقية كاملة الزن، نابذين بكل تدقيق وجهاد، الأعمال غير الكاملة المزيفة ناقصة الوزن.

٢٢- طرد الأفكار المزيفة:

قوة التمييز هامة لنا من جوانب أربع، من جهة موضوع حديثنا:

أولاً: أن ندرك إن كان معدنها ذهباً نقياً، أم مجرد مغطاة بالذهب.

ثانياً: يلزمنا أن نستبعد الأفكار التي تعهد إلينا بأعمال مزيفة خاصة بالدين، كما لو كانت عملة مزيفة، صكت بغير حق، وتحمل صورة مزيفة للملك.

ثالثاً: وبنفس الطريقة يلزمنا أن تكون لدينا القدرة على تمييز تلك الأفكار، التي تشرح ذهب الكتاب المقدس الخالص، شرحاً خاطئاً وهرطوقياً، فتظهر صورة مخادعة لا صورة الملك الحقيقي.

رابعاً: يجب علينا أن نرفض أيضاً الأفكار التي استنفذت وزنها، وفقدت قيمتها بسبب الغرور، فلم تعد بعد تصلح في ميزان الآباء، بكونها عملات خفيفة جداً وزائفة.



📖 لذلك يلزمنا إلا نجلب على أنفسنا، ما قد حذرتنا به الشريعة الإلهية بكل قوتها، حتى لا نخسر جزاء كل أعمالنا. "لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض، حيث يفسد السوس والصدأ، وحيث ينقب السارقون ويسرقون" مت٦: ١٩.

📖 فإن قمنا بأي عمل ما ناظرين إلى المجد البشري، فإننا نعلم أنه كما يقول الرب، نكنز لأنفسنا كنزاً على الأرض، وبالتالي نخفيه في الأرض وندفنه فيها، فيهلكه الشياطين، ويتلف بصدأ المجد الباطل، أو يفسد بسوس الكبرياء، فلا ننتفع منه بشيء.

📖 يلزمنا أن نفتش باستمرار كل غرفنا الداخلية في القلب، ونقتفي آثار كل ما يدخل فيها، وندقق في بحثه، لئلا يدخل إحدى الحيوانات المفترسة. إنني أنطق بهذا خشية أن يدخل أسد، أو تنين خلسة، تاركاً في داخلنا آثاراً خطيرة، وتكشف لغيرها طريق الدخول إلى مخابئ قلبنا، وذلك بسبب إهمالنا في تمييز أفكارنا.

📖 لذا يجب أن نقلب أرض قلبنا، بمحراث الإنجيل يومياً، بل كل ساعة، أي أن نتذكر صليب المسيح على الدوام، فنحطم في قلوبنا كل عرين للحيوانات المفترسة المهلكة، ونزيل موضع اختباء الثعابين السامة.

📖 ٢٣- وعده بأن يحدثنا عن التمييز:

📖 وإذ رأى الشيخ اندهاشنا، والتهاب قلبنا بكلمات حديث، وشوقنا المتزايد، توقف قليلاً عن الكلام.

📖 ثم أضاف قائلاً: يا أولادي إنه من أجل غيرتكم في سماع النقاش الطويل، وبسبب شغفكم، كانت تلك النار تمدكم باللذة، والاشتياق نحو مناظرتنا، ومن هذا أتبين بوضوح تعطشكم نحو التعلم عن الكمال.

📖 إنني أود أن أحدثكم شيئاً عن عظمة التمييز والنعمة التي تحكم الإنسان، وتجعله يقتني حقل كل الفضائل.

📖 غير مبرهن عليها بالأدلة اليومية، إنما بتأملات الآباء وفكرهم.

📖 وإنني أتذكر أنه عندما كان يسألني أحد بتنهد، ودموع للحديث عن مثل هذا الأمر، كنت أنا نفسي أيضاَ أجد شوقاً للحديث معه، عن بعض التعاليم التي لم يكن في استطاعتي أن أنظمها.

📖 وبهذا رأينا بوضوح أن نعمة الله تلهم المتحدث بالكلام، حسب احتياج السامعينٍ وغيرتهم. والآن لا أستطيع إلا أنهي حديثي لأن الليل كاد أن ينتهي، تاركاً الحديث من أجل أن تستريح أجسادكم.

📖 ولنترك تكملة ترتيب المناظرة إلى النهار، أو الليل المقبل.

كتاب القديس يوحنا كاسيان ـ حياته ـ كتاباته ـ أفكاره ـ صفحة ٧٢ ـ ٨٩
ترجمت في عيد الرسل ١٦٧٦ش ١٩٦٠م.

📖 **ملخص المبادئ {للمترجم}:**

📖 نقاوة القلب تعني ملكية القلب كله لله وحده، أي حبنا لله وانشغالنا به وتأملنا فيه على الدوام. وهو الترمومتر الدقيق لقياس مدى إخلاص العبادة، أو تزييفها.

📖 فالعبادة من صوم وصلاة وصدقة ونسك ... غايتها نقاء القلب، الذي هو طريق الملكوت. وكل وسيلة من وسائل العبادة – مهما بلغ قدرها – تفقد كيانها، بل وتضلل الإنسان وتخدعه، إذا لم يكن هدفها نقاوة القلب.

📖 الإنسان في هذا الجسد الضعيف يبغي كمال النقاوة، يفرح روحياً قدر ما يقترب منها، ويلزمه أن يحذر لئلا ينحرف عنها، وذلك بفضل عمل الروح القدس الساكن فيه، والذي يهب روح الحكمة، أو التمييز {الإفراز}. مع الجهاد في خطوات عملية منها:

📖 الاهتمام بحياة التسبيح لله، والشكر لأن هذا هو عمل أبناء الملكوت. التأمل في عظمة الخالق، ومحبته وعنايته بنا.

📖 التأمل في الصليب كينبوع لا ينضب، نرى فيه حب اللـه اللانهائي واهتمامه بنا. القراءة المستمرة، والتأمل الدائم في الكتاب المقدس.

📖 السهر، والصوم، والصلاة، بقصد رفع العقل عن الأرضيات.

📖 التمييز بين مصادر كل فكر، لأن كثير من الأفكار تبدو مقدسة، وهي مضللة مثال ذلك:

📖 أفكار تحث الراهب على الخدمة في العالم، وخاصة أثناء الصلاة.

📖 وتشوق الكاهن المتزوج للرهبنة. انشغال الإنسان بخطيئته بصورة تفقده سلامه الداخلي، وتجعله قانطاً كئيباً، مدفوعاً نحو اليأس.

📖 التفكير في مراحم اللـه وحنانه، أثناء استهتارنا، وجعل ذلك ستاراً لعدم التوبة.

تشتيت الفكر وضبطه
وهل للشيطان سلطان علينا؟

للأب سيرينوس

📖 **١- مقدمة:**

📖 إذ نرغب في تقديم الأب سيرينوس لأصحاب العقول الغيورة للغاية، هذا الرجل العظيم في قداسته وعفته، إجابته هي مرآة لاسمه. إننا نعجب منه في أمور كثيرة.

📖 فبجانب كل الفضائل التي تتلألأ فيه، لا من جهة أعماله وأخلاقه الظاهرة فحسب، بل ونعمة اللـه الظاهرة في هيئته أيضاً، فقد وهبت له نعمة خاصة هي عطية العفة، فلم يكن يشعر قط باضطراب، حتى بالنسبة للانفعالات الطبيعية أثناء النوم.

📖 ينبغي لي أولا أن أشرح كيف حصل على نقاوة الجسد العجيبة، بمساعدة النعمة الإلهية، بطريقة تبدو أسمى من الحالة الطبيعية التي للبشرية.

📖 ٢- عفة سيرينوس:

📖 كان ذلك الرجل في صلواته النهارية، والليلية، وأصوامه، وسهره، يطلب بدون كلل العفة الداخلية التي للقلب والروح. وقد نال ما كان يشتهيه، ويصلى من أجله، فماتت أهواء الشهوة الجسدية في قلبه.

📖 هذا مع شعوره بلذة النقاوة، واشتياقه الحار للعفة.

📖 باختباره للعطية التي حصل عليها، أدرك أنه قد صارت له حصانة، لا باستحقاقات أعماله، بل حسب النعمة الإلهية، فصار يطلب العفة بأكثر غيرة، مجاهدا.

📖 كان يعتقد بأن الله قادر أن يقتلع بسهولة جذور الشهوات الجسدية، لأن نقاوة الروح، التي هي أعظم شيء، تُعطى هبة من قبل الله حسب إرادته.

📖 إذ كان يصلي ملتمسا بدموع، مثابرا من أجل طلبته الأولى، ظهر له ملاك في رؤيا الليل، وكأنه قد فتح بطنه، ونزع عنه الانفعالات الجسدية النارية، وقذف بها خارجا، وأعادها كما كانت، ثم قال له: هوذا قد أزيلت عنك انفعالات جسدك، يلزمك اليوم أن تتأكد بأنك قد نلت نقاوة الجسد الكاملة، التي سألت من أجلها بإيمان. يكفي أن أخبركم بإيجاز عن هذه النعمة الإلهية، التي وهبت لهذا الرجل بهذه الطريقة الخاصة.

📖 وأظن إنه ليس هناك حاجة أن أتحدث عن بقية فضائله.

📖 إذ كنا مشتاقين بغيرة قوية لمناقشته، والتعلم منه، زرناه في الصوم الكبير، وسألناه بهدوء عن أحوال أفكارنا، وعن إنساننا الداخلي، وعما قمنا به خلال الفترة الطويلة التي قضيناها في البرية، من أجل نقاوة إنساننا الداخلي، حينئذ قدمنا له هذه الشكوى.



📖 ٣- سؤال بخصوص ضبط الفكر

📖 إنك تظن أننا نلنا كمال إنساننا الداخلي في هذه الفترة، التي قضيناها هنا في الوحدة والتأمل، لكن حدث الآتي:

📖 لقد تعلمنا الأمور التي لا نستطيع أن نفعلها، لا ما ينبغي أن نحاول فعله، بهذه المعرفة لم نشعر أننا حصلنا على أي ثبات في النقاوة، التي نشتاق إليها، أو أية قوة وحزم، بل صار فينا خوف

📖 بالرغم من تأملنا في أهداف نظامنا، خلال دراستنا اليومية، واجتهادنا في الوصول من البداية إلى النقاوة الثابتة الأكيدة.

📖 وبدأنا نعرف بعض الأمور التي كنا نفهمها بمفاهيم خاطئة، أو نجهلها تماما، وتقدمنا بخطوات ثابتة نحو ذلك النظام، متدربين عليه بكمال بدون أية صعوبة.

📖 بالرغم من جهادي في هذه الرغبة نحو النقاوة، لم أعرف بعد ما أستطيع أن أكون عليه، لهذا أشعر باضطراب، حتى أن دموعي لم تتوقف قط، ومع هذا لم أكف عما لا ينبغي أن أكون عليه.

📖 ما الفائدة من تعلم ما هو الأفضل، مادمت لا أقدر أن أناله حتى إن عرفته؟ إننا إذ نشعر بأن هدف قلبنا قد انحرف عن الغرض.

📖 تمر بنا الأفكار العجيبة السابقة لاشعورياً، وتندفع بأكثر شدة، ويصير الذهن في ذهول دائم، أسيرا لأمور كثيرة، حتى أننا غالبا ما نيأس من الإصلاح الذي نتوق إليه، وكأن كل هذا الاهتمام بلا جدوى.

📖 وإذ نستيقظ ونكتشف تيه الذهن عن غرضه الموضوع أمامه، ونرغب في استعادته إلى التأمل الروحي الذي ضل عنه، ونربطه بسرعة بالغرض القلبي الثابت، سرعان ما ينسحب من مخادع القلب أسرع من الحية.

📖 إذ نلتهب بالتداريب اليومية، لا نرى أننا كسبنا أية قوة، أو ثبات قلبي فنُغلب باليأس، ونضل بهذه الفكرة، وهي الاعتقاد بأن الخطأ ليس منا، بل من طبيعتنا، وأن الضلال هو من الطبيعة البشرية.

📖 ٤- لا نلم الطبع البشري في ذاته

📖 **سيرينوس**: من الخطر أن نسرع إلى هذه النتيجة، ملقين اللوم على الطبيعة {البشرية} دون أن نناقش الموضوع بإتقان.

📖 فيلزمك إلا تحكم حسب ضعفك، إنما بناء على قيمة التداريب، ومنهجها، واختبار الآخرين لها.

📖 فإن أي إنسان يجهل السباحة، إذ يعلم أن وزن الجسد لا يمكن أن يحمله الماء، ويرغب في البرهان على ما قدمته له خبرته الخاصة قائلاً: بأنه لا يمكن لأي جسم صلب أن يُحمل بسهولة على سائل، فلا نصدق رأيه المبني على خبرته الشخصية.

📖 هكذا بحسب الطبيعة، لا يمكن للعقل أن يكون خاملاً، بل لديه على الدوام ما يشغله، وبسبب ثقله، يضل ويتوه في أمور كثيرة، ما لم يمارس التداريب اليومية الطويلة، هذه التي تقول عنها أنك تعبت فيها بلا جدوى. هذا يتطلب الجهاد بمثابرة، لضبط الفكر.

📖 محاولاً ومتعلماً أن تقدم للذاكرة القوت الضروري {أي الأفكار الصالحة عوض الأخرى}، ويمكننا بسهولة طرد أفكار العدو {الشيطان}، المُعادية التي تشتت فكرنا، وبالتالي نبلغ الحياة التي نشتاق إليها.

📖 يلزمنا إلا ننسب الانحراف في تيه القلب، إلى الطبيعة البشرية، أو خالقها، فإنه بالحق يقول الكتاب المقدس "أن الله خلق الإنسان مستقيماً، أما هم فطلبوا اختراعات كثيرة" {جا٧:٢٩}.

📖 اختلاف الأفكار يتوقف علينا نحن: لأن الفكر الصالح يقترب من الذين يعرفونه، والإنسان العاقل يجده.

📖 فأي أمر يخضع لتمييزنا وعملنا، يمكننا أن نصل إليه، فإذا لم نبلغه يرجع هذا إلى كسلنا وإهمالنا، لا إلى خطأ في طبيعتنا.

لو لم يكن هذا الأمر في قدرتنا، لما وبخ الرب الفريسيين قائلا: "لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم؟" {مت٩:٤}.

ولما كلف النبي ليقول: "اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني" {إش١:١٦}. "إلى متى تبيت في وسطك أفكارك الباطلة؟!" {إر٤:١٤}.

ولما كان لنوع أفكارنا اعتبار في يوم الدينونة، إذ يهدد الله بواسطة إشعياء قائلا: "وأنا أجازي أعمالهم وأفكارهم" {إش٦٦:١٨}.

فما كان من الصواب أن نجازى، أو نعاقب حسب شهادة أفكارنا في ذلك الامتحان الرهيب المميت، إذ يقول الرسول المبارك: "شاهدا أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية، أو محتجة. في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلي" {رو٢:١٥،١٦}.

١٥- سلطاننا على الفكر:

ورد في الإنجيل مثال ممتاز بخصوص الكمال العقلي، وذلك في حالة قائد المائة، هذا الذي لم تكن فضيلته بفكر مندفع {إلزامي}، إنما بإرادته كان يقبل الفكر الصالح، أو يطرد الفكر الشرير بسهولة.

وقد جاء في الصورة التالية: "لأني أنا أيضاً إنسان تحت سلطان. لي جند تحت يدي. أقول لهذا اذهب فيذهب، ولآخر ائت فيأتي ولعبدي افعل هذا فيفعل" {مت٨:٩}.

إذا ما جاهدنا كبشر ضد الاضطرابات والخطايا، تصير هذه تحت سلطاننا وفق إرادتنا، فنحارب أهواء جسدنا ونهلكها ونأسرها تحت سلطاننا، ونطرد من صدرنا الضيوف المرعبين، وذلك بالقوة التي لنا بصليب ربنا، فنتمتع بالنصرة التي نراها في مثال قائد المائة روحيا.

يرمز {سلطاننا على الفكر} بموسى في سفر الخروج، إذ قيل: وتقيمهم عليهم رؤساء ألوف، ورؤساء مئات، ورؤساء خماسين، ورؤساء عشرات {خر١٨:٢١}.



📖 ونحن أيضاً إذ نبلغ إلى مرتفعات هذا الجهاد، يكون لنا نفس الحق والسلطان، فلا تحملنا الأفكار بغير إرادتنا، بل في استطاعتنا أن نستمر في الارتفاع، ونمسك بتلك الأفكار التي تبهجنا روحيا، آمرين الأفكار الشيطانية أن ترحل عنا فترحل.

📖 فنقول للأفكار الصالحة إئت فتأتي، وأيضا لعبدي هذا أي الجسد الذي لنا أن ينتمي إلى العفة والطهارة، فيخدمنا بغير مقاومة، من غير أن تثور فينا انفعالات الشهوة، بل يظهر كل ما يوافق الروح.

📖 أما ما هي أنواع الأسلحة التي لقائد المائة هذا؟

📖 وفي أي حرب نستخدمها؟ فلنسمع ما يقوله الرسول الطوباوي: "إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية {روحية وليست ضعيفة}، بل قادرة بالله على هدم حصون" {٢كو١٠:٤}.

📖 وأما بالنسبة للحروب التي نستخدمها فيها فيقول: "هادمين ظنونا وكل علو يرتفع ضد معرفة الله، ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح، ومستعدين لأن ننتقم على كل عصيان متى كملت طاعتكم" {٢كو١٠:٥،٦}.

📖 إنني أريدك أن ترى أنواع الأسلحة المختلفة وصفاتها، إذ ينبغي علينا إن أردنا أن نحارب في المعركة الإلهية ضد الشيطان، ونُحسب بين قواد المئات {الروحيين}، الذين للإنجيل أن نتمنطق بها على الدوام.

📖 يقول الإنجيل: "حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة" {أف٦:١٦}. الإيمان هو الذي يوقف سهام الشهوة الشريرة، ويهلكها بالخوف من الدينونة، والإيمان بملكوت السماوات. ويقول أيضاً: "درع الإيمان والمحبة" {١تس٥:٨}.

📖 المحبة في الواقع هي التي تحيط بالمناطق الحيوية للصدر، فتحميه من تعرضه لجراحات الأفكار المتزايدة المهلكة، وتحفظه من

الضربات الموجهة ضده، ولا تسمح لسهام الشرير أن تتعمق إلى الإنسان الداخلي. لأن المحبة "تحتمل كل شيء، وتصدق كل شيء، وترجو كل شيء، وتصبر على كل شيء" {١كو١٣:٧}.

📖 "وخوذة هي رجاء الخلاص" {١تس٥:٨}.

📖 والخوذة هي ما تحمي الرأس، المسيح هو رأسنا، لذلك ينبغي علينا في التجارب أن نحمي رأسنا، برجاء الأمور الصالحة المقبلة، وعلى وجه الخصوص، أن نحفظ الإيمان كاملا وطاهرا.

📖 فمتى فقد أي أحد جزء من الجسم يصير ضعيفا، لكنه يمكن أن يعيش، إنما لا يستطيع أن يحيا ولا فترة قصيرة بغير الرأس.

📖 "وسيف الروح الذي هو كلمة الله" {أف٦:١٧}، لأنه "أمضى من كل سيف ذي حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته" {عب٤:١٢}.

📖 هكذا نقطع ما فينا مما هو أرضي وجسدي، بواسطة هذه الأسلحة التي نستخدمها في دفاعنا ضد أسلحة العدو {الشيطان والخطية} وإتلافه.

📖 بهذا لا يصير أحد منا مربوطا بسلاسل مضايقته.

📖 أسيرا ومسجونا في أرض الأفكار الباطلة. ولا يسمع كلمات النبي: "لماذا يا إسرائيل، لماذا أنت في أرض الأعداء" {با٣:١٠}.

📖 إنما يبقى كمحارب منتصر، في أرض الأفكار التي اختارها.

📖 هل فهمتم أيضاً قوة قائد المائة وشجاعته، إذ يحمل هذه الأسلحة التي تحدثنا عنها بأنها ليست جسدية بل روحية قادرة بالله؟

📖 اسمع ما يقوله الملك {الله} نفسه، مستصوباً الرجال الشجعان، مستدعيا إياهم إلى الحرب الروحية {ضد الخطية} قائلا: "ليقل الضعيف إني قوي". فلا يحارب في المعركة الإلهية إلا الضعفاء "لأني حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي" {٢كو١٢:١٠}.

📖 وأيضا: "لأن قوتي في الضعف تكمل" {٢كو١٢:٩}.

📖 فالمجاهد الصبور سيحارب بالصبر الذي قيل عنه: "لأنكم تحتاجون إلى الصبر، حتى إذا صنعتم مشيئة اللـه تنالون الوعد" {عب١٠:٣٦}.

📖 **٦- لنثابر مقتربين من اللـه ومجاهدين:**

📖 بحسب خبرتنا نستطيع بالتمسك باللـه، لإماتة إرادتنا، وقطع شهوات هذا العالم، ونتعلم من أولئك الذين في علاقتهم باللـه، يقولون بكل إيمان: "التصقت نفسي بك" {مز٦٣:٨}.

📖 "لصقت بشهادتك ... يارب لا تخزني" {مز١١٩:٣١}.

📖 "أما أنا فالاقتراب إلى اللـه حسن لي" {مز٧٣:٢٨}.

📖 فعلينا إلا نكل بسبب تشتت العقل والتراخي، لأن "المشتغل بأرضه يشبع خبزا، وتابع البطالين يشبع فقرا" {أم٢٨:١٩}.

📖 يلزمنا إلا ننسحب من جهادنا في السهر، بسبب اليأس الخطير لأن "الآن ملكوت اللـه يغصب، والغاصبون يختطفونه" {مت١١:١٢}.

📖 فلا يمكن نوال فضيلة بغير جهاد. ولا يمكن ضبط العقل بغير حزن قلبي عميق، لأن "الإنسان مولود للمشقة" {أي٥:٧}.

📖 ومن أجل الوصول "إلى إنسان كامل. إلى قياس قامة ملء المسيح" {أف٤:١٣}، يلزمنا أن نكون على الدوام في جهاد عظيم، مع عناية لانهائية.

📖 لا يمكن لأي إنسان أن يصل إلى ملء هذا القياس، إنما من يأخذ هذا القياس في اعتباره مقدما، ويتدرب عليه من الآن، ويتذوقه هنا في العالم، تكون له علامة العضوية الثمينة للمسيح، ويملك وهو في هذا الجسد، على عربون هذا الاتحاد الكامل بجسد المسيح، ويكون له اشتياق وعطش إلى أمر واحد.

📖 جاعلا ليس فقط أعماله، بل وأفكاره متجهة إلى أمر واحد، وهو أن يحفظ الآن وعلى الدوام، عربون الحياة المقبلة الطوباوية التي للقديسين، أي أن "يكون الله الكل في الكل" {١كو١٥:٢٨}.

📖 ٧- سؤال بخصوص شدة هجوم الأفكار الشريرة

📖 **جرمانيوس**: لنفرض إنه قد أحاط بنا طوفان ذلك الميل العقلي، أما يحيط بنا حشد عظيم من الأعداء، فيتوجهون إلينا بقوة لانهائية تضاد رغبتنا. أو بالأحرى بسبب جولان هذه الأفكار ينسحب عقلنا نحوها؟

📖 وحيث أن عددا لانهائيا من الأعداء {الأفكار الشريرة}، المخيفين يحيطون بالعقل، إلا نظن إنه من الممكن لهم أن يقاوموا عقلنا، وخاصة بسبب ضعف جسدنا؟!

📖 ٨- سيرينوس:

📖 لا يقدر أحد ممن اختبر صراع إنسانه الداخلي، أن يشك في سهر أعدائنا {الأفكار الشريرة} على الدوام ضدنا، وهم يعارضون تقدمنا.

📖 إذ يحثوننا على صنع الشر، لكنهم لا يجبروننا عليه.

📖 فنظن أنه لا يقدر الإنسان أن يتجنب الخطية التي يحرضوننا عليها، بل يطيعها في قلبه متى كان الحافز قويا، فيجبروننا على الخطية، وليس فقط يقترحونها علينا.

📖 لكن إذ لديهم قوة كبيرة في الإثارة، فنحن أيضاً لدينا معونة من النعمة الإلهية، وحرية في عدم القبول. فإن كنا نخشى قوتهم وهجومهم، يمكننا أيضاً أن نطلب الحماية، والعناية الإلهية ضدهم، لأن الذي فينا أعظم من الذي في العالم {١يو٤:٤}.

📖 عناية الله تحارب في صفنا، بقوة أعظم من حرب النزلاء ضدنا، لأن الله ليس فقط يقترح علينا الخير، بل هو يعضد عقولنا ويسندها،

حتى أنه في بعض الأحيان، يجذب قلوبنا نحو الخلاص رغم إرادتنا، وبغير معرفتنا.

🕮 لا ينخدع أحد من الشيطان، إلا الذي أراد أن يستسلم له برضاه، وذلك كما يقول سفر الجامعة "لأن القضاء على العمل الردئ، لا يجرى سريعا، فلذلك قد امتلأ قلب بني البشر فيهم لفعل الشر" {جا٨:١١}. لقد ظهر بوضوح أن كل إنسان يسير في الشر، متى هاجمته الأفكار الشيطانية، ولا يقابلها في الحال بالرفض والمعارضة. لذلك يقول الرسول: "قاوموا إبليس فيهرب منكم" {يع٤:٧}.

🕮 ٩- سؤال بخصوص اتحاد النفس مع الأرواح الشريرة

🕮 **جرمانيوس:** ما التمسته منك هو بخصوص اتحاد الروح الإنسانية، مع الأرواح الشريرة، إذ تكون الأرواح متحدة بها بطريقة تقدر أن تتحدث خلالها، وتجد لها فيها سبيلا. تقترح عليها ما تريده، تثيرها حسبما ترغب، وتتطلع إليها مراقبة أفكارها وحركاتها.

🕮 وتكون النتيجة هي توطيد الاتحاد بينها وبين الروح، حتى يصير – بدون النعمة الإلهية – مستحيلا التمييز بين ما هو نتيجة لتحريض الأرواح، وما هو من عمل إرادتها.

🕮 ١٠- سيرينوس:

🕮 ليس عجيبا أن تتصل روح بروح بغير تفرقة، وأن تعمل بقوة إغراء خفية، حسبما ترغب فيه. {فكما يحدث بين البشر} هكذا بينهما شيء من الشبه والعلاقة. ولكن يستحيل أن تستقر الأرواح داخلنا، أو تتحد معنا بطريقة تتمكن منا، لأن هذا من حق الله وحده، الذي يسيطر علينا بطبيعته الروحية.

📖 **١١- جرمانيوس:** هذه الفكرة نجدها تنقض تماما في حالة المأسورين من الأرواح الشريرة، إذ ينطقون ويعملون تحت تأثير الشيطان. وهم لا يعبرون عن كلماتهم وأعمالهم ورغباتهم بل ما هو للشياطين.

📖 **١٢- سيرينوس:** إن ما تتحدث عنه لا يتعارض مع ما نقوله.

📖 أي أن هؤلاء الذين قد امتلكهم الأرواح النجسة، يقولون ويفعلون ما لا يرغبون، ويلزمون بالتفوه بما لا يعرفونه. فالبعض يتأثر بالأرواح النجسة بطريقة ما، حتى إنه لا يكون لديهم أدنى إدراك لما يعملونه ويقولونه. والبعض يدرك ذلك ويتذكره.

📖 لكن يلزمنا إلا نتصور بأن هذا يحدث بطريقة فيها ينسكب الروح النجس خلال مادة الروح {الإنسانية}، وتصير متحدة معها، وملتصقة بها، فينطقون بكلمات وأقوال خلال فمهم. فلا يحدث هذا نتيجة لفقدان الروح {خلال الروح النجس}، بل بسبب ضعف الجسد.

📖 فيلقي الروح النجس القبض على هذه الأعضاء، ويسكن فيها، ويلقي عليها ثقلا غير محتمل، مسيطرا عليها بظلامه الدامس، ويتدخل بقوته، وذلك كما يحدث في حالة السكر، والحمى، والبرد الشديد. ليس للروح النجس سلطان على البشر، هذا يظهر عند صراعه ضد أيوب الطوباوي، فقد أخذ السلطان على جسده من قبل الرب، إذ قال له: "ها هو في يدك ولكن احفظ نفسه" {أي٢:٦}. أي: لا تضعف روحه، وتجعله مجنونا، وتتسلط على ذاكرته، وعقله، خانقا قوته الداخلية.

📖 **١٣- لا تتحد روحنا إلا بالله وحده:**

📖 الثالوث القدوس وحده لديه الإمكانية أن يخترق كل طبيعة عقلية، ليس فقط يعانقها، ويلتف حولها، بل ويدخل فيها.

📖 فبالرغم من تمسكنا بوجود بعض الطبائع الروحانية، مثل الملائكة، ورؤساء الملائكة، والطغمات الأخرى وأيضا أرواحنا.
📖 إلا أنه ينبغي علينا، إلا نعتبر هذه الطبائع غير مادية incorporeal إذ لها جسم تعيش به، أخف بكثير مما لجسدنا، وذلك كقول الرسول "وأجسام سماوية، وأجسام أرضية" {١كو١٥:٤٠}.
📖 وأيضا "يزرع جسما حيوانيا natural ويقام جسما روحانيا" {١كو١٥:٤٤}.
📖 وبهذا يظهر أنه لا يوجد شيء غير جسمي إلا الله وحده.

📖 هو وحده يمكن أن يخترق كل مادة روحية، وعقلية، لأنه هو وحده الكامل والموجود في كل شيء، يرى أفكار البشر، وحركاتهم الداخلية، وكل خبايا أرواحهم.
📖 وعنه وحده يتحدث الرسول الطوباوي قائلا: "لأن كلمة الله حية وفعالة، وأمضى من كل سيف ذي حدين، وخارقة إلى مفرق النفس، والروح، والمفاصل، والمخاخ، ومميزة أفكار القلب ونياته. وليست خليقة غير ظاهرة قدامه، بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا" {عب٤:١٢،١٣}.
📖 ويقول الطوباوي داود "المصور قلوبهم جميعا" {مز٣٣:١٥}.
📖 وأيضاً "هو يعرف خفيات القلب" {مز٤٤:٢١}.
📖 "لأنك أنت وحدك تعرف قلوب بني البشر" {٢أي٦:٣٠}.

📖 **١٤- جرمانيوس:**
📖 هذا تجعل الأرواح عاجزة عن معرفة أفكارنا.
📖 ومن العبث أن نأخذ بهذه الفكرة، إذ يقول الكتاب المقدس: "إن صعدت عليك روح المتسلط" جا١٠:٤.
📖 وقد ألقى الشيطان في قلب يهوذا الإسخريوطي أن يسلمه {يو١٣}.

📖 فكيف يمكننا بعد أن نعتقد بأن أفكارنا غير مكشوفة لها، عندما نشعر بأن النصيب الأكبر منها ينبعث من اقتراحات الشيطان، وتحريضه ويتبناها؟

📖 ١٥- عدم قدرة الأرواح الشريرة على معرفة أفكار البشر:

📖 **سيرينوس:** لا يشك أحد من جهة تأثير الأرواح الشريرة على أفكارنا، وذلك عن طريق تحريك البواعث، بدون تأثير محسوس عن طريق اتجاهاتنا، أو من كلماتنا، ومن الأمور التي نحبها، والتي يرون أننا نميل إليها.

📖 لكنهم لا يقدرون أن يقتربوا إلى تلك التي تأتي من مخابئ الروح.

📖 وهم يكتشفون الأفكار التي يطرحونها علينا، لا بسبب طبيعة الروح، أي الميل الداخلي المخفي في العقل، إنما عن طريق الانفعالات، والعلامات الظاهرية التي للإنسان.

📖 فمثلا عندما يقترحون على إنسان بالنهم، إذا ما رأوا الراهب يتطلع من الكوة تجاه الشمس بقلق، أو يسأل باستمرار عن الساعة، يدركون أنه قبل شهوة النهم.

📖 وإذا ما اقترحوا الزنا، ورأوه يخضع بهدوء لهجوم الشهوة، أو يرون تهيجا جسديا، أو تأوهات ناجمة عن خلاعة الاقتراحات النجسة، يعلمون أن سهم الشهوة نفذ إلى داخل روحه.

📖 وإذا ما أثاروا فينا بواعث نحو الحزن، أو الغضب، فإنهم يستطيعون أن يدركوا إن كانت لها جذور في القلب، أما عن طريق حركات الجسد، والاضطرابات المنظورة.

📖 أو بملاحظاتهم التنهدات ـ أو السكون ـ أو انفعال الغضب ـ أو تغير لون الإنسان ـ بهذا يكتشفون بدهاء الأخطاء التي يسقط فيها الإنسان، لأنهم يعلون أن كل إنسان له خطية معينة ينجذب إليها على الدوام.

📖 هذا ليس بعجيب بالنسبة لقوات الهواء.

🕮 لأنه حتى الإنسان الطـاهر، غالبـا مـا يقـدر أن يكتشـف حـال غيـره الداخلي من طلعته، ونظراته، وحركاته الخارجية. فكم بـالأكثر يقـدر هؤلاء، الذين لهم طبيعة روحية، وبالتالي هم أكثر دهاء، وحذاقة من البشر.

🕮 ١٦- مثال:

🕮 لكي يعرف بعض اللصـوص موضـع الكنـوز المخفيـة فـي المنـازل التي يرغبون سرقتها. ينثرون رملا في ظلام الليـل بدقـة، فيكتشـفون الكنوز المخفية التي لا يقدرون أن يروها.

🕮 وذلك عن طريق رنين الصـوت الـذي يحـدث أثنـاء سـقوط الرمـل، بهـذا يبلغـون إلـى المعرفـة الحقيقيـة مـن جهـة وجـود المعـادن، التـي تكشف عن نفسها بنفسها، عن طريق الصوت الناتج منها.

🕮 هكـذا بالنسـبة للتجسـس علـى كنـوز قلوبنـا، يلقـون علينـا رمـال الاقتراحـات الشـريرة، وإذ يـرون بعـض الانفعـالات الجسـدية التـي تطـابق الصـفات الداخليـة، يعلمـون كمـا لـو كـان بنـوع مـن رنـين الصوت، ما يحدث في المخابئ الداخليـة. مـا هـو مخفـي فـي المكـان السري الذي للإنسان الداخلي.

🕮 ١٧- ليس لكل شيطان سلطان في اقتراح أي أهواء:

🕮 لنعلم أنه لا تستطيع كل الشياطين أن تغرس في البشر كل الأهـواء، بل تحتضن الأرواح خطايا معينة.

🕮 البعض يثير الشهوات النجسة. والآخر التجديف.

🕮 وآخرون تخصصوا بالأكثر في الغضب والسخط. والبعض يفلحون في الكآبة. وآخرون يهدئون بالكبرياء والعظمة.

🕮 يغرس كل واحـد مـنهم فـي قلـوب البشـر مـا يُسـر هـو بـه. إنهـم لا يقدرون أن يغرسوا رذائلهم دفعة واحـدة، إنمـا بترتيـب معـين حسـب

الظروف، أي حسب الزمان، أو المكان، أو الشخص نفسه الذي يفضحونه، بإثارته أثناء اقتراحاتهم.

📖 ١٨- **هل للشياطين نظام يتبعونه في هجومهم؟**

📖 **جرمانيوس:** إذن هل نعتقد بأن الشر مرتب، ومنسق فيما بينه، يستخدم نظاما خاصا، وخطة منظمة أثناء هجومه.

📖 مع أن النظام والتنسيق هو عند الصالحين والمستقيمين وحدهم، إذ يقول الكتاب المقدس: "المستهزئ يطلب الحكمة، ولا يجدها" {أم١٤:٦}. "ليس حكمة، ولا فطنة، ولا مشورة، تجاه الرب" {أم٢١:٣٠}.

📖 ١٩- **سيرنيوس:**

📖 المؤكد حقا أنه لا يوجد اتفاق ثابت بين الأشرار، والوفاق الكامل لا يمكن حتى بين الذين لديهم خطايا معينة.

📖 لكن في بعض الأمور حيث يوجد نفع جماعي، واحتياجات إلزامية، أو ربح مشترك، هذا يدفع إلى وجود اتفاق منظم إلى حين.

📖 ونحن نلاحظ بوضوح في الحرب الروحية التي للشر، فالأرواح تتقدم بعضها البعض بطريقة معينة، فإذا ما انهزم أحدها، أو تراجع، ترك مجال لروح آخر أكثر عنفا ليهاجمه، وإذا ما انتصر الروح لم يعد بعد هناك حاجة لكي يأتي آخر ليخدع الإنسان.

📖 ٢٠- **كل إنسان يهاجم طاقته:**

📖 لسنا نجهل أن الأرواح جميعها ليست في نفس الشراسة والنشاط، ولا في نفس الشجاعة والخبث.

📖 فالمبتدئين والضعفاء من البشر تهاجمهم الأرواح الضعيفة، فإذا ما انهزمت تلك الأرواح، تأتي من هي أقوى منها لتهاجم جنود المسيح.

📖 ويصعب على الإنسان بقوته أن يقاوم، لأنه لا توازي طاقة أحد القديسين خبث هؤلاء الأعداء {الروحيين}، الأقوياء الكثيرين.

📖 أو يصد هجماتهم، أو يحتمل قسوتهم ووحشيتهم، ما لم يرحمه المصارع معنا، ورئيس الصراع نفسه الرب يسوع، فيرد قوة المحاربين، ويصد الهجوم المتزايد، ويجعل مع التجربة المنفذ قدر ما نستطيع أن نحتمل {١كو١٠:١٣}.

📖 ٢١- لا تخف من محاربات الشيطان:

📖 إننا نعتقد أنهم يتعهدون هذا الصراع بقوة، لكن في مناضلتهم يكون لديهم نوع من القلق والغم، خاصة حين يقفون أمام مناضلين أقوياء، أي رجال قديسين كاملين. وإلا فإنه لا يكون نضالا ونزاعا، بل هو مجرد تغرير بالبشر، لأن طرف قوي، والآخر ضعيف.

📖 وإلا فأين يكون موضوع كلمات الرسول القائل: "فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات" {أف٦:١٢}.

📖 وأيضا "هكذا أضارب كأني لا أضرب الهواء" {١كو٩:٢٦}.

📖 وأيضا "قد جاهدت الجهاد الحسن" {٢تي٤:٧}؟!

📖 إذ يتحدث عن حرب وصراع ومعركة، يلزم أن توجد قوة وجهاد في كِلى الطرفين، وأن يكون كلاهما مُعدًّا، أما أن يضجر ويخجل من الفشل، أو يبتهج بالنصرة.

📖 لو أن أحد الجانبين يحارب بيسر مع ضمان {النصرة} على الثاني الذي يناضل بقوة عظيمة، لما دعيت معركة، أو صراع، أو نزاع، بل يكون نوعا من الهجوم المجحف غير العادل.

📖 بالتأكيد تُعِدْ الأرواح نفسها لمهاجمته البشر، بقوة لا تقل عن قوتهم، لكي يضمنوا النصر عليهم ... {فيسقطون فيما يصنعونه بنا} إذ يقول: "وعلى هامته يهبط ظلمة" {مز٧:١٦}.

📖 وأيضا "لتأته التهلكة وهو لا يعلم، ولتنشب به الشبكة التي أخفاها وفي التهلكة نفسها ليقع" {مز٣٥:٨}، أي في التهلكة التي دبرها بغشه للبشر، فتسقط الأرواح في الحزن.

📖 وإذ تريد إهلاكنا، تهلك هي بواسطتنا، بنفس التهلكة التي يرغبون لنا. ولكن لا تعني هزيمتهم أن يتركوننا بغير رجعة.

📖 بالنظر إلى هذه الهجمات وهذا النضال، فإن من كانت أعين إنسانه الداخلي سليمة، يراهم يتفرسون راغبين في الخراب.

📖 وإذ يخشى لئلا يصيبه هذا، يصلي إلى الله قائلا: "أنر عيني لئلا أنام نوم الموت. لئلا يقول عدوي قد قويت عليه. لئلا يهتف مضايقيَّ بأني تزعزعت" {مز١٣:٣,٤}. "يارب إلهي فلا يشمتوا بي. لا يقولوا في قلوبهم هه شهوتنا. لا يقولوا قد ابتلعناه" {مز٣٥:٢٤,٢٥}.

📖 "حرقوا على أسنانهم يارب إلى متى تنظر" {مز٣٥:١٦,١٧}. لأنه "يكمن في المختفي كأسد في عريسه. يكمن ليخطف المسكين" {مز١٠:٩}.

📖 وأيضا إذ تهلك قواهم، ويفشلون في صراعهم معنا نقول: "ليخز وليخجل معا الذين يطلبون نفسي لإهلاكها. ليرتد إلى الوراء وليخز المسرورون بأذيتي" {مز٤٠:١٤}.

📖 وأيضا يقول إرميا "ليخز طارديَّ، ولا أخز أنا. ليرتعبوا هم، ولا أرتعب أنا. أجلب عليهم يوم الشر، وأسحقهم سحقا مضاعفا" {إر١٧:١٨}. إذ لا يقدر أحد أن يشك في أنه متى انتصرنا عليهم يهلكون هلاكا مضاعفا.

📖 فكل قديس إذ يرى خراب أعدائه {الشياطين}، ونجاحه، يبتهج متعجبا قائلا: "أتبع أعدائي فأدركهم، ولا أرجع حتى أفنيهم. أسحقهم فلا يستطيعون القيام. يسقطون تحت رجلي" {مز١٨:٣٧,٣٨}.

📖 ويصلي ضدهم قائلا: "خاصم يارب مخاصمي. قاتل مقاتلي. امسك مجنا وترسا وانهض إلى معونتي. واشرع رمحا وصد تلقاء مطاردي. قل لنفسي خلاصك أنا" {مز٣٥:١-٣}.

📖 وعندما نقمع كل أهوائنا التي انتصرنا عليها ونبيدها نسمح لأنفسنا أن نسمع كلمات التطويب هذه: "لترتفع يدك على مبغضيك وينقرض كل أعدائك" {مي٥:٩}.

📖 عند قراءتنا، أو عندما نتغنى بتلك الآيات، وما يشبهها مما جاء في الكتاب المقدس، فإننا {إن} لم نأخذها على أنها ضد الشر الروحي {الخطية} الذي ينتظرنا ليلا، نفشل في أن نستخرج منها ما هو لبنياننا، وما يجعلنا ودعاء وصبورين، بل بواسطة بعضها قد نصل إلى حالة مريعة، تخالف الكمال الإنجيلي تماما.

📖 ٢٢- هل للشيطان سلطان عليك؟

📖 ليس للأرواح الشريرة سلطان أن تضر أحدا، يظهر ذلك بوضوح في حالة الطوباوي أيوب، حيث لم يتجاسر العدو أن يجربه إلا حسبما سمح الله به.

📖 وقد اعترفت الأرواح نفسها بذلك، كما جاء في الإنجيل إذ قالت: "إن كنت تخرجنا فأذن لنا أن نذهب إلى قطيع الخنازير" {مت٨:٣١}، فإن كان ليس لديهم السلطان أن يدخلوا الحيوانات النجسة العجم إلا بسماح من الله، فكم بالأحرى يعجزون عن الدخول في الإنسان المخلوق على صورة الله؟!

📖 لو كان لهؤلاء الأعداء {الشياطين} سلطان علينا، والإضرار بنا، وتجربتنا كما يشاءون، لما كان يستطيع أحد أن يعيش في الصحراء بمفرده. ويظهر ذلك بأكثر وضوح من كلمات ربنا ومخلصنا الذي احتل آخر صفوف البشر. إذ قال لبيلاطس: "لم يكن لك على سلطان البتة، لو لم تكن قد أعطيت من فوق" {يو١٩:١١}.

🕮 ٢٤- كيف تملك الشياطين على أجساد البعض؟

🕮 واضح أن الأرواح النجسة لا تقدر أن تجد لها طريقا في أجساد من اغتصبتهم بأي وسيلة، ما لم تملك أولا على عقولهم وأفكارهم، فتسلب منهم مخافة الله، وتذكره، والتأمل فيه.

🕮 وبهذا تتجاسر فتتقدم إليهم كمن هو بلا حصانة إلهية، وتقيدهم بسهولة، وتجد لها موضعا فيهم، كما لو كان لها حق الملكية عليهم.

🕮 ٢٥- لماذا يسمح الله بخضوع أجسادنا لهم؟

🕮 من يسقط بالجسد تحت سلطانهم، يصيرون في خطر عظيم، واضطراب شديد.

🕮 أما الذين تسقط أرواحهم تحت سيرتهم، فيسقطون في الخطايا والشهوات، هؤلاء حالهم أردأ. لأنه كما يقول الرسول أن من يُغلب من أحد يصير عبدا له.

🕮 نحن نعلم أنه حتى القديسين يسمح الله أن تسقط أجسادهم تحت سلطان الشيطان، وتحل بهم نكبات كثيرة، ذلك من أجل الهفوات {لتأديبهم}، لأن الرحمة الإلهية لا تطيق أن يكون فيهم وسخ، أو دنس إلى يوم الدينونة.

🕮 فينقيهم من كل شائبة، مقدما إياهم إلى الأبدية مثل الذهب، أو الفضة المصفاة، غير محتاجين بعد إلى تنقية، فيقول الله: "وأنقي زغلك ... وأنزع كل قصديرك ... بعد ذلك تدعين مدينة العدل، القرية {المدينة} الأمينة" {إش١:٢٥,٢٦}.

🕮 وأيضا: "كما تمتحن الفضة في البوطة، والذهب في الكور، هكذا يمتحن الرب القلوب" {أم١٧:٣}. وأيضا: "لأن الذي يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله" {عب١٢:٦}.

🕮 ٢٦- أمثلة:

📖 أ. نرى هذا بوضوح في حال النبي رجل الله المذكور في الكتاب الثالث من الملوك، الذي افترسه أسد من أجل أنه أخطأ مرة، بعدم الطاعة عن غير قصد، بل بإغواء غيره {١مل١٣:١٨}.

📖 فيقول الكتاب المقدس: "هو رجل الله الذي خالف قول الرب، فدفعه الرب للأسد فافترسه وقتله، حسب كلام الرب الذي كلمه به" {١مل١٣:٢٦}.

📖 في هذا المثال نجد العقاب من أجل عدم الطاعة مع الإهمال.

📖 كذلك المكافأة من أجل بره أيضاً.

📖 لأن الرب سلم بنيه في هذا العالم للمهلك، وفي نفس الوقت كان الحيوان المفترس بالنسبة لفريسته مترفقا وعفيفا، إذ لم يجرؤ أن يتذوق شيئا من الغنيمة التي أعطي له سلطانا عليها.

📖 ب. نجد نفس الأمر ببرهان واضح جدا وجلي، في حالة الأبوين بولس وموسى اللذين عاشا في بقعة من البرية تدعى Calamus.

📖 لأن الأول {بولس} قد سبق فقطن في البرية، التي صارت قاسية عوض مدينة Panephysis، هذه التي صارت برية قاحلة عن قريب كما تعلم، إذ هبت ريح شمالية من المستنقعات فأغرقت الحقول، وكل الإقليم بماء مالح، حتى صارت القرى كجزائر، وهجرها سكانها. في هذه المنطقة تقدم الأب بولس في نقاوة القلب، وسط هدوء البرية وسكونها، حتى إنني أقول إنه ما كان يسمح لنفسه أن يرى وجه امرأة. بل ولا ملابس هذا الجنس.

📖 فعندما كان ذاهبا إلى قلاية أحد الشيوخ مع الأب أرشيبوس، الذي كان يقطن معه في نفس البرية، حدث أن قابلتهما امرأة، وفي الحال نفر من مقابلتها حتى أنه ترك عمله من جهة زيارته لصديقه الذي بدأ فيها، وهرب راجعا إلى قلايته بسرعة كمن يهرب من وجه أسد، وحيوان مفترس.

📖 ولم يبال بصرخات الأب أرشيبوس وتوسلاته، الذي كان يرجوه أن يعود ليكملا رحلتهما إلى الرجل العجوز، ومع أن هذا حدث بسبب شغفه نحو حياة الطهارة، ورغبته في النقاوة.

📖 لكن هذا تم بغير معرفة، لأنه تعدى إتباع الترتيب والنظام بدقة مناسبة {بغير اعتدال}، إذ تصور أنه ليس مخالطة النساء {التي هي بحق ضارة للرهبان}، بل حتى مجرد شكل هذا الجنس يلزم مقته.

📖 من أجل هذا نال هذا العقاب، وهو أن جسده كله ضرب بالفالج، ولم يعد أي عضو من أعضاء جسده قادر على القيام بمهمته. ليس فقط يداه وقدماه، بل ولسانه الذي به يتكلم. وفقدت أذناه السمع.، ولم يصر فيه من الإنسان سوى الشكل بغير حراك، ولا أحاسيس.

📖 انحدر إلى هذا الحال حتى عجز الرجال عن خدمته، رغم العناية الفائقة التي بذلوها معه، وصار محتاجا إلى خدمة النساء الممتلئة ترفقا {في التمريض}. فأرسل إلى دير عذارى قديسات، ولم يكن قادرا حتى على الأكل والشرب، فكانت النسوة يخدمن إياه حوالي أربع سنوات إلى نهاية حياته.

📖 وبالرغم مما كان يعانيه ... إلا أنه كانت له نعمة من الصلاح، حتى كان المرضى يأخذون زيتا مما يدهن به جسده، بل تدهن به جثته {التي تكاد أن تكون ميته}، وبه كانوا يبرئون للحال من كل آلامهم.

📖 وبهذا ظهر بوضوح حتى لغير المؤمنين، أن ضعف أعضائه حدث بسماح من عناية الله ومحبته، وأن نعمة الأشفية قد وهبت بالروح القدس شهادة لنقاوته، وإعلانا عن استحقاقاته.

📖 ٢٧- المثال الثاني {الأب موسى}

📖 أما الشخص الذي أشرنا إليه، أنه ساكن في هذه الصحراء.

📖 فمع أنه رجل معروف وعجيب، إلا أنه عوقب عن كلمة واحدة نطق بها بحدة، إلى حد ما في جدال مع الأب مكاريوس.

📖 فقد أسلم إلى شيطان مهلك، للحال ملأ فمه بدنس {قروح}. وذلك لكيلا يبقى فيه أي غضن من خطئه، الذي حدث في لحظة، وما أن أمره الأب مكاريوس أن يصلي. للحال فارقه الروح الشرير ورحل عنه.

📖 ٢٨- لا تحتقر من أسلم لروح الشرير

📖 من هذه الأمثلة الواضحة، يلزمنا إلا نكره، ولا نزدري بالذين نراهم قد أسلموا لتجارب متنوعة، أو لأرواح شريرة.

📖 لأنه يلزمنا أن نتمسك بهاتين النقطتين: أولا: أنه ما كان لأحد أن يجرب بالأرواح الشريرة بغير سماح إلهي.

📖 ثانيا: أن كل ما يحل بنا هو بواسطة الله، سواء ما يظهر في الوقت الحالي محزنا، أو مفرحا.

📖 فإنه لأجل نفعنا، كما من أب فائق الحنان، وطبيب عظيم الترفق.

📖 ولهذا فإن البشر كما لو كانوا تحت عناية معلمين يُذلون هنا، حتى إذا ما رحلوا من هذا العالم يصيرون في الحياة الأخرى في حال أعظم نقاوة. إنهم ينالون هنا عقابا خفيفا، حتى كما يقول الرسول يسلمون في الوقت الحاضر "للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع" {١كو٥:٥}.

📖 ٢٩- اعتراض

📖 كيف يكون هذا ونحن نرى أنه يلزم لا أن نحتقرهم، بل ويتجنبهم كل إنسان، ويطردوا من اجتماع الرب.

📖 إذ يقول الإنجيل: "لا تعطوا القدس للكلاب. ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير" {مت٧:٦}. بينما أنت تخبرنا أنه يلزمنا أن نتطلع إلى إذلال التجربة، أنه من أجل تنقيتهم ونفعهم؟!

📖 ٣٠- سيرينوس:

📖 متى كان لنا هذه المعرفة، أو بالأحرى ذلك الإيمان الذي سبق أن عالجته، بمعنى أن نعتقد بأن كل الأمور تحدث لنا بسماح من الله، وأنها مرتبة لأجل خير أرواحنا.

📖 فإننا ليس فقط لا نحتقرهم، بل ولا نكف عن الصلاة من أجلهم كأعضاء منا. وأن نحنو عليهم بكل قلوبنا، وكل جوارحنا "فإن كان عضو واحد يتألم، فجميع الأعضاء تتألم معه" {١كو١٢:٢٦}.

📖 إذ نحن نعلم أننا لا نقدر أن نكمل بدونهم، بكونهم أعضاء منا.

📖 وذلك كما نقرأ عن السابقين لنا، أنهم لا يقدرون أن ينالوا تمام المكافأة بدوننا، إذ يقول الرسول: "فهؤلاء كلهم مشهودا لهم بالإيمان لم ينالوا الموعد إذ سبق الله فنظر لنا شيئا أفضل لكيلا يكملوا بدوننا" {عب١١:٣٩,٤٠}. لم نسمع قط أن الشركة المقدسة {الإفخارستيا} قد منعت عن {المجرمين}.

📖 وما جاء في الإنجيل: "لا تعطوا القدس للكلاب" هذا الذي أوردته في غير معناه الحقيقي. يلزم إلا نظن بأنه يعني أن الشركة المقدسة تصير {بالنسبة للمجرمين} طعاما للشياطين، وليس تنقية، وحماية للجسد والروح، لأنه عندما يتناولها إنسان، يحرق الروح الشرير ويصارعه، هذا الذي وجد له مكانا في أعضائه، أو حاول أن يختفي فيه.

📖 ج. رأينا متأخرا أن الأب أندرونيكوس، وكثيرين قد شفوا بهذه الطريقة، لأن العدو يُفسد بالأكثر الإنسان الذي امتلكه، متى رآه قد امتنع عن الدواء السماوي، ويخدعه بالأكثر بطريقة خفية، إذ يراه قد ابتعد بالأكثر عن العلاج الروحي.

📖 ٣١- بؤس الذين لا يؤدبون هنا

📖 يلزمنا أن نأخذ في اعتبارنا أن الذين يدنسون أنفسهم بكل صنوف الخطايا والشر، ومع ذلك لا توجد علامات منظورة لملكية الشيطان عليهم {أي أن تجرب أجسادهم}.

📖 ولا تحل بهم أي تجربة تتناسب مع أفعالهم.

📖 ولا يتحملون أي عقاب.

📖 هؤلاء بؤساء وأشقياء، لأنه لا يوهب لهم علاج خفيف وسريع في هذا العالم، بل بسبب غلاظة قلوبهم، يستحقون عقابا أشد في تلك الحياة، إذ يذخرون لأنفسهم "غضبا في يوم الغضب، واستعلان دينونة اللـه العادلة" {رو٢:٥}. حيث "دودهم لا يموت ونارهم لا تطفأ" {إش٦٦:٢٤}. كأن النبي قد تحير إذ رأى القديسين يخضعون لخسائر متنوعة وتجارب، بينما رأى الأشرار ليس فقط يعبرون حياتهم في هذا العالم بغير أي تأديب مملوء ذلاً، بل يتمتعون بغنى عظيم، وتنعم وفير في كل شيء.

📖 فاشتعل النبي بغيظ غير مضبوط، وغيرة معلنا: "أما أنا فكادت تزل قدماي. لولا قليل لزلقت خطواتي. لأني غرت من المتكبرين إذ رأيت سلامة الأشرار. لأنه ليست في موتهم شدائد وسمهم سمين. ليسوا في تعب الناس، ومع البشر لا يصابون" {مز٧٣:٢-٥}.

📖 إذ أنه يعاقبون فيما بعد مع الشياطين، لأنه لم يوهب لهم في هذه الحياة أن يؤدبوا مع بني البشر في عداد الأبناء.

📖 ارميا أيضاً مع أنه لم يشك قط معترفا بعدالة اللـه إذ يقول: "أبر أنت يارب من أن أخاصمك" {إر١٢:١}.

📖 إلا أنه يتحدث عن تنعم الأشرار، كما لو كان ذلك بسبب عدم عدالة اللـه إذ يقول: "لكن أكلمك من جهة أحكامك. لماذا تنجح طريق الأشرار؟! اطمأن كل الغادرين غدرا. غرستهم فأصلوا، نموا وأثمروا ثمرا. أنت قريب في فمهم، وبعيد من كلاهم" {إر١٢:٢}.

عندما يحزن الرب بسبب هلاكهم، يوجه الأطباء والجراحين لأجل شفائهم، ويحثهم إلى حزن مشابه، ويقول على لسان النبي: "سقطت بابل بغتة وتحطمت. ولولوا عليها. خذوا بلسانا لجرحها لعلها تشفى" {إر ٥١:٨}.

كذلك الملائكة الموكلون بالنيابة لخلاص البشر في يأسهم يجيبون. أو أن النبي في شخص الرسل والروحانيين والأطباء الذين يرون غلاظة روحهم، وقسوة قلبهم يقولون: "داوينا بابل فلم تشف. دعوها ولنذهب كل واحد إلى أرضه، لأن قضاءها وصل إلى السماء، وارتفع إلى السحاب" {إر ٥١:٩}.

ويتكلم إشعياء في شخص إله أورشليم، عن ضعفهم المملوء بؤسا فيقول: "من أسفل القدم إلى الرأس، ليس فيه صحة بل جرح وإحباط وضربة طرية لم تعصر ولم تعصب ولم تلين بالزيت" {إش١:٦}.

٣٢- شهوات قوات الهواء

لقد تبرهن بجلاء أنه يوجد في ارواح النجسة عدة شهوات مثل البشر. فالبعض تقوي الفسق واللهو.

وبعضها تعمل في قلوب من تأسرهم بالكبرياء الباطل.

وأرواح أخرى حاذقة في الكذب، بل وتوحي للبشر بالتجديف، ويظهر ذلك مما جاء علانية في {١مل٢٢:٢٢} "أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه".

وبسبب هذه الأرواح ينتهر الرسول من هم مخدوعين بها، إذ هم "تابعون أرواحا مضلة، وتعاليم شياطين في رياء أقوال كاذبة" {١تي٤:١,٢}.



📖 وهناك نوع آخر من الشياطين، يشهد عنهم الكتاب أنهم بكم وصم، وبعض الأرواح تقوي الشهوة والدنس. إذ يعلن هوشع النبي قائلا: "لأن روح الزنا قد أضلهم، فزنوا من تحت إلههم" {هو٤: ١٢}.

📖 وبنفس الطريق يعلمنا الكتاب أن هناك شياطين الليل والنهار والظهيرة {مز٩١: ٥،٦}، ولقد لقبت الشياطين بأسماء كثيرة في الكتاب المقدس. هذه الأسماء لم ترد اعتباطا، بل تشير إلى شراستها وجنونها، تحت أسماء هذه الحيوانات المفترسة المتباينة الضرر، والخطورة بالنسبة لنا {إذ لقبت أسود وأفاعي}.

📖 ٣٣- سؤال: هل يوجد بين الأرواح الشريرة درجات؟

📖 **جرمانيوس**: إننا بالتأكيد لا نشك في هذه الرتب التي عددها الرسول بخصوصهم قائلا: "فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم، على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات" {أف٦: ١٢}. لكننا نريد أن نعرف إن كان يوجد بينهم تفاوت، وهل توجد بينهم درجات مختلفة في الشر.

📖 ٣٤- سيرينوس:

📖 من أن أسئلتكم قد سرقتنا خلال الراحة الليلية كلها، حتى أننا لم ندرك اقتراب الفجر ... فإن الإجابة على هذا السؤال الذي أقترح إن بدأنا فيه فسيجرنا إلى بحر من الأسئلة متسع وعميق، والوقت الذي بين أيدينا مقصر، ولا يسمح لنا بذلك.

📖 لهذا فإنني أري أنه من اللائق أن نحتفظ به للتأمل في ليلة أخرى، لأنه بإثارة هذا السؤال، سأجد في استعدادكم للبحث بعض الفرح الروحي والثمر المتكاثر. ويمكننا إن أعطانا الروح القدس نسمة موفقة أن نتعمق بأكثر حرية في تعقيدات السؤال المعروض أمامنا.

🕮 لهذا فلنتمتع بقليل من النوم إذ يقترب الفجر. ثم ننزع عنا الكسل الذي يسلب عيوننا ونذهب سويا إلى الكنيسة من أجل حفظ يوم الأحد ونعود بعد الخدمة حسبما يهبنا اللـه لأجل تقدمنا العام.

ملخص المبادئ

🕮 وهب اللـه الإنسان سلطانا على الفكر.

🕮 له أن يقبل الخير ويتجاوب معه، وأن يقبل الشر، وعندئذ يخضع له، وينحني تحت سلطانه بغير إرادته، وبالتالي يحتاج إلى نعمة اللـه في انسحاق قلب، وتوبة.

🕮 مجاهدا حتى يتحرر من السلطان الذي خضع له بإرادته.

🕮 لا تيأس مهما بلغت خطاياك، واشتد ضعفك، لكن جاهد في رجاء، لأن ملكوت اللـه يغتصب. إن كان الشيطان عنيفا في حربه، فنحن أيضاً فينا الروح القدس القدير.

🕮 قد ننخدع فنظن أن للشيطان سلطانا علينا، لكن الحق أنه وإن اشتدت قوة إغراءاته، يعجز عن أن يلزمنا بالطاعة له. بل ولا يعرف أفكارنا، ما لم نعلنها نحن خلال تصرفاتنا، وملامح وجوهنا.

🕮 **يسوع المنتصر**: لا تتحد الشياطين مع أرواح البشر، بل اللـه وحده الذي له أن يوحدنا فيه.

كتاب القديس يوحنا كاسيان ـ حياته ـ كتاباته ـ أفكاره ـ صفحة ١٦٧ ـ ١٨٣



{١٧}

كتاب طريق النساك

الفصل الثالث ـ بستان القلب

🕮 إن الحياة الجديدة التي بدأت الدخول فيها، كثيراً ما شُبهت بحياة البستاني: فالتربة التي يحرثها البستاني هي معطاة له من الله.

📖 وكذلك أيضًا البذار، وحرارة الشمس، والمطر، وطاقة النمو، هي هبة من الله له، أما المسئولية المُوكلة إليه فهي أن يعمل.

📖 فإن كان المزارع يريد أن يحصل على حصاد وفير، فينبغي أن يعمل من بداية النهار إلى نهايته، كما يجب عليه أن يقتلع العشب، ويضع السماد، ويسقى ويرش، لأن الفلاحة محاطة بأخطار كثيرة تهدد محصول الثمار. فينبغي أن يعمل بلا انقطاع، ويكون في تيقظ دائم، وحذر مستمر، واستعداد دائم.

📖 ولكن بالرغم من هذا فإن محصول الثمار في النهاية، يعتمد كلية على العناصر الطبيعية، أي يعتمد على الله. والبستان الذي أخذنا على عاتقنا أن نعتني به ونحرسه، هو حقل قلبنا الخاص، ومحصول الثمار هو الحياة الأبدية.

📖 حياة أبدية، لأنها مستقلة تمامًا عن الزمان والمكان، والظروف الخارجية الأخرى: فهي حياة الحرية الحقيقية، وهي حياة الحب، والرحمة، والنور، التي ليس لها أي حدود بالمرة. ولهذا السبب بالذات فهي أبدية.

📖 إنها حياة روحانية في مملكة روحانية: أي هي حالة وجود.

📖 وهذه الحياة تبدأ هنا {على الأرض}، وليس لها نهاية، ولا تستطيع قوة على الأرض أن تفرضها جبرًا، والمكان الذي يمكن أن نجدها فيه هو القلب البشرى.

📖 يقول مار إسحق السرياني: "قاوم نفسك فيُقتلع عدوك، بنفس السرعة التي تقترب بها منه. تصالح مع نفسك، فتتصالح معك السماء والأرض. ابذل كل جهدك في أن تدخل إلى عمق أعماق مخدع قلبك الداخلي، وعندئذٍ سترى المخدع السماوي، لأنهما واحد ونفس الشيء، وبدخولك في أحدهما سترى كليهما.

🕮 إن السلم المؤدى إلى الملكوت موجود في داخلك، خفي داخل نفسك. فالقِ عنك ثقل الخطية، وأنت ستجد في داخلك الطريق إلى فوق، الذي يجعل صعودك ممكنًا".

🕮 إن المخدع السماوي الذي يتكلم عنه القديس هو اسم آخر للحياة الأبدية. ويسمّى أيضًا ملكوت السماوات، أو ملكوت الله، أو بكل بساطة هو المسيح.

🕮 أن تحيا في المسيح، هو أن تحيا في الحياة الأبدية.

كتاب طريق النساك ـ صفحة ١٤ ـ ١٥

الفصل الخامس

إنكار الذات وتطهير القلب

🕮 ها أنت، عاريًا، صغيرًا، وعاجزًا، وها أنت تأتى إلى أصعب المهام الإنسانية على الإطلاق وهي: أن تقهر رغباتك الأنانية الخاصة.

🕮 وفي النهاية فإن هذا "الاضطهاد للذات" هو الذي تعتمد عليه حربك. فطالما تتحكم إرادتك الذاتية وتسود، فلن تستطيع أن تصلى إلى الرب بقلب نقى قائلاً: " لتكن مشيئتك".

🕮 فإن لم تستطع أن تتخلص من عظمتك الذاتية، فإنك لن تستطيع أن تفتح ذاتك للعظمة الحقيقية. فإن كنت تتمسك بحريتك الخاصة، فلن تستطيع أن تنال نصيبًا في الحرية الحقيقية، حيث تسود إرادة واحدة فقط، وهذا هو سر القديسين العميق: "لا تسعى إلى حريتك، والحرية سوف تُعطى لك". الأرض تنبت شوكًا وحسكًا، كما هو مكتوب.

🕮 والإنسان بعرق جبينه، وبالتعب سوف يفلّحها.

🕮 والأرض هي الإنسان نفسه، لأنه مأخوذ منها، فهي تشكل جوهره.

🕮 والآباء القديسون يشيرون علينا أن نبدأ بأشياء صغيرة.



📖 كما يقول مار إفرام السرياني، كيف يمكن أن تطفئ نارًا عظيمة، قبل أن تتعلم كيف تخمد نارًا صغيرة؟ فإذا كنت تريد أن تتحرر من شهوة كبيرة، فيلزم أن تسحق الشهوات الصغيرة.

📖 كما يقول الآباء القديسون. فلا تظن أنه يمكن فصل إحدى الشهوات عن الشهوات الأخرى: فجميعها مرتبطة معًا مثل سلسلة طويلة، أو مثل شبكة. لذلك فلا يجدي أن تحاول الإمساك بالرذائل الكبيرة، والعادات الرديئة المتسلطة، التي اكتسبتها، بدون أن تنتصر ـ في نفس الوقت ـ على ضعفاتك الصغيرة "البريئة".

📖 مثل: الشغف بالحلوى، والرغبة الملحة في التكلم، وحبّك للاستطلاع، وفضولك، لأن كل رغباتنا كبيرة أم صغيرة، هي في النهاية مبنية على نفس الأساس الواحد، وأعني به: عادتنا غير المكبوحة في إشباع مشيئتنا الذاتية وحدها.

📖 إن ما يجب تحطيمه هو الهوى الذاتي الذي فينا.

📖 فمنذ السقوط والإرادة تصول وتجول لأجل ذاتها الخاصة بصورة قاطعة. ولهذا السبب فإن حربنا هي موجّهة ضد الهوى الذاتي بصورة محددة. وينبغي القيام بهذه الحرب بدون أي تأخير، أو كلل.

📖 فمثلاً إن تحركت في داخلك رغبة أن تسأل عن شيء، فلا تسأل!

📖 وإن تحرك في داخلك دافع أن تشرب قدحين من القهوة، فاكتفى بواحد فقط!

📖 وإن وجدت دافعًا يحثك على النظر إلى الساعة، فلا تنظر.

📖 وإذا رغبت أن تدخن سيجارة، فامتنع!

📖 وإن أردت أن تذهب إلى زيارة، فامكث في البيت!

📖 هذا هو اضطهاد الذات، وبهذه الطريقة فإن الإنسان يستطيع، بمعونة الله، أن يُسكت صوت إرادته الذاتية العالي.

📖 وربما تتساءل مندهشًا، هل هذا ضروري حقًّا؟

📖 يجيب الآباء القديسون بسؤال آخر: هل تظن أنك تستطيع أن تملأ إناء بمياه نقية قبل أن تفرغ الماء القديم القذر من الإناء؟ أو هل ترغب في أن تستقبل ضيفًا محبوبًا في غرفة مكتظة بالنفايات القديمة، والخرق البالية؟ لا، " فإن من يترجى رؤية الرب كما هو، فإنه يطهر نفسه" كما يقول الرسول يوحنا {١يو٣:٣}.

📖 لذلك فلنطهر قلوبنا! فلنلقِ خارجًا كل النفايات البالية المخزونة هناك، ولننظف الأرض الملوثة، ونغسل النوافذ ونفتحها، حتى يدخل النور والهواء إلى الغرفة التي نقوم بإعدادها كهيكل للرب، ثم فلنرتدي الثياب النظيفة، حتى لا تعلق بنا الرائحة القديمة العفنة فنجد أنفسنا "مطروحين خارجًا" {لو١٣:٢٨}.

📖 فليكن هذا هو عملنا، ومهمتنا كل يوم وكل ساعة.

📖 وبهذه الطريقة فإننا لا نكون إلا صانعين ما أوصى به الرب نفسه، بواسطة القديس يعقوب الذي يقول: "طهروا قلوبكم" {يع٤:٨}.

📖 والرسول بولس يعلّمنا أن "نطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح" {٢كو٧:١}. لأن المسيح مخلصنا يقول: "لأنه من الداخل ـ من قلوب الناس ـ تخرج الأفكار الشريرة، زنى، فسق، قتل، سرقة، طمع، مكر، عهارة، عين شريرة، تجديف، كبرياء، جهل، جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الإنسان" {مر٧:٢١ـ٢٣}.

📖 لذلك فهو يحث الفريسيين قائلاً: "أيها الفريسي الأعمى نقِّ أولاً داخل الكأس والصحفة، لكي يكون خارجهما أيضًا نقيًا" {مت٢٣:٢٦}.

📖 وإذ نحن الآن نتبع هذه التعليمات بأن نبدأ من الداخل، فيجب أن نضع في نفوسنا أننا لا نطهر قلوبنا من أجل ذواتنا نحن.

📖 إنه ليس لأجل تمتعنا الشخصي نقوم بتنسيق وتزيين غرفة الضيافة، بل نفعل ذلك لكي نجعل الضيف مسرورًا، إذ يتمتع بجمال الغرفة.

📖 فهل سيجدها مبهجة؟ هكذا نسأل أنفسنا؟

📖 وهل سيقيم فيها؟ إذن فكل فكرنا هو من أجل الضيف.

📖 يوجد ثلاثة أنواع من الناس ـ على حد قول نيسيتاس ستيثاتوس:

📖 الإنسان الجسداني، الذي يريد أن يعيش فقط من أجل لذاته الخاصة، حتى لو أضر بالآخرين. والإنسان الطبيعي، أو العادي، الذي يريد أن يمتع نفسه والآخرين معه. ثم الإنسان الروحي، الذي يريد أن يرضى الله وحده، حتى ولو أضر بنفسه.

📖 فالإنسان الأول هو في مستوى أحط من الطبيعة البشرية.

📖 والإنسان الثاني هو المستوى العادي.

📖 الإنسان الثالث فهو فوق الطبيعة العادية، وهو مستوى الحياة في المسيح. الإنسان الروحي يفكر روحيًا، ورجاؤه أحيانًا هو أن يسمع "الملائكة يفرحون بخاطئ واحد يتوب" {لو١٥:١٠}، وهذا الخاطئ هو ذلك الإنسان نفسه.

📖 هذا ما ينبغي أن تشعر به، وينبغي أن تعمل بهذا الرجاء لأن الرب قد أوصانا قائلاً: "كونوا كاملين كما أن أباكم الذي في السماوات هو كامل" {مت٥:٤٨}،

📖 وأيضًا: " اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره" {مت ٦:٣٣}.

📖 لذلك فلا تعطِ لصدغك راحة، ولا لأجفانك نُعاسًا، إلى أن تذبح ذلك الجزء الموجود فيك، الذي ينتمي إلى طبيعتك الجسدية.

📖 وضع أمامك هذا الغرض، أن تتعقب كل إشارة إلى ما هو حيواني في داخلك، وتضطهده بلا شفقة "لأن الجسد يشتهي ضد الروح، والروح يشتهي ضد الجسد".

📖 ولكن إن كنت تخاف من أن تصير بارًا في عيني نفسك بسبب سعيك، وعملك لأجل خلاصك الشخصي.

📖 أو تخاف من أن تنغلب من الكبرياء الروحي.

🕮 فامتحن نفسك جيدًا، ولاحظ أن الشخص الذي يخاف "أن يصير" بارًا في عيني نفسه، إنما يعاني من حالة عمى روحي، لأنه لا يرى إلى أي مدى هو مُصاب بالبر الذاتي.

كتاب طريق النساك ـ صفحة ١٨ ـ ٢١



{١٨}

القديس يوحنا السيوطي

طوبى للنقية قلوبهم فإنهم يعاينون اللـه

🕮 من أجل أن نقاوة القلب هي أرفع من الكل، وأفضل من جميع التطويبات، فلهذا رفع ووضع رجاؤنا بنقاوة القلب، لكي ننظر ذاك الغير منظور، ونستحق أن ننظر حسنه.

🕮 هذه هي الطوبى التي أعطيت للنقية قلوبهم، لكي بنقاوة ضميرهم يعرف ذاك الذي هو مكتوم عن الكل. ليس أحد يستحق هذه الطوبى إلا الذين نقيت معرفتهم بطهارة أنفسهم. هوذا نعاين أن النور الساطع لا تقدر العين الضعيفة أن تلاقى منظره، وإذا كان نور العين مكدر لا يقدر أن ينظر الشمس بغير إيذائه، العين النقية التي نورها صحيح، تقدر أن تلاقى شيئا هو أعلى وأشرف بارتفاعه.

🕮 من هذا الدليل نتحقق على ضمائر قلوب الناس، أنه ليس كل أحد يستحق، أو فيه كفاية، أن يعاين منظر سيد الكل، بل الذين قد صحت معرفتهم بنقاوة ضميرهم. كل واحد فواحد من التطويبات التي وضعت من سيدنا يقتنى غناها، كمثل الفعل أعطى الطوبى.

🕮 ومن أجل أن نقاوة القلب هي أرفع من جميع التدابير، ومتزينة بالكمال، فوعد لها طوبى أرفع من جميع التطويبات.

🕮 أي ارتفاع يكون أعظم من هذا أن يؤهل الإنسان لينظر سيد الكل.

تغيير التطويبات أعطى عزاء وثقة لكل أحد، حتى إذا لم يقدر الإنسان على عمل جميع الأعمال الحسنة، لا يكون خائب من الجميع. والسيد خالق الكل زاد على الفضائل الموضوعة فينا هذه الموهبة "تغيير التطويبات" مع تغيرها من واحد لآخر.

لأن ثمة من هم هادئين وساكنين بطبيعة خلقتهم.

وآخرين هادئين بشوشين.

وآخرين غير متكدرين بالآلام المرذولة.

فلهذا لكل واحد فواحد بالفضيلة التي في طبيعته عزاه بالطوبى التي وضعها الله فيه، فإذا كان يربيها الإنسان تنشئ الحسنات.

فقد نظرت حكمة مخلصنا ضعف طبيعة جميع الناس، وأنه عسر على الإنسان أن يوجد عنده كمال جميع الفضائل، ولا يسهل عليه فعلها، حتى ولو أراد ذلك.

فلكيلا يخيب الفرد من جميع تدبير المتعالي، فأعطى طوبى لكل واحد فواحد من الأفعال الصالحة لتعزية الكل.

فثمة من هم مسالمين، وقادرين على السلامة، وليس هم متجردين.

وثمة من هم متواضعين، وليس فيهم غيرة لقيام البر.

وثمة من هم عطاش جياع للبر، بحدة غيرتهم، ولكنهم غير أنقياء القلب. ولكيلا يقطع الناس رجاء أنفسهم إذ لم يمكنهم أن يتدبروا بسيرة نقاوة القلب فلا يخلصوا.

فلهذا فإن للأفعال الحسنة التي وضعت على كل واحد فواحد منهم طوبى. لأن الذي لا يقدر بالتجرد، يخلص بالتواضع.

والذي لا يؤهل لطوبى نقاوة القلب، يؤهل لطوبى صانعي السلام.

والذي لا يستحق لطوبى الباكين، يشترك في طوبى الرحومين، لكيلا يتجرد الإنسان من واحدة بعد واحدة من هذه التطويبات.



📖 فقد وعد الذين من أجل محبته رفضوا العالم بمسكنتهم، بأخذ ربح العالم الجديد عوض الربح الدنيوي. والذين يقضون حياتهم بالحزن والنوح من أجل خطاياهم، شجعهم برجاء العزاء.

📖 والذين صنعوا الرحمة على بعضهم البعض، أفاض عليهم رجاء مراحمه، كي يجدوا رحمة قدامه.

📖 والذين من أجل تواضعهم صاروا مظلومين في الأرض، وسكنوا لأجل هدوئهم، أوعدهم بميعاد أرض الحياة.

📖 ويعنى بالأرض الارتفاع، فقد سمى أرض الذين هم مزمعين أن يكونوا هناك، كمثال كنى أورشليم السمائية باسم مدينة، وسميت ملكوت السماوات باسم مملكة الأرض.

📖 وهكذا أيضاً سمى علو السماء أرضنا، لأن هناك يكون مسكن الصديقين في الآخرة، لأن مسكن الصديقين هي أرض الحياة، الموضع الذي لا يوجد فيه شيء من الفساد، ولا شيء من التعب والشقاء، بل هو بلد المجد الذي يظهر شبهه في العالم.

📖 وإن لم تقام بالفعل إرادة الجياع والعطاش للانتقام للمظلومين، وإدانة الأثمة المغلوبين، وإقامة أمور العدل، لأن ليس لهم رتبة سلطنة أن يقيموا هذه الأمور، أوعدهم بالطوبى، بأنهم يشبعون في رجاء كنوزه، ويسرون بفرح تنعمه عوض ضنك ضميرهم، وعذاب فكرهم، لأن استعداد ضميرهم مقبول كالعمل قدام سيد الكل.

📖 والذين كانوا مجتهدين على إصلاح الغضوبين، وعلى اتفاق المنقسمين، وعلى سلامة الغير مسالمين، أوعدهم بطوبي الأولاد، وباسمه كناهم "عرفهم".

📖 كمثلما سالم هو ما في السماء مع من في الأرض، وصالح العلويين مع السفليين، لأنهم أخذوا مثاله وشبهه، فصالحوا الغضوبين ليكونوا هم أيضاً أبناء الله، وأبناء ميراث سيدنا يسوع المسيح.

📖 وبهذا الفهم ننتظر على رجاء مواعيد مخلصنا، أنه يريد أن يجلب كل واحد إلى الحياة. ولتدبير مخافة الله الفاضل، رغب بتطوبياته لجميع البشر أن يتركوا عوائد الشرور، ويتقدموا للأعمال التي لها أمل برجاء صالح، لكي يستحقوا بها رجاء الحياة الموضع الذي فيه السرور والفرح والثقة والعزاء، وراحة ليس لها ضيقة ونياح غير زائل، وزينة غير مضمحلة، وسبح غير متغير، ونظر بغير شبع منه، بحياة غير مائته.

📖 وإذ ننظر الآن كل واحد فواحد منا، بمعرفة نفسه، ونظر عقله، وبعين ضميره الواسعة، لماذا تكدر الأفكار بوسخ نقاوة قلوبنا؟

📖 لأنه لا توجد نقاوة في خفية عقلنا، بل في كل حين تنتبه فينا الآلام، ويسجسوا صفاوة قلبنا، حتى تبقى جميع النفس متكدرة مضطربة، ويضبط هناك موضع الشر بتعليمه، وتتيقظ الغضبة بآلامها، وتتدرج منها إلى حركات البغضة، حتى ينحجب الضمير بسحابات الشر، وينحجز إشراق النور في الداخل ظلمة الأفكار، فيكون كمثل الأعمى، ويحسس هنا وهناك بطياشة، ويسقط في كل عثرة، ويمشي كالأعمى في الظلمة.

📖 فلنعتني بكيف ننعتق من عبودية هذه الآلام المرة التي فينا؟

📖 ولماذا يتقووا فينا بعض الأوقات، وينقصوا أوقات أخرى؟

📖 وكيف يظلم الضمير في وقت قوة عصمتهم، ويقوم في وجهه حاجز الطغيان، وينفرش عليه كالرداء، وما يتركه يفرش نوره عليه، بل يخفيه ويستره تحت الحجاب، ويسكنه في وسط عمق الظلمة، ولا تمتد عروقه لشعاعات الأفكار النقية من الوجه العالي، ولا تصل أصوله لسيد الكل، ويبقى بغير ثمرة.

📖 لنتحكم الآن بهؤلاء، ونعرف ونتفهم آلام نفسنا، لأنه بأي حياة يظن أنه يكون الذي لا يعرف آلامه. فلا نعيش بحياة لا إفراز فيها.

📖 وأي منفعة تكون لنا إذا عرفنا أمور كثيرة، ولم نعرف آلام نفوسنا، لأن الذي لا يحس بآلام نفسه، لا يعرف كيف ينعتق منهم.

📖 لو كان كل واحد منا يعتنى بهذا التعليم ليطلب ويتحكم في آلام النفس، وكيف نستطيع أن نكون غير مغلوبين منهم لندنو لنقاوة الضمير. لأن الذي يجاهد مع آلامه يعرف أن يخبركم ما هي قوتهم؟

📖 وكيف وبماذا نستطيع أن ننتصر عليهم بالغلبة؟

📖 كيف نعمل وليس لنا سمع بالعناية بهذا الأمر؟

📖 أكثر الناس ليس فيهم اهتمام بتعليم حياتهم، ولا يعتنوا بتعلم أسباب آلام الضمير، ومع أنهم يقبلوا سماع أخبار الطبائع بفرح.

📖 فلنتبصر الآن بضميرنا وننظر أي أشياء موضوعة فيه، وماذا يعوقنا عن أن نقتنى الذكاوة التي تقدمنا لنظرة اللـه؟

📖 ونمد يد روحنا، ونسحب من ضميرنا الأصل الرديء الذي وضعناه هناك بإرادتنا، لئلا تتواتر أغصانه، وتكثر أثماره.

📖 وإن كان أصل المجد الفارغ موضوع، فهناك يولد أثمار الافتخار، وأنواع الحسد مع آلام العظمة.

📖 وهذا الضمير نأخذ عليه "نحاسبه" وبذلك نعرف كم هي خسارته؟

📖 وعندما نعرف مقدار أذيته، نجاهد ونحاول أن نتخلص منه.

📖 لنذكر الآن أنه لم يوضع في هذا العالم مجد ثابت من الخالق، ولا محبة حياته "محبة العالم" تقدمنا لحياة الأبد.

📖 ولا تعليم حكمته تجلب للسائرين بتعلمه معرفة العالم الجديد.

📖 بهذه الأمور نميز ونحتقر بأعيننا المجد الفارغ الذي لهذا العالم، حتى أنه عند إفتكارنا بحقارته، يستريح ضميرنا من ضنك الآلام التي من هذا النوع. وأصل محبة المجد الفارغ ترفع من الضمير، وتنقلع معه جميع أنواعه، ويبتدئ قلبنا بالهدوء والسكون، ويهتدى

باتضاعه. ومن بعد هذا يبتدئ أن يتنقى قليلا قليلا حتى يبقى جميعه صافي بلا عيب. لكنه ليس كيفما اتفق تقتنى نقاوة القلب.

📖 فإن لم يرتفع الإنسان من هذه الأرضيات يتوسخ الضمير، وتكثر عليه السماجة، وتستولى عليه بالتمام، وتنزل به كالصدأ بالحديد.

📖 لأننا ننظر الحديد عند التصاقه بالأرض يكثر عليه الصدأ، ومع أن طبعه الصدأ، ولكن عندما يرفع عن الأرض ينقص الصدأ، وعلى قدر ما يوضع على الأرض يكثر عليه.

📖 نأخذ هذا المثل على ضميرنا لأنه أيضاً بالطبع يخرج الأفكار المرذولة، فإن كان يرتفع عن الأرضيات، ويشخص نحو سيد الكل، تقل عنه أفكار السوء، بل ويتقدم إلى النقاوة.

📖 وإن التصق هو بالأرضيات "الضمير" فإن صدأ الشرور يكثر عليه ويستولى عليه بالتمام، حتى أنه يتعب كثيراً وبعناء يستطيع الإنسان أن يطهره من طول المدة، وربما لا يستطيع أن يطهره فيتهاون ويغفل عن العمل، والعناء بتطهيره. وأنا أقول إنه إذا كان يمكن أن يتنقى الحديد من الصدأ هكذا أيضاً ربما يستطاع أن ينقى الضمير من الشرور.

📖 فإن كنت تنجذب للحركات المرذولة، ويتسخ عقلك بأفكار السوء السمجة، يسهل عليك إلا تكلمهم بالفعل، إذا كان لك اعتناء بخلاصك.

📖 لأنه يسهل على الإنسان أن يقمع عقله من هذه الأفكار، إذا كان يشعر أن الله ناظر لحركاته وتقلباته. فإن كان شغب النظر يهدأ بمجيء إنسان نقى، كم بالحري يهدأ ضميرنا من الأفكار المضطربة إن كنا نذكر الله في كل وقت بضميرنا.

📖 بالإهمال والتواني تتواتر الأفكار في الضمير، فإذا لم يكن الإنسان كفؤا لنقاوة الضمير، فليس عسير عليه بالأقل أن ينقص هو من

أفكاره السوء، حتى ولو كان العقل ينشغل بهم، لأن بحرص الأعمال يقدر الإنسان أن ينقى فكره.

📖 وكما أن الحديد هو أسود بطبعه، ويتسخ بالصدأ كمثل ما قلنا، فبحكمة الصانع يتنقى ويصقل، حتى يصير مشرقا إشراق النجم.

📖 هكذا أيضاً الضمير إذا اتسخ بالأفكار، فبحرص الإنسان بالاهتمام بالله يتنقى، ويصفى بحسنه.

📖 حتى أن ذلك الحسن الذي لا يشبع منه "الله" يتصور فيه، عندما تستضئ عين معرفته بنظر حسنه. وكما أنه بالإهمال يسلط الصدأ على الحديد فيسمج حسنه، هكذا أيضاً إذا لم يكون للإنسان عناية بضميره يسمج بالأفكار التي تتسلط عليه.

📖 وكما أنه لا يمكن أن يتسلط الصدأ بالحديد ما دام العناية متوفرة به، مع أن الصدأ من طبيعته، كذلك لا يستطاع أن يملك الشر في الضمير إن كنا نعتني به، ونسعى لنقاوته. إن كانت نفسنا متيقظة، فلا يكون غريب عليها أن تقتنى الذكاوة، لأنه ليس الكدر من طبعنا، حتى أنه يصعب تنقيته كما فكر بعض الناس.

📖 لأنه لو لم يخلقنا الله هادئين بطبعنا، ما كان يعلمنا أن نهدأ ونتنقى.

📖 وما كان يأمرنا أن نقتنى قلبا نقيا، لأن الشيء الذي لم يضعه فينا لا يطلبه منا، والشيء الذي لم يعطنا إياه لا يقول لنا أن نعطيه له. أما الشيء الذي هو من طبيعتنا لا يمكن أن ينقطع منا.

📖 فإن كنا لا نستطيع أن نقتنى النقاوة، كيف يأمرنا سيدنا أن نقتنيها، حاشا أن السيد الصالح الطيب يغصبنا على الشيء الذي لا تستطيع قوتنا أن تفعله. لأنه لو كانت الرذيلة هي من أصل طبعنا لما كان الإنسان يميل في وقت إلى الصلاح، وفى وقت آخر إلى الشر، وفى

وقت يتبع الحق، وفى آخر يميل للكذب والزور، وفى وقت يهتدى، وفى آخر يضطرب.

📖 واضح إذن أن طبيعتنا نقية، أما الكدر فهو من إرادتنا، فالإنسان بخلقته طاهر، وهو يزعج نفسه بإرادته. طبيعتنا لا تتغير، أو هل تصير الأذن عينا، ويتحول النظر إلى سمع؟

📖 أو الرجل تصبح يدا؟ حاشا. فطقس الطبع محفوظ بغير تغيير.

📖 هكذا أيضاً لا يتغير طبع الضمير، فهو يأتي من الكدر إلى النقاوة، ومن الاضطراب إلى الصفاء، لأن الطبع هكذا يثبت بغير تغيير.

📖 فكمثلما خلق في اليوم الأول، هكذا يبقى بغير تغيير، ولا تحريك، لأنه لا يمكن للإنسان أن يتحول من الشر إلى الصلاح، أو يترك الاضطراب ليدخل في الذكاوة، لو لم يكن الصلاح والذكاوة فيه طبعا وأصلا. فلو كان يستحيل هذا التغيير، وهذه النصرة، ما كان يؤمر بالجهاد من أجله. ولو كانت نقاوة القلب غير مستطاعه لما أوصى سيدنا بها، وما وضع عليها تطوبيا.

📖 وإذا كانت النصرة مستحيلة ما كان أعد لها إكليلا.

📖 وإذا لم تكن هناك نقاوة ضمير، ما كان وعد بالطوبى لمن يحصل عليها. ولو كان صفاء النفس مرتفع عن إدراك الناس، لما قال النبي: "طوبى للذين بلا عيب في الطريق".

📖 ولا قال سيدنا: "طوبى للنقية قلوبهم". فهو يعظنا بكلام النعمة، ويرغبنا بالطوبى لكي نصل إلى نقاوة طبيعتنا الأولى. فإنه أعطى الطوبى لنقاوة القلب، ليعلمنا أنه يمكن أن تكون النقاوة في النفس.

📖 كما أنه أعطى الملامة على اضطراب القلب وتكدره، ليفهمنا أن الله عادل وبالعدالة يحكم، لأن التكدر ليس من طبيعتنا، لأنه لو كان الكدر من طبيعتنا ما كان يلومنا عليه.

🕮 إنما عنيت بهذا الكلام كله لكي أفهمكم أنه ليس عسير علينا، أو يوجد مانع يمنعنا من الوصول إلى منزلة نقاوة القلب.

🕮 فقد قال طوبى للنقية قلوبهم لأنهم يعاينون الله، وبهذا يجذبنا إلى ذاك المجد الذي ليس له قياس، ولا في رتبة الملائكة، إذ أن كل شرف الروحانيين وارتفاعهم كائن في أهليتهم لنظر الله.

🕮 وهذا المجد لم يظهر في هذا العالم، ولن يظهر، بل هو محفوظ لزمان العالم الجديد لمن يستحقونه. لأننا لا نستطيع من وراء هذا الحجاب الجسداني طالما نحن في هذا العالم أن نعاين ذاك المجد.

🕮 أما إذا ابتلع هذا الجسد المائت بواسطة الروح، ولبس الفاسد الذي لا يفسد، وتحول المائت إلى الذي لا يموت، فحينئذ من وراء ذلك الجسد الروحاني الغير الفاسد، والغير المائت، نؤهل أن نشترك في ذلك الحسن، وفى ذلك المنظر الذي تسكر النفس بذكره.

🕮 أما سعادة الطوبى بمنظر الله التي وعد بها ذوي القلوب النقية، فهم مزمعين أن يتكلموا بها في الحياة الأخرى، وحينما يستعلن ذاته في ذلك العالم الجديد الذي وعد به مختاريه، سيكون أرفع وأشرف بربوات المرات لجميع المناظر التي استظهرت لأبراره في هذا العالم. أما هنا فكما في مرآة ننظر الشبه، وليس الحقيقة ذاتها، وأما في الآخر فننظر الحق وجها لوجه.

🕮 أما قوله ليس أحد يراني ويعيش، فهو لأنه ليس أحد يقدر أن ينظره كما هو، بل بأشباه يتراءى لناظريه، وبمثل محدود يدرك، ولكن ليس بامتلاء أزليته التي تغمر الكل.

🕮 يا لمحبتك يا سيد الكل، كيف تشعل النفس التي أحست بك، التي بالحقيقة تنقت وتطهرت في حياتها. وكل من أهلته لرؤياك ارتفع إليك بحياته، حتى صار كأنه ليس في هذا العالم إلا بالجسد فحسب.

📖 أعددت لنا في العالم الجديد أمورا لم تخطر على فكر، ولا طلبهم لسان. نسألك يا سيدي أن تعطينا إياهم لأنهم مكتومين عنا، مخفيين إلى يوم ظهورهم، حينئذ يكون لكل واحد كما أعد له، وعلى قدر حبه لك تستعلن له بمنظرك العجيب.

📖 إذ أن ليس الجميع بالسوية ينظرون لك هناك، بل لكل واحد قدر ما يستطيع. لأنه حتى ولا الرتب الملائكية تستعلن ذاتك بمنظر واحد للجميع، بل كمثل ارتفاع كل مرتبة كذلك استعلان ذاتك لها.

📖 لك السبح والتمجيد لأنك تتنازل إلى كل مقدار، وإلى كل رتبة، وعند كل واحد، وأنت كما أنت تظهر للذي يطلبك حسبما يستطيع هو أن ينظرك. أما في هذا العالم يارب، مهما كمل الإنسان إلى الغاية فهو تبعا يتبعك.

📖 أما في ذلك العالم الجديد فهو ليس يتبعك، إنما يراك، ويكون معك في ذلك الملكوت. أهلنا يارب لنقاوة القلب لنعمتك، حسب إرادتك، لكي بنقاوة النفس، وذكاوة الضمير، نشكرك ونسجد للاهوتك في العالمين الذي خلقت لنا آمين.

كتاب الآباء الحاذقون في العبادة - الجزء الثاني - القديس يوحنا السيوطي - صفحة ١٢٧ - ١٣٣

{١٩}

القديس أوغسطينوس

الفصل العاشر: طوبي للأنقياء القلوب.

طوبي للأنقياء القلوب فإنهم يعاينون الله مت٥: ٨

📖 عليك في الحياة أن تشفي عين قلبك لكي تري الله: تلك هي الغاية من الأسرار المقدسة، والتبشير بكلمة الله.

📖 ولذلك تتخذ الكنيسة التعاليم الأخلاقية الملائمة لتقويم الآداب، والقضاء على الشهوات اللحمية والكفر بهذا العالم، عن طريق الكلام، وتغيير أساليب الحياة.
📖 إن كلما تقدمه الكتبُ المقدسة الإلهية، لا يهدف إلا إلى تنقية النظر الباطني ممّا يمنعه عن رؤية الله.

📖 وكما أن العين خلقت لتري هذا النور الزمنيَّ حتى إذا دخلها جسم غريب عكّر صفوها، وفصلها عن رؤية ذلك النور، كذلك هي عين قلبك، فإنها إن تعكرت وجرحت، مالت عن نور البر، وما تجاسرت، أو تمكنت من النظر إليه.
📖 متى توصلت إلى مشاهدة الله، لن تعود تبحث عمّا تصنعه الآن، أو عمّا تجهد نفسك سعياً إليه، وعما يضرم فيك الحماس المبرور، أو عمّا تتوق إليه ببراءة، وماذا تطلب إن كان الله حاضراً. وأي شيء يكفيك إن لم يكفك الله؟ أنت تريد أن تري الله، وتتوق إلى رؤيته، وتتحرق شوقاً إليه، ومن الذي لا يتوق إليه؟ ولكن أنتبه إلى ما قد قيل: "طوبي للأنقياء القلوب فإنهم يعاينون لله" هيئ إذن ما يسمح لك بأن تراه.

📖 إن تكلمت بحسب الجسد فكيف تريدُ أنت أن تري طلوعَ الشمس بعينين مريضتين؟ أعمل على أن تكون عيناك سليمتين فتفرح بالنور، أما إذا كانتا مريضتين فالنور عذاب لهما.
📖 لن يسمحَ لك بأن تري بقلب دنس ما لا يُري إلا بقلب نقي، سوف تصد وتبعد ولن تري شيئاً، كم أحصي المسيحُ من سعداء.
📖 وما أكثر ما تكلم عن أسباب السعادة، كما تكلم عن ذوي الأعمال والخدمات والاستحقاقات والمكافآت بيد أنه لم يقل عنهم "أنهم يعاينون الله". طوبى للمساكين فإنهم يتعزون.
📖 طوبي للجياع والعطاش إلى البر فإنهم يشبعون.

📖 طوبي للرحماء فإنهم يرحمون، ولم يقل أبداً ... سوف يعاينون الله.
📖 وإذا تكلم عن ذوي القلوب النقية وعدهم بمشاهدة الله، والسبب هو إن لهم عيوناً يشاهدون الله بها.

📖 وما الذي يعكر صفاء عين قلبك؟ الشهوة، والبخل، والإثم، واللذة العالمية، هذا كله يعكر، ويغلق، ويعمى عين القلب.
📖 وكيف لا يبحث الإنسان عن الطبيب متى كانت عينُ جسده عكرة؟
📖 وبأية سرعة ينتظر فتحها وتطهيرها لتشفي، وتتمكن من رؤية النور الخارجي من جديد؟
📖 أنت تركض ولا تتوقف ولا تتمهل، ولو وقعت في عينك قشه صغيرة، أكيد بأن الله صنع الشمس التي تريد أن تراها بعينين سليمتين. فالخالق أكثر ضياء، وذاك النوع من النور ليس هو الذي يصل إلى عين النفس، إن النور الذي يلائمها هو الحكمةُ الأزلية.
📖 أيها الإنسان إن الله صنعك على صورته: ألم يعطك ما يلزم لتري الشمس التي صنعها حين صنعك على صورته؟

📖 إليك ما أعطاك: لقد أعطاك عينين جسديتين، وعينين نفسيتين، ولكنك تغالي في حب عينيك الجسديتين، وتهمل هذا النظر الباطني الذي تتركه بالياً وجريحاً.
📖 لو شاء الله أن يظهر لك، لكان لك سبب عذاب قبل أن تغُني بعينيك وتبرأ. حين خطئ أدم في الفردوس أختبأ عن وجه الله، ويوم كان قلبه سليماً، بنقاوة ضميره، سرٌّ بوجود الله.
📖 ولكن بعد أن جرحت الخطيئة عينية الباطنيتين، بدأ يخاف النور الإلهي، ولجأ إلى كثافة الأوراق هرباً من الحقيقة إلى الظل.

عواطف وصلوات

📖 رب، هبني أن أعرفك في صلاحك، فأبحث عنك في بساطة قلبي.

📖 يقول لك قلبي: سأطلب وجهك.
📖 أطلب وجهك ربّ، حين أطلبك بقلبي، لك بيت تسكن فيه، ولكن أين تسكن إن لم يكن في هيكلك؟ قلبنا هيكل لك، علّمني أن استقبلك فيه.
📖 أنت روح، وعلى أن أسجد لك بالروح والحق.
📖 فليدخل إلى قلبي تابوت العهد، ولتهدم فيه كل الأصنام.
📖 أجعلني أسمع صوتك، وأتعلم أن أتوق إليك.
📖 اجعلني أتعلّم ما يؤهلني أن أراك.
📖 طوبي لجميع من يرونك، إنهم يرونك، لا لأنهم كانوا في هذه الحياة مساكين بالروح، ودعاء حزانى، جياعاً ورحماء، محتاجين للبر، بل لأن قلوبهم نقية. التواضع أفضل للملكوت. والوداعة للأرض.

📖 والحزن الآن يعزي. والجوع والعطش إلى البر لأن يشبع.
📖 والرحمة لأن تنال رحمة. والقلب النقي لآن يراك.
📖 أني أريد أن أراك. أريد شيئاً عظيماً وأنت تحثني على أن أريده، أعطني أن أطهر قلبي لأن ما أريد أن أراه، نقّ قلبي بمساعداتك وتعزياتك.
📖 ساعدني حتى تكثر فيّ بواسطتك ومن أجلك، الأعمال الصالحة والرحمة والمحبة والصلاح، نق قلبي وأنره، وكن بيتاً وملجاً.
📖 أنت بيتي. أسكن فيَّ لأتمكن من السكني معك، لأني إن قبلتُك في قلبي في هذا الزمن. فستقبلني أمام وجهك في الزمن الاتي.
كتاب خواطر فيلسوف في الحياة الروحية - الكتاب الخامس - صفحة ٢٩٠ - ٢٩٣

{٢٠}
القديس غريغوريوس السينائي

📖 ٦٢- أسباب الانفعالات هي: الأعمال الأثيمة.
📖 وأسباب الأفكار هي: الانفعالات.

🕮 وأسباب التصور: الأفكار.
🕮 وعلة الآراء هي: الذاكرة.
🕮 وعلة الذاكرة: النسيان.
🕮 وأساس النسيان: الجهل.
🕮 وعلة الجهل: الكسل.
🕮 والكسل يولد من: الرغبة الشهوانية.
🕮 والرغبة تولد من: حركة اتجاه زائف.
🕮 وحركة الاتجاه الزائف تأتى من: ارتكاب الخطايا، التي هي: ثمرة الميل الأحمق نحو الشر، لتعلقها بالحواس وبالأشياء الحسية.

🕮 ٦٣ ـ تولد الأفكار، وتعمل في قدرة النفس المفكرة:
🕮 وفى الجزء المنير: تولد انفعالات الحيوانات المفترسة.
🕮 وفى الجزء الراغب: تولد وتعمل الشهوات الحيوانية.
🕮 وفى العقل: تولد، وتعمل الصور والأوهام.
🕮 وفى الإدراك: تولد، وتعمل الآراء.

🕮 ٦٤ ـ تدفق الأفكار الشريرة يشبه نهرا جاريا، وهي تحتوي على الإيعاز الذي به، فيما بعد يحدث تحقيق الذات الأثيمة، التي تفيض على القلب كأنها طوفان.

🕮 ٦٥ ـ حلاوة المواد السائلة في الجسد، تعتبر كخندق عميق مملوء بالأوحال. وكذلك عبث الزنى، والتشويش {من} عمل المقتنيات المادية، والتفكير فيها، الذي يثقل كاهل العقل الحاد الطبع، ويطرحه في أعماق اليأس.

📖 ٦٦ ـ الأفكار السريعة الانفعال: تمثل صورا عن أشياء حادة الطبع، والأفكار ليست شيئا ماديا، بل تنبه، وتجذب الإنسان نحو الأشياء المادية، وهذا هو سبب ارتكاب الخطايا الجسدية.

📖 ٦٧ ـ الأفكار هي: كلمات الشياطين، ونذر الانفعالات. لأنه من المستحيل فعل أي شيء، حسن، أو قبيح، دون أول إيعاز، ودون فكر مثير حول نفسه.

📖 أي فكرة هي: حركة إيعاز غير واضحة، عن شيء واحد، أو آخر.

📖 ٦٨ ـ الأشياء في حد ذاتها تلد أفكارا بسيطة، ولكن إيعازات الشيطان تولد أفكارا خبيثة. الأفكار الطبيعية تفرق بين غير الطبيعية، وبين الفائقة الطبيعة بالمقارنة.

📖 ٦٩ـ تتغير الأفكار في الحال من فكرة واحدة إلى أخرى: الطبيعية إلى غير الطبيعية، وأيضا الأفكار التي على مستوى الطبيعة، إلى أفكار فوق مستوى الطبيعة، لكن إيعازات الشيطان تستطيع أن تلتصق بأي شيء، حتى لو كانت أفكارا لاهوتية.

📖 ٧٠ـ لاحظ أن: للأفكار أسبابا.

📖 وأن الأفكار: تسبق التصور.

📖 وأن التصور: يسبق الانفعالات.

📖 وأن الانفعالات: قبل الشياطين.

📖 وجميعها تكون سلسلة رديئة من أرواح شريرة، متصلة الحلقات.

📖 لكن لا يحدث شيء هنا بدون الشياطين.

📖 فلا التصور يرسم صورا، ولا الانفعال يعمل بدون قوة الشياطين الخفية، وعلى كل حال فإن سبب قوتها وتسلطها علينا، هو إهمالنا.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب ـ القديس غريغوريوس السينائي ـ صفحة ٦٠ ـ ٦٢

{٢١}

سمعان اللاهوتي الجديد

📖 ١٤٧ـ عقلنا نقى وبسيط، لذلك عندما يتنصل من كل فكر غريب، يدخل في النور الإلهي النقي البسيط، ويصير محاطاً به تماماً، ومختفيا فيه، ولا يستطيع بعد ذلك أن يقابل هناك أي شيء غير النور الموجود فيه.

📖 ولا يجد هناك شيئا يحركه على التفكير في أي شيء آخر، بل يسكن داخل النور الإلهي، ولا ينظر خارجاً. وهذا يفسر القول بأن الله نور {النور الأسمى}، وعلى ذلك عندما يحدث ما تقدم ذكره، يتبعه الهدوء الذي يتأمل الكل.

📖 ١٤٨ـ العقل المتحرك يصير جامداً، عديم التفكير {بدون أفكار} عندما يكتنفه تماما النور الإلهي، وفى نفس الوقت يبقى في تأمل واع، وفهم سليم. يتغذى على النعم المحيطة به.

📖 أعماق الروح القدس ليست كأعماق البحر، إنها الماء الحي للحياة الأبدية. وكل شيء في أعماق الروح القدس يفوق الفهم أو الشرح. يدخل العقل فيه بعد إبعاد كل ما هو مرئي وعقلي.

📖 يتحرك ويدور بدون حركة بين الأشياء غير المفهومة، ويحيا حياة أكثر من الحياة، تكون نوراً، بينما لا يزال في النور، مع أنه بنفسه لا نور فيه. حينئذ لا يرى العقل نفسه، بل يرى الذي هو فوقه، ولكونه يتحول داخلياً بالمجد المحيط به، يفقد كل معرفة عن نفسه.

📖 ١٤٩ـ كل إنسان ينال أقصى درجة في الكمال يكون ميتاً، ومع ذلك ليس بميت، ولكنه بغير حدود، أكثر حياة في الله الذي يعيش معه،

لأنه لا يحيا بعد بنفسه، كما يقول الرسول "فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في" غل٢: ٢٠.

📖 وهو أيضاً أعمى، ومع ذلك ليس بأعمى، لا يرى بعينيه الطبيعيتين، لأنه فوق البصر الطبيعي، نائلا عينين جديدتين، أفضل بغير حدود من عينيه الطبيعيتين، وبواسطتهما ينظر إلى ما فوق الطبيعة.

📖 هو عديم الحركة، وفى راحة، كإنسان وصل إلى نهاية كل أعماله الخاصة. وهو عديم الفكر، منذ أن صار واحدا معه الذي هو أعلى من كل فكر، واستراح حيث أن حركة العقل ليست لها مكان، أي حركة الذاكرة، والفكر، أو التأمل.

📖 وهو لا يستطيع أن يعرف، أو يفهم الشيء غير المدرك والإعجازي، ومع ذلك يجد راحة تامة في داخله بواسطة الهدوء المبارك للعقل. ومن المؤكد أنه يتمتع بنعم تفوق الوصف، لكن بفهم أكيد محدود.

📖 ١٥٠- أي إنسان لم يعط مثل هذه القامة من الكمال، ولم ينل مثل هذه النعم، يجب أن يلوم نفسه وحده. ولا يقول في تبرير الذات أن مثل هذا الشيء مستحيل، وليس من الممكن أن نحصل على الكمال. لكن هذا الكمال لا نعرفه.

📖 يجب أن يعرف من شهادة الكتاب المقدس أن مثل هذا الأمر ممكن، وهو يحدث فعلا في قوته الكاملة، ومصحوبا بفهم تام ووعى كامل، ولكن بسبب الإهمال والتعدي على وصايا الله، يحرم كل إنسان نفسه من هذه النعم حسب درجة إهماله.

📖 ١٥١- منذ البدء خلق الله عالمين، المرئي، وغير المرئي، ونصب ملكا يسود العالم المرئي، وهو الذي يحمل في قرارة نفسه الملامح

المميزة لكلا العالمين {أحدهما في نصفه المرئي، والآخر في نصفه غير المرئي،} في روحه وجسمه.

📖 تضئ شمسان في هذين العالمين، إحداهما منظورة والأخرى عقلية. في العالم المرئي توجد الشمس، وفى عالم العقل غير المرئي يوجد الله، الذي هو شمس الحق. فالعالم المادي وكل ما فيه تضيئه الشمس الطبيعية المنظورة، ولكن عالم العقل وهؤلاء الذين فيه، تضيئهم وتنيرهم شمس الحق في العقل.

📖 وفضلا عن ذلك الشمس الطبيعية تضئ الأشياء الطبيعية، والأشياء العقلية تضيئها الشمس العقلية، المنفصلة عن الشمس الطبيعية، لأنهما غير ممتزجتين، أو مندمجتين في بعضهما، لا الطبيعية مع العقلية، ولا العقلية مع الطبيعية.

📖 ١٥٢ـ من بين الخليقة المرئية وغير المرئية خلق الإنسان، وحده في حالة ازدواج، له جسم يتكون من أربعة عناصر، الحواس، والنسمة، وله نفس غير مرئية، روحية، غير مادية، تتصل بالجسد في صورة غير معروفة تفوق الوصف، وهي تتداخل فيما بينها، ومع ذلك غير مركبة، تختلط، ومع ذلك لا تمتزج.

📖 هذا هو تكوين الإنسان: حيوان فان خالد، منظور وغير منظور، حسي، وعقلي، يقدر أن يرى الأشياء المرئية، ويعرف الخليقة غير المرئية، كما أن كلا الشمسين تؤثر على عالمها الخاص على حدة، هكذا تؤثران منفصلتين في كل جانب من الإنسان، إحداهما يضئ الجسم، والأخرى تنير النفس، كل منهما تعطى نورها إلى جانبها الخاص، في كثرة أو قلة، بقدر ما يمكن أن تستقبل.

📖 ١٥٣ـ الشمس الطبيعية تُرى ولا ترَى، وشمس العقل يراها المستأهلون، وهي ترى كل كائن، لاسيما هؤلاء الذين يشاهدونها.

📖 الشمس الطبيعية لا تتكلم، ولا تمنح أحدا الموهبة والقدرة على الكلام، لكن شمس العقل تتكلم مع أصدقائها، وتهب كل واحد الموهبة والقدرة على الكلام.

📖 الشمس الطبيعية تنير الحديقة الطبيعية، وتجفف فقط رطوبة التربة بحرارة أشعتها. لكنها لا تخصب التربة، أو تغذى البذور والنبات، أما شمس العقل فعندما تضئ في النفس تجفف رطوبة الانفعالات، وتطهر النفس من أقذارها وعفنها، التي تسببها الانفعالات، وتخصب تربة النفس الداخلية {تجعلها غنية} بالنعم الإلهية، وتغذى نبات الفضائل حتى ينمو تدريجيا ويزدهر.

📖 ١٥٤- عندما تشرق الشمس الطبيعية تضئ العالم المادي، وكل شيء فيه، من إنسان وحيوان وغير ذلك، تسكب نورها على الجميع سواسية، تتحكم عند الظهيرة، ثم تختفي ثانية تاركة الأماكن التي كانت تضيئها في ظلام.

📖 أما شمس العقل: فإذا ما ابتدأت تضئ مرة، فإنها تضئ دائما بكليتها، وتحوي كل شيء روحيا، وتظل على حدة من مخلوقاتها، منفصلة عنها بغير انفصال، حيث أنها بجملتها في كل شيء، وفى نفس الوقت ليست في أحد المخلوقات بنوع خاص.

📖 كلها في المنظور، وكلها في غير المنظور، وهي موجودة تماما في كل مكان، ومع ذلك لا توجد في أي مكان.

📖 ١٥٥- المسيح هو البداية والنهاية، وهو في الجميع، وبما أنه في البدء فهو في الكل. والجميع عنده متساوون لا فرق بينهم "ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبد ولا حر، ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعا واحد في المسيح يسوع" غل٣: ٢٨.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب - الباب الرابع - سمعان اللاهوتي الجديد
تعاليم عملية ولاهوتية - صفحة ١٨٢ - ١٨٧



📖 ١٥٩- نظرا إلى أن اللـه يريدنا أن نعرفه، هكذا يظهر نفسه، ونظرا لأنه يظهر نفسه، هكذا يراه ويعرفه المستحقون المستأهلون.

📖 لكن لا يستطيع أحد أن يستحق هذه التجربة، إلا بعد أن يتحد مع الروح القدس، وبعد أن يكون قد حصل من قبل بالجهد والعرق، على قلب يكون نقيا، بسيطا ومنسحقا.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب - الباب الرابع - سمعان اللاهوتي الجديد
تعاليم عملية ولاهوتية - صفحة ١٨٧

📖 ١٦٣- قد يستطيع الإنسان قهر انفعالاته، ولكنه لا يستطيع اقتلاعها. إنه يعطى القدرة على عدم فعل الشر، لكن لا يعطى المقدرة على إلا يفكر فيه.

📖 ومع ذلك فالبر الحقيقي لا يعنى فقط الامتناع عن فعل الشر، بل أيضاً عدم التفكير فيه. إن الذي يفكر في الشر غير طاهر. كيف يستطيع القلب أن يكون نقيا في إنسان دنس نفسه بأفكار قذرة، كمرآة غشاها التراب وعتمها.

📖 ١٦٤- في رأيي يكون لأي إنسان قلب نقى، إذا لم يزعجه ويثقل كاهله أي انفعال. ولم يفاخر مطلقا في أي شيء أثيم، أو دنيوي، بل يستمر في ذكر اللـه بمحبة دافقة، لأنه إذا لم يدخل في تفكيره وتأمله أي شيء أثيم، فالعقل {عين النفس} يرى اللـه بصفاء في نور نقى.

📖 ١٦٥- يكون الإنسان ثابتا رزينا ليس فقط عندما يرفض أن يكون عبدا لشهواته، بل أيضاً نافرا منها تماما. وليس هذا فقط بل يجرد عقله من التفكير فيها، ويحلق بحرية في الأعالي كما يريد، وعندما يصل إلى ما وراء حدود المنظور والمحسوس، يكون كما لو كانت الحواس مغلقة تماما، والعقل سابحا في دائرة ما فوق المحسوس، مع محافظته على حواسه تماما كما يحافظ النسر على ريشه.

١٦٦- لا يُظهر العقل أعماله بدون الحواس، ولا تظهر الحواس أعمالها بدون العقل.

١٦٧- القلب يكون ويسمى نقيا عندما لا يجد في نفسه أي فكر دنيوي، ولما يلتصق التصاقا كليا بالله، ويتحد معه اتحادا كاملا لا يتذكر بعده أي شيء دنيوي، سارا كان أو محزنا، بل يظل في التأمل محلقا في السماء الثالثة، يدخل الفردوس ويرى النعم الموعودة للقديسين كميراث لهم، وبذلك يتأمل النعم الأبدية بقدر الإمكان حسب ضعفه البشرى.

هذا هو الدليل القاطع على نقاوة القلب التي بها يستطيع كل إنسان أن يحدد درجة طهارته، ويرى نفسه كما في مرآة.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب - الباب الرابع - سمعان اللاهوتي الجديد
تعاليم عملية ولاهوتية - صفحة ١٨٩ - ١٩٠

تفسير القديس سمعان لأسباب الأحلام العقل

١٧٦- كما أن الإنسان مزدوج يتكون من نفس وجسد، كذلك العالم مزدوج مثله، المرئي وغير المرئي، ولكل منهما عمله الخاص حسب روحه واهتماماته التي تشغله.

هكذا نفس الشيء في الرؤى والأحلام، كل ما يشغل النفس، وما تتكلم عنه أثناء النهار، يكون موضوع أحلامها وسفسطتها أثناء النوم، وإذا قضت النفس النهار في أعمال تتعلق بشئون الناس، تنزعج عليهم في الأحلام.

أما إذا شغلت كل وقتها في دراسة الأمور اللاهوتية والسمائية، فتبصر رؤى عنها أثناء النوم، وتتعلم الحكمة من هذه الرؤى، كما يقول الرسول: "ويرى شبابكم رؤى" {يوئيل في أعمال الرسل٢: ١}.

مثل هذا الرجل لا تضله الأحلام الزائفة، ولكنه يرى أحلاما حقيقية، ويتعلم من رؤياها.



١٧٧ـ عندما يتحرك الجزء الراغب في النفس إلى: انفعالات ـ وتسليات ـ وملذات ـ ومباهج هذا العالم. تكون الأحلام مطابقة. وأيضا عندما يهيج الجزء الثائر في النفس كحيوان مفترس، ضد آخر من نوعه، يحلم الإنسان أحلاما عن اعتداء حيوانات وزواحف، وعن حروب وخصام، وعن شقاق ومنازعات في القضايا مع الناس الذين يخاصمهم.

وعندما يختال الجزء المفكر في النفس تيهاً وكبرياء، يحلم الإنسان بأنه طائر على أجنحة، أو جالس على كرسي القضاء، أو جالس على كراسي أصحاب الصولة، وعن استقبالات رسمية وحفلات وما إلى ذلك.

١٧٨ـ فقط الذين يستطيعون أن تكون لهم رؤى حقيقية أثناء النوم "يجب إلا تسمى أحلاما بل رؤى"، هم الذين جعلت نعمة الروح القدس عقولهم بسيطة، ومتحررة من ضغط الانفعالات، ومن عبوديتها.

وهؤلاء الذين كل اهتماماتهم في الأمور اللاهوتية فقط، وتفكيرهم الوحيد عن الجزاء الآتي والنعم، وحياتهم فوق الحياة العادية، متحررة من الاهتمامات ـ هادئة غير مشتتة ـ نقية ممتلئة رحمة وحكمة ومعرفة سماوية ـ وثمارا طيبة أخرى. تؤول إليهم بواسطة الروح القدس.

أما هؤلاء الذين ليسوا على هذه الشاكلة فتكون أحلامهم مشوشة زائفة، وكل شيء فيها مجرد خداع وباطل.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب ـ الباب الرابع ـ سمعان اللاهوتي الجديد
تعاليم عملية ولاهوتية ـ صفحة١٩٣ ـ ١٩٤



القديس يوحنا التبيسي

📖 وفى وقت آخر دخلنا إليه. وعندما صلينا بدأ يقول لنا، يا أحبائي لا تملوا تلاوة الكتاب المقدس، لأني أريد أن تفهموه باستنارة، فلهذا أردت أن أصف ماهية الآلام، وأعظ محبتكم لتفهموا أن كل إنسان لم يصل إلى نقاوة النفس، لا يوجد فيه حب حقيقي، ولا فرح روحي.

📖 الأمور التي لا يعرفها الجسد، بل هي مستترة في ذهن العقل.

📖 وبعمل عظيم، واهتمام كثير، ينبغي له أولا أن يطهر من الآلام.

📖 أقول عن الشهوة، والغضبية، ومحبة الفضة، والمجد الباطل، وما يتولد منها، الأمور التي إذا ما كثرت فإنها تخنق إنساننا الداخلي.

📖 هذه الآلام يا أحبائي تعمى العقل.

📖 أما نقاوة النفس فهي نور المعرفة، ولا يعرف الإنسان سرها من مجرد سماع أسمائها، لأنه لا يعرف أسماء العقاقير إلا من تعلم سر الطب. ففي حكمة الكلدانيين يدعون للكواكب أسماء بروح البلاد، ولا تعرف سر هذه الأسماء من مجرد سماعها.

📖 هكذا أيضاً نعرف فقط أسماء حكمة المسيح، لأننا نسمع بولس يقول عن الله الآب والمسيح "أن فيه مخفى جميع كنوز الحكمة والمعرفة" {كو٢: ٣}، فسمعنا اسم الكنوز أما سرها فلم نعرفه.

📖 وإذا ما تكلم الإنسان عن كنز العالم الجديد فإنه لا يعرف ما يقول.

📖 وحتى بولس لما قال "لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين"، بين أنه لم يقل عن حكمة هذا العالم، ولكنه لم يفسر أسرارها أو يبين نوعها {١كو٢: ٦}. وأيضا عندما قال إننا ننال مواهب المعرفة، لم يفسر ما هي المعرفة، أو بأي أسرار تثمر.

📖 إن الإنسان من بدء مرحلة النقاوة فصاعدا، لا يفهم كلام الحياة الجديدة فقط، بل ويستطيع أيضاً أن يكون قريبا من الله، باستعلان الأسرار، لأنه متى ابتدأ ضميره بالنقاوة فصاعدا، فإن المسيح يظهر

له ذاته. أما الذي في حالة أقل من نقاوة النفس، فإن المسيح لا يظهر له بمعرفته.

📖 بدليل من الإنجيل. أنه قال: "الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني، والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأظهر له ذاتي" يو ١٤: ١. هذه هي الطريق التي تقدم إلى الله، وهذا هو المنهج الذي به يسير الإنسان إلى المسيح.

📖 لأن سر المسيح مزمع أن يظهر في العالم الجديد للقديسين.

📖 لأن تدبيرهم من نقاء النفس فصاعدا يكون من بعد القيامة، وهذا هو تدبير العقل، المشترك مع الله بمعرفته. لهذا الإنسان ليس كفوءا أن يقبل استعلان المسيح في هذه الحياة، إلا إذا حفظ وصاياه، وطاعة وصاياه هي: نقاء الضمير.

📖 فإن كان أحد يشك في هذه الأمور، فإن لها شهادة جميع الناس.

📖 لأن من من الناس متسجس متكدر، وضميره متشكك، وهو شرير بأفعاله، وظهر له المسيح بمعرفة أسراره؟ ومن هو الذي اعتنى وأخضع ذاته لشريعة المسيح، بكل اتضاع العقل، ولم يستضئ ضميره بالرجاء بالله؟

📖 ومن ذا الذي اهتم أن يطهر ضميره من الشرور، ولم تفرح نفسه بالله؟ فإن كان الإنسان يتقدم لعمل التعليم، فإنه يستطيع أن يعرف أمورا كثيرة من الناس، الذين قبلوا موهبة الله.

القديس يوحنا التبيسي - الآباء الحاذقون في العبادة - جزء٢ - صفحة ٧١ - ٧٢

📖 **السائل:** ما هو القلب، والذهن، والضمير؟

📖 **المعلم:** هي حواس داخلية.

📖 **السائل:** ولماذا لها أسماء مختلفة مع أن العقل واحد؟

📖 **المعلم:** كما أن الجسد واحد ويتكون من أعضاء مختلفة، كالعينين والأذنين ... الخ، العين من أجل النظر، والأذن من أجل السمع.

هكذا أيضاً للعقل أسماء لوظائف مختلفة:

فالقلب ضابط الحواس الداخلية.

والضمير ضابط للاهتمامات الخارجة منه.

والذهن من أجل التمييز بينها.



السائل: ما هو القلب الحكيم؟

المعلم: هو الذي يعرف اللـه، ويعبده كإله.

كتاب الآباء الحاذقون في العبادة ـ الجزء الثاني ـ القديس يوحنا السيوطي ـ صفحة ٩٧

{٢٣}

قداسة البابا شنودة الثالث

ضبط الفكر

باسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين

ضبط الفكر هو حفظ العقل.

نريد أن نوضح الطريقة العملية لحفظ الفكر أثناء الصلاة.

بعض الآباء يتكلمون ويقولون إنه: "حفظ العقل. والبعض يقولون حفظ الفكر". الفكر هو عمل من أعمال العقل. فالعقل لـه أعمال كثيرة من ضمنها الفكر، والفهم، الذاكرة، من ضمنها الاستنتاج. والفكر هو عمل من أعمال العقل، لكن ما وُجد في كتب الآباء عن حفظ العقل، هو ما يقصدون به حفظ الفكر.

ما هي الطريقة العملية لضبط الفكر أثناء الصلاة؟

{١} يقول مار إسحق: "ليس هذا الأمر للمبتدئين". يتكلم عن الصلاة الطاهرة، أنها الصلاة التي لا يسرح فيها الفكر، ولا يشرد في أي أمر من الأمور. وقال إنها: "هي الصلاة الطاهرة".

وقال: "إنها ليست للمبتدئين" لأن المبتدئين الذين لم يدخلوا في حياة الوحدة الكاملة، يشتغلون بأعمال كثيرة، ويتصلون بأناس كثيرين، فلكثرة الاتصالات، ولكثرة الأعمال، يوجد في الفكر ما يشغله. لأن مار إسحق يقول: "إن الحواس هي أبواب الفكر. فما يراه الإنسان يفكر فيه، وما يسمعه يفكر فيه، وما يشمه ويلمسه يفكر فيه.

{٢} إذا الحواس أبواب الفكر، فإن أردنا أن نضبط الفكر، إذا لابد أن نضبط الحواس. وضبط الحواس يؤدي إلى ضبط الفكر.

وضبط الحواس معناه إلا ينشغل الإنسان بالرؤيا، وبالسمع، و ... أكثر مما ينبغي. والآباء عندما سكنوا في البرية كان المنظر أمامهم ثابتا، هو هو ليس به جديد يشغل الحواس، غير الإنسان الذي يرى كل يوم جديد، ويتكلم كثيراً.

وكما يقول مار إسحق: "كيف يستقيم الأمر، وهم كل يوم يبنون ويهدمون. أي يبني روحياته، ويأخذ فكرا روحيا، ثم يهدم هذا الفكر الروحي بأفكار عالمية.

{٣} وهكذا ضبط الفكر معه ضبط الحواس، وضبط الحواس عمليا يحتاج حياة وحدة، وحياة الوحدة ليست متوفرة لكل أحد، أو ليس كل أحد يستطيع أن يضبطها حسنة. لأنه كما قال أيضاً مار إسحق: "هناك من يقضي في الوحدة خمسين سنة، وهو لا يعرف طريقة الجلوس في القلاية".

وأيضا قد يجلس في القلاية وأفكاره تشرد، وكما يقول يبيعون ويشترون. فالإنسان الشارد في أفكار كثيرة، عندما يقف للصلاة تأتيه الأفكار أيضاً في الصلاة، وخاصة الأفكار التي لم يكن قد انتهى منها. أي مثل أمر ما زال يحتاج تدبير وتفكير، أو علاقة ما زال يفكر فيها نتيجة الاصطدام بالناس.



فمن أين تأتي الأفكار؟

📖 من الحواس، نتيجة التعامل مع الناس، مُعامله مستريح لهـا، أو معاملـة غاضب منها، أو معاملة ما زال مبتدئا فيها، ورغبات، الفكر شارد.

📖 أيضاً الآمال والرغبات من ضمن مصـادر الفكـر. وعنـد الصـلاة يجد فكره ما زال منشغلا بموضوعات أخرى.

📖 {٤} ولهذا قصة معروفة في البستان: أن أنبا يحنس القصير رآه زميلـه يدور حول القلاية ثلاث مرات، فسأله لماذا تفعل هكذا؟

📖 قال له كنت موجود في مناقشـة، ومـا زال فكـر المناقشـة موجـودة فـي ذهنـي، وأريـد أن أطـرده قبـل أن أدخـل القلايـة، لأنـه إن دخـل القلايـة بسرعة ستدخل المناقشة معه، وضبط الفكر يحتاج الوحدة.

📖 {٥} يوجد إنسان ينشغل بمشاكله، وآخر ينشغل بمشاكل غيره.

📖 إنسـان تهمـه أمـوره، وآخـر تهمـه أمـوره وأمـور آخـرين، سـواء كـان مسئولا عنها، أو متدخلا فيها. أي شخص مسئول فيفكر في شئون غيره، مثل مسئول عن عمل ومساعده يخطئ في العمل، فيحاول تـدبير الأمـر، لكن هناك من يتدخل فيما لا يعنيه، ويفكر فيه، وينشغل به.

📖 لماذا تتدخل؟ إنسان يهوى ضياع وقته، وفكره، وسلامة القلبي، فاضـي ويبحث عما يشغله. لذلك قال الشيخ الروحاني: "كثير الكلام يدل على أنه فارغ من الداخل". لا شيء يشغله في داخله، فيكون متفرغ للأفكار.

📖 معروف قصة ذلك القديس المتوحد الذي قابل امرأة في البرية، وكانـت امرأة فاضلة، وتكلم معها، وفي النهاية قال لها: "فيما يكون الخلاص؟"

📖 قالت له: "في ترك ما أنت فيه". قال لها: "وما هو"؟

📖 قالت له: "انشغالك بخلاص نفسك، أهم من سؤالك امرأة عما لا يعنيك" ما لك ولغيرك؟

📖 {٦} لذلك كان الراهب الذي يريد أن يضبط فكره، كان لابد أن يبتعد عما يسميه القديسون: "سجس المجمع". عن الكلام الكثير، والأخبار الكثيرة. عن أخبار الرهبان، والكنيسة، والعالم.

📖 بل يا أخي أنت مت عن العالم وما دمت قد مت عن العالم، ما لك بأخبار العالم. ما لك بأفكار وأحداث؟ لماذا تشغل نفسك بها؟ هل سيسألك أحد عنها؟ هل لك دخل بها في أمورك الخاصة؟ هل ستقدم عنها حسابا؟ أم أنت لا تعيش في العالم، لكن العالم يعيش فيك؟

📖 هناك أناس من هذا النوع: العالم يعيش في فكره، وقلبه، ومشاعره، ورغباته. العالم يتحرك داخله، رغم أنه ترك العالم. ما لك بالعالم. قل لنفسك، من أقامني قاضياً، أو مقسم؟، ما لي أنا؟

📖 {٧} إن أردت أن تضبط فكرك في الصلاة، أضبط فكرك قبل الصلاة.

📖 الفكر المنضبط قبل الصلاة، يكون منضبطاً أثناء الصلاة، لأنك لا تستطيع أن تعيش الاثنين، كل واحد منهما ضد الآخر. أي واحد منهما يفكر في خلاص نفسه، وفي الهدوء، والوحدة. والآخر يفكر في العالم، والأحداث. ويعيشان في تناقض.

📖 هل تتخيل أنك تستطيع أن تنتقل فجأة من التفكير العام والعالمي، والتفكير المتسع الأرجاء، الذي يشمل مناطق عديدة، وأشخاص عديدين. إلى التفكير في الله وحده؟ لا يمكن. ليس هذا من طبيعة الذهن أن ينفصل فجأة.

📖 {٨} عملياً هناك بعض النقاط توضع تحت هذا الأمر، بعضها في مستواك، وبعضها ليس في مستواك. الذي في مستواك اعمل به، والذي ليس في مستواك أتركه.

📖 أ. البعد عما يشغل الفكر بقدر طاقتك، ونشغل بما أنت مسئول عنه، وما لست مسئولا عنه ابتعد عنه بقدر إمكانك، لا هبوط على ذهني من الأفكار أخرى، ولا أقوال أخرى.

📖 **ب.** لا تأخذ الأفكار العالمية بعمق: الذي يبقى في ذهنك، ويشغلك أثناء الصلاة، هي الأفكار التي أخذت عمق في ذهنك، لكن الأشياء العابرة، وما تراه بطريقة عابرة، وما تسمعه بطريقة عابرة، والمعاملات التي تأخذها بطريقة عابرة، هذه أمور لا تتخلل إلى أعماق فكرك، ولا تشغلك أثناء الصلاة. فخذ الأمور ببساطة، وبدون عمق.

📖 أكثر شيء يعطلك عن الصلاة الفكر الذي يأخذ عمقا فيك.

📖 الفكر الذي يأخذ عمقا فيك: هو أما له نفس مشاعرك، وإحساساتك، فأخذ عمقا. وأما فكر أخذ عمقا في ذهنك، أي فكرت فيه، مثل مشكلة، أو مسألة تحتاج حلا، أو أمر محتاج تشغيل ذهن. أي أما أخذ عمقا في مشاعرك، أو أخذ عمقا في ذهنك، فرسخ داخلك. لكن الأمور التي تأخذها ببساطة تمر سريعا.

📖 مثل إنسان كلمك كلام عادي، أو جزت مقابلات ببساطة تمر، لكن إن فكرت وانشغلت بها، وتقول لنفسك لعلي نسيت، أو ليتني انتبهت، أو أخذ الأمر داخلك عمقا يترسخ فيك. لماذا يترصد لك الفكر؟ لأنك أعطيته مكانا داخلك، صار له مكان فيك. والكلمة لما تدخل داخلك يدخل معها أصحاب وأقارب وتسبب لك سجس داخل عقلك.

📖 نصيحة لك خذ الأمور ببساطة، ولا تأخذ كل شيء بعمق، ولا تشغل ذهنك بأمور لا تستحق هذا، وخاصة عند الرهبان أحيانا.

📖 ماذا نعني عند الرهبان أحيانا؟ أي كثير من أهل العالم يسمعون كلاما ويمر، لأن لديهم مشغوليات أخرى، لكن الرهبان ليس لديهم ما يشغلهم، فكلمة قد يصنع منها الراهب حكاية، وُيضخم فيها، ويُكبر فيها، ويهتم بها، وتصير كبيرة رغم أنها صغيرة. عكس أهل العالم لأن لهم ما يشغلهم. لا تأخذ كل كلمة بعمق لكيلا يكون منها ردود فعل.

📖 **ج.** لكي تضبط فكرك لابد أن يكون لك عمل إيجابي، روحي، فكري:

📖 الذي يشغل فكره بالروحيات، الروحيات هي التي تدور في عقله. الإنسان الذي لا يشغل عقله بالروحيات، تأتي التافهات وتستقر في داخله، لأن ذهنه فارغ، لأن الذهن لابد من مادة تشغله، يريد أن يتخذ قرارا. إن لم يجد مادة روحية، سينشغل بمادة تضره.

📖 لكي تضبط فكرك اضبطه بالقراءة الكثيرة، القراءة في الروحيات، وسير القديسين، والكتاب المقدس، وإذا قابلتك حروب روحية، خذ قراءة عميقة تحتاج لتفكير، لأن أحياناً القراءة الروحية تكون خفيفة فيسرح عقلك. حتى إن كانت القراءة في غير نطاق الروحيات، خذ قراءة عميقة.

📖 مثلا إنسان يقرأ في خلافات عقائدية بيننا وبين الكاثوليك، أو البروتستانت، أو شهود يهوه. هذه قراءة تأخذ عمق داخلك، لأنها تحتاج تفكير، فتنتهي المحاربات. لكن راهبا يحارب بأفكار كثيرة، ويحاربها بكلمة بسيطة، ستمر عليها وتستمر الحرب.

📖 عمل إيجابي بالروحيات: القراءة من الأعمال البارزة. التأمل أعمق من القراءة، لأن التأمل يشغل شيئا داخلك غير القراءة، لأن القراءة شيء خارجي، لكن التأمل شيء داخلي، بالإضافة إلى شيء خارجي. إن لم يكن لك خبرة في التأمل، اقرأ تأملات الآخرين. الكتب التأملية كثيرة. تفاسير الآباء ... الخ. أيضاً الألحان. التراتيل. العمل الروحي الفكري.

📖 ولذلك من النصائح التي تعطى لك، لكي تكون صلاتك خالية من الشرود الفكري بقدر الإمكان، أنك تأخذ فترة انتقالية من العمل المادي إلى العمل الروحي، أو تأخذ فترة تمهيدية للصلاة، أي تمهد للصلاة بقراءة، أو ترتيل، أو جلسة مع الله، أو محاسبة للنفس. المهم الانتقال الفجائي من العمل المادي إلى العمل الروحي أمر خاطئ.

📖 **د.** من ضمن ضبط الفكر الصلاة بفهم.

📖 قد يكون الإنسان أثناء صلاته الارتجالية أقل شرودا من صلاته بالمزامير، لأنه صلاته بالمزامير لم تكن صلاة بفهم، أو بعمق. أو أن

الإنسان يصلي بطريقة روتينية بسرعة، بدون عمق، أو مشاعر، أو فهم. فطبيعي أن يشرد. أي: نوعية الصلاة تمنع الشرود.

📖 إن كانت صلاتك عميقة بفهم، وعمق، بإيمان، وحرارة، وخشوع، وروح. لا يمكن أن تشرد أثناءها، لأنها صلاة محصنة قوية. يوجد ميكروب يأتي من الخارج يجد صحة جيدة يبطل مفعوله، لكن نفس الميكروب يأتي لشخص ضعيف، وصحته ضعيفة، ليس لديه قوة للمقاومة، فيكون للميكروب مفعول داخله. أنت من أي نوع؟

📖 نوعية الصلاة إن كانت قوية وعميقة تمنع الشرود.

📖 قيل عن حنة أم صموئيل قبل أن تنجب صموئيل، إنها صلت صلاة، وبكت بكاء، ونذرت نذرا، ومن عمق صلواتها ظنها عالي الكاهن أنها سكرى. لا يمكن لصلاة عميقة مثل صلاتها أن يكون بها شرود. صلاة من عمق القلب، والفكر، فكيف تشرد؟ إذا لتحارب الأفكار والشرود، لتكون صلاتك قوية، وتكون صلاتك روحية.

📖 خذ المزامير مجالا لتأملات في غير وقت الصلاة. خذ الصلوات المحفوظة كلها مجالا للتأمل في وقت غير الصلاة. اجعل صلوات الأجبية مجالا للتأمل، فإذا شرعت تشرد في أمر صالح، أي في تأمل روحي جميل، وقد يكون هذا السرحان الروحي أقوى من الصلاة ذاتها. قد نسميه سرحان، لكنه يسمي تأملاً. البعض قال إن القديس الأنبا أبرام أسقف الفيوم، كان أحيانا يصلي المزمور الخمسين في ساعتين، أو ثلاثة، هذه صلاة بتأمل.

📖 في أحد المرات رأيت راهبا أتي في زيارة من دير آخر - هذا الراهب تنيح - وقف الراهب للصلاة وكان أحيانا يصلي بصوت عال. قال في صلاته: "أعطني يارب ينابيع دموع كثيرة" وسرح وقال: "لأبكي على خطية كذا، وكذا. وأعاد الجملة مرة أخرى، وقال: "لأبكي على كذا، وكذا. وسرح. ثم عاد وقال الصلاة كاملة. أقصد السرحان الروحي، وليس السرحان الذي يبدأ خطوة خطوة حتى يبتعد عن الصلاة.

📖 الصلاة التي بغير فهم تكون عرضة للشرود، أو على الأقل تكون صلاة بلا فائدة. لعل من أمثلة هذا بعض الناس الذين يتلون الإبصلمودية بسرعة فائقة، دون أن يفهموا منها شيئا، ودون أن يفهم من حولهم شيئا. وهم قصدهم أن يُضبط اللحن، أو يتم الصلاة، وينتهي من الموضوع.

📖 والملائكة يقولون لماذا لم يصل الرهبان اليوم السبحة؟ وهم يكونون قد صلوها لكن ليست بالطريقة الروحية. قد يحدث. لكن هذا لأنه مشغول بكيف ينتهي، فلا يسرح لأن اللحن يشغله، لكن في قلايتك إن صليت بهذه الطريقة قد تسرح. حاول أيضاً أن تدخل إلى أعماق السبحة وأن تصليها بفهم، وبعمق، وبروح، ولتكن لك روح الصلاة، وروح التسبيح.

📖 بولس الرسول في {اكو ١٤} لما تكلم ضد الشوشرة في موهبة الألسنة قال: "أصلي بالروح، وأصلي بالذهن أيضاَ ... أريد أن أتكلم خمس كلمات بذهني لكي أعلم آخرين أيضاً، أكثر من عشرة آلاف كلمة بلسان"

📖 إذا الله يريد الصلاة بفهم، وكلما كان الفهم عميقا كلما كان له نتيجتان: نتيجة سلبية، ونتيجة إيجابية. الناحية السلبية يترك السرحان، والناحية الإيجابية أنه يدخل في مشاعر الصلاة. أي الذي يصلي بفهم وروح، قد يصلي بدموع لأن مشاعره العميقة جلبت له الدموع. يصلي بحرارة ويشعر برغبة في استمرارية الصلاة.

له المجد دائما أبدية آمين

كتاب عظات رهبانية ـ صحة ٣٩٩ ـ ٤٠٥

{٢٤}

مار أوغريس

📖 **{٨٥}** إن العقاقير الطبية التي تنقي الجسد، لا تبقى في المريض، كذلك العقاقير الروحية تنقي النفس، ولكنها تبقى في الرجل الذي تنقى.

📖 {٨٦} النفس المعقولة تتعامل حسب الطبيعة، عندما تدرك هذه الحالات، عندما تشتهي النفس الفضيلة بدلا من الشهوة، وبدلا من الغض تجاهد للحصول على الفضيلة، وفي النهاية تدفع قوى العقل للتأمل في المخلوقات.

كتاب التداريب الروحية ـ لمار أوغريس ـ صفحة ٤٦

📖 **٦ـ أحيانا تُقطع الأفكار، وأحيانا أخرى تقوم هي بالقطع.**

📖 الأفكار الشريرة تقطع الأفكار الجيدة، وهي بدورها تقطع بالأفكار الجيدة، وبناء على ذلك، يلاحظ الروح القدس أي فكر نعطيه الأولوية، وعلى ذلك يعننا، أو يوافقنا عليه.

📖 إن ما أعنيه هو شيئا مثل هذا: يحدثني الفكر إن اصنع ضيافة، وهي من اجل الله، ولكن عندما يهجم المجرب، ينقطع هذا الفكر، ويأتي مكانه اقتراح، أن اصنع الضيافة من أجل الظهور.

📖 ثم يأتي الفكر ثانية، بأن اصنع الضيافة لكي اظهر كريماً في اعيين الآخرين. ولكن هذا الفكر بدوره انقطع، عندما جاء فكر أفضل، الذي يقودني لممارسة هذه الفضيلة من اجل الله، وليس من اجل اكتساب كرامة من الناس.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ ترجمة وإعداد ـ الراهب أغاثون الأنطوني ـ صفحة ٤٠

٧ـ لقد تعلمنا، بعد الكثير من الملاحظة: كيف ندرك الفرق بين الأفكار الملائكية، والأفكار البشرية والأفكار التي تأتي من الشياطين

📖 التفكير الملائكي يهتم بالطبيعة الحقيقية للأشياء، مع البحث عن جوهرها الروحي، على سبيل المثال: لماذا خلق الذهب، ونثر في المناطق السفلي من الأرض، مثل الرمل؟ لكي يكتشف فقط بعد كثير

من الجهد والعناء؟ وكيف، عندما يعثر عليه، يغسل بالماء، ثم يعهد به الى النار، وعندئذ يوضع في ايدي رجال ماهرين، الذين يشكلونه الى منارة خيمة الاجتماع، والمجامر، والأواني، خر {٢٥: ٢٢-٢٩}، 📖 التي بنعمة مخلصنا لن يشرب فيها ملك بابل مرة أخرى {يشير هنا إلى حادثة تدنيس ملك بابل لأواني الهيكل الذهبية، بشربه الخمر فيها، والمعني هنا روحي رمزي} {دا ٥: ٢٣}؟ رجل مثل كليوباس يأتي بقلب ملتهب، بمثل هذه الأسرار {لو٢٦:٢٢}.

📖 **ومن ناحية أخرى، فإن الفكر الشيطاني:** سواء يعرف، أو لا يستطيع ان يعرف مثل هذه الأشياء، فإنه يستطيع فقط أن يقترح وبلا خجل تملك الذهب المادي، ناظرا الى الثروة، والمجد اللذان يأتيان من هذا.

📖 **وأخيرا التفكير البشري:** لا يسعى لتملك الذهب، ولا يهتم ليعرف الى ماذا يرمز، ولكن يحضر أمام العقل صورة الذهب ببساطة، بدون شهوة، أو طمع. ونفس هذه الأسس، تنطبق على بقية الأشياء أيضاً.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ ترجمة وإعداد ـ الراهب أغاثون الأنطوني ـ صفحة ٤٠

📖 **٥-** إذا سقط الإنسان واصطدم بحجر يفقد شعوره ويكون كالميت تماما. لذلك أيضاً أعمى العقل يكون تماما كمن يفقد بصر عيني جسده. لأن الذي يقع فاقد الشعور يحرم من القوة المعطية الحياة، وكل من يكون عقله أعمى يحرم من النور الإلهي، الذي به يستطيع أن يرى، وأن يرى.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ ترجمة وإعداد ـ الراهب أغاثون الأنطوني ـ صفحة ٤٠



القديس مرقس الناسك

📖 **١٧-** بالتفكير في الأعمال الشريرة يتقسى القلب، ولكن تحطيم الشر، من خلال ضبط النفس، والرجاء، يكسر {الشر الموجود} القلب.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٠٧

📖 **١٨-** يوجد انكسار نبيل للقلب {المتواضع}، يجعله يندم، ويتوب بعمق. ويوجد انكسار عنيف، وضار، {للقلب المتكبر} يحطمه تماما.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٠٧

📖 **١٩-** السهر، والصلاة، وقبول كل ما يأتي علينا بصبر، يؤلفون انكسارا لا يضر، ولكن ينفع القلب، بشرط إلا نحطم التوازن بينهم بالمغالاة. من يثابر فيهم سوف يعان بطرق أخرى أيضاً، ولكن من كان متكاسلا ومهملا، فسوف يعاني بطريقة لا تحتمل عند تركه هذه الحياة.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٠٧

📖 **٢٠ -** القلب المتساهل مع نفسه، يصبح سجنا، وسلاسل للنفس، عندما تترك هذه الحياة، بينما القلب المجتهد فهو باب مفتوح.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٠٧

📖 **٢٨-** بالضبط كما يتجسم الفكر من خلال الأعمال والكلمات؛ كذلك يكافأ مستقبلنا من خلال دوافع القلب.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٠٨

📖 **٢٩-** وهكذا فإن القلب الرحيم سوف ينال نعمة، بينما القلب الذي بلا رحمة سوف ينال العكس.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٠٨

📖 **٨٩-** لا تستهن أبدا بخطورة أفكارك، لأن واحدا منها لا يهرب من مراقبة الله.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في الناموس الوحي - القديس مرقس الناسك - صفحة ١١٣

📖 **٩٠-** إذا لاحظت إن فكرا ما، يوحي لك أن تبحث عن الشهرة البشرية، فيمكن أن تتأكد إنه سيجلب لك الخزي.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في الناموس الوحي - القديس مرقس الناسك - صفحة ١١٣

📖 **١١٠-** كما خصص الله لكل شيء منظور ما هو مناسب، كذلك فعل أيضاً للأفكار البشرية سواء كنا نريد ذلك أم لا.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في الناموس الوحي - القديس مرقس الناسك - صفحة ١١٥

{٢٦}

أغناطيوس بريانتشانينوف

الفصل التاسع والأربعون

في حفظ عين النفس من كل ما يؤذيها

📖 لقد قال مخلص العالم: "العين هي سراج الجسد".

📖 والسراج هو: "القوة الروحية في النفس البشرية".

📖 أما الجسد فيرمز إلى كل نشاط الإنسان، مع نوعية حياته التي تتشكل وتعتمد على نشاط الجسد.

📖 وكلمات الرسول التالية تحمل معنى مشابهاً لكلمات السيد: «وإله السلام نفسه يقدسكم بالتمام، ولتحفظ روحكم، ونفسكم، وجسدكم، كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح» {١تس٥:٢٣}.

📖 الروح يذكر أولاً، وذلك لأن سلامة وكمال النفس والجسد، يعتمدان على الروح. الروح، أو قوة النطق هي أسمى ملكات النفس البشرية. وهي التي تميز نفس الإنسان، عن نفس الحيوان العجماء، التي ليس

عندها ملكات الإنسان. {القديس مكاريوس الكبير - العظة ٨٠٧}. ويقول: «الذهن هو عين النفس» {١ بطرس٢:٢}، {رومية١٢:١}.

📖 فإذا كانت عينك نقية، أي عندما تكون القوة الروحية بمنأى عن الخطيئة، وصداقة إبليس، عندها يكون جسدك كله نيرا، أي، يكون نشاطك صحيحا، وتكون نوعيته مقدسة.

📖 أما إذا كانت عينك شريرة، فجسدك يكون مظلما. فانظر إلا يكون نورك الداخلي ظلاما {لوقا ٣٥-١١:٣٦}. وانظر إلا تكون روحك التي هي نورك الطبيعي، ونبع النور في حياتك مظلمة، لا بل نبع ظلام.

📖 وهذه العين تصبح شريرة، بفعل قبول النفاق والكذب.

📖 أما ثمرة هذا القبول، فهي النشاط الفاسد. وتكون نوعية الحياة حالة من الإثمية والضلال. والذهن ينفسد عندما يقبل الأفكار الشريرة.

تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف - صفحة ٣١١

📖 ويفقد الضمير مصداقيته، وكل أحاسيس القلب الروحية تمرض، من جراء الإثمية والانحراف. ويصبح الإنسان عديم النفس، وعدوا لخلاصه، وقاتل نفسه، وعدوا لله. والكتاب المقدس، لا بل الروح القدس الناطق في الكتاب المقدس، يقول الكلمات التالية ضد هؤلاء: "أناس فاسدة أذهانهم، ومن جهة الإيمان مرفوضون".

📖 يستحيل على الإنسان أن يحوز الإيمان، إذا كان ذهنه فاسدا. فمكانة الإيمان في مثل هذا الإنسان، يحتلها عقل مزيف، وكرازة الصليب عنده عرضة للفضيحة، أو الهزء، كما الحال بالنسبة لليهود في زمن يسوع المسيح {١ كور١:١٨}.

📖 وفساد الذهن يسير يدا بيد، مع فساد سائر الملكات الروحية الأخرى. فساد الذهن والروح يتشابهان. وقبول التعليم الخاطئ، أو الأفكار الخاطئة، عن الله، وذلك بفعل تشويه التعليم الأخلاقي

والعقائدي، الذي أعلنه الله، وذلك من خلال تعليم منحرف، من شأنه أن يؤدي إلى فساد روح الإنسان، فيصبح الإنسان ابنا لإبليس {يو ٨:٤٤}.

📖 حتى إن محاكاة الأفكار ذات الصلة بالشيطان، والاتصال بها ولو بدون قبولها، أو تمثلها، لا بل مجرد التأمل بالأفكار والخيالات التي يوحي بها الشيطان، من شأنها أن تجرح عين النفس، وتفقد قوتها البصرية، إلى حد ما، وهذا مرهون بمقدار الصداقة مع إبليس.

📖 يقول القديس ايسيخيوس الأورشليمي: «وكما إننا نجرح عيوننا الحسية عندما ننظر إلى ما يؤذي، هكذا فإننا نجرح أنفسنا، عندما ننظر بأذهاننا إلى ما هو مؤذ» {في الرصانة واليقظة، الفصل ٧٧}.

📖 لذا ينبغي أن نتيقظ لجهة حماية عين النفس، ونتنبه كي نحول دون أثخنها بالجراح، وذلك لئلا تصبح حالتها المريضة سببا لهلاكنا الروحي. ومثال على كيف أن العين المتلفة يمكنها أن تحدث تأثيرا مؤذيا على خلاصنا، نسوقه مما عايناه في الخبرة.

تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٣١٢

📖 بعض الناس الذين كانوا يقرأون الروايات، والقصص الغرامية، فإن أذهانهم وقلوبهم كانت تتناغم تبعا لذلك. وفيما بعد، طرأ تعديل على سيرتهم، أو برز دافع داخلي، أو رحمة، أو محبة من الله، فقرر هؤلاء الناس أن يعيشوا حياة فاضلة.

📖 وهكذا اتضح التأثير المدمر من جراء مطالعاتهم السابقة. والعادة في أن يألفوا المتع الحسية، أبعدتهم عن الإحساس بالتوبة، فأدخل ذلك على سيرتهم الروحية، بهجة بالحسيات ممقوتة من الله، وهذا من شأنه أن يجعل ارتقاء النفس إلى الروح القدس مستحيلا، بل ممكناً للشيطان التي أصبحت النفس مسكنا له.

📖 ويلاحظ هذا بوضوح خاص في نسل حواء.

📖 فاللواتي سبق أن طالعن الروايات، والقصص الغرامية، ومن ثم عكفنا على التقوى، لا بل على النسك، فإنهن يبغين أن تكون سيرتهن الجديدة رومنطيقية. ويبتغين أيضاً أن يكن محبات روحا.

📖 فهن يردن ذلك لأن إرادتهن قد سبق لها أن انجرحت بسوء الاستعمال، لذا فهي تجتذبهن إلى الحسيات التي جعلنها ملكا لهن. أما ذهنهن الضعيف، والمظلم، والفاسد، فقد أطبقت عليه الأفكار التي تلقفتها بفعل المطالعة، فلم يعد لهذا الذهن لا القوة، ولا القدرة، كي يقود مشيئتهن، ويكبح ميولها الخاطئة.

📖 والذين غرقوا في مطالعة هذه الروايات، ينزعون إلى الانخداع، والضلال الشيطاني. ولما سبق لهم أن اقتنوا تذوق الملذات الحسية، فإن هذه الملذات من شأنها أن تفعل فيهم، لا على نحو فظ فحسب، بل أيضاً على نحو معقول، وناعم، وخبيث، لا يفهمه، ولا يلاحظه، من لم يلق عن كاهله نير الأهواء بعد.

📖 والراهب الذي لا يعرف الحكمة والتمييز، المطلوبين أثناء حياته في العالم، فإنه وبدافع الحشرية الطائشة، يطالع كتبا وضعت ضد الإيمان المسيحي، وبهذا يخضع نفسه إلى صور شريرة ما تزال حية فيه. وعندما دخل الدير ووضع على عاتقه القانون الرهباني،

تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٣١٣

📖 فإن الصور التي سبق أن تلقاها في العالم، بدأت تظهر في نفسه، عبر أفكار الشك، والارتياب، والتجديف. وهذا يظهر أن عين نفسه قد سبق أن ضربها العمى بفعل الاتصال بالأفكار التي من الشيطان.

📖 وقال الرسول بولس: «أنتم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم. إن كان أحد يفسد هيكل الله، فسيفسده الله، لأن هيكل الله مقدس وهو أنتم» {١ كور ٣:١٩-١٧}.

ومع أن أجسادنا هي هيكل الله، إلا أن قوة الصلاة، مع الروح، والذهن، والقلب، تؤلف أيضاً هيكل الله. وكلمة «قلب» تعني الأحاسيس، والمشاعر، وانفعالات الروح.

وعندما يصبح الذهن والقلب مسكنا لله، عندئذ فإن النفس والجسد، وعلى نحو طبيعي يصبحان مسكنا لله، وذلك لأنهما يعتمدان على الذهن والقلب.

وعندما يسقط الجسد في الشهوة الحسية، فإن هيكل الله ينفسد ويتهشم. وعندما يدخل الذهن والقلب، في اتصال شهواني مع الشيطان، بفعل الأفكار الشريرة، والأحاسيس، والمشاعر، والانفعال، ينفسد هيكل الله وينهار.

وعبارة «يفسده الله» تعني" أن الله سينسحب ممن أفسد هيكل الله فيه، وجعله غير صالح لسكنى الله فيه. أما نتائج الانسحاب الإلهي فهي معروفة جيدا: موت النفس الذي يبدأ في الزمن، والدفن في غياهب الجحيم في الأبدية. {لوقا١٩:٢٢- ٢٣}، فمثل هذا الإنسان دفن في الجحيم.

وروح الإنسان تنفسد، وتبتلى بالعمى والظلمة، كما سبق وقلنا، وذلك عندما يقبل الإنسان التعليم الفاسد، الآتي من الشيطان والعالم، والمعاكس لما هو تعليم موحى به إلها، أعني به تعليم المسيح، وتعليم الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة.

ودونكم التعاليم الفاسدة: التعليم الذي ينكر وجود الله {الإلحاد}، وأيضا ينكر المسيح والمسيحية، رغم إقراره بوجود الله، إلا أنه ينكر التدخل والحوار بين الله والإنسان.

تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٣١٤



📖 وذلك التعليم الذي لا ينكر المسيحية توا، إلا أنه يشوهها بفعل تعاليم تجديفيه بشرية تعسفية، من شأنها أن تدك جوهر المسيحية، كما هو الحال مع كل الهرطقات.

📖 كذلك التعاليم التي ترفض أفعال الإيمان، أو الأخلاق، والتقليد الكنسي الكتابي، وتقبل النشاط الوثني، وبذلك تفسد الإيمان، وتدك جوهر المسيحية.

📖 هكذا هو التقدم المعاصر في أغلب الأحوال، والمادية الدياليكتيكية الجدلية، أو الازدهار، والبحبوحة، والتقدم في مفاسد الأخلاق، وفي الجهل الكامل لما هي المسيحية، وبالتالي في قطيعة تامة، واغتراب عن الله. وهيكل الله في النهاية لا ينفسد ويدمر، إنما يتلوث.

📖 أما عين النفس، فلا تبتلى بالعمى الكامل، بل تنجرح وتتلقى - أكثر أو أقل – جراحا خطيرة، عندما يطالع الراهب كتابا هرطوقيا، أو كتابا مفسدا للأخلاق، ويتردد على أوساط غير متدينة، وغير أخلاقية، ويعرض نفسه لتأثير التجارب والفخاخ، وذلك عندما ينجذب إلى الأفكار الشريرة ويستلذها، وعندما يجيز لنفسه التلهي، والتشتت بعادة دنيوية، كالألعاب، وكل أشكال التسلية.

📖 وإذا تعلق الراهب بهذه كلها، وبرر شططه بدل أن يقر به ويتوب عنه، فإنه يسقط في كارثة روحية، هي الأكثر فداحة. فهو يجرح جوهر وجوده، أعني بذلك قوة الصلاة، والروح، والذهن، والقلب.

📖 لذا علينا أن نحرس عين النفس، ونواظب على هذه الحراسة، فكل ما نقوم به خارج تعاليم الإنجيل، وكل ما لا يتفق والناموس الإلهي، من شأنه أن يحدث تأثيرا ضارا بنا.

📖 حتى أن التفكير، الكلام، أو العمل الصالح منه والرديء، من شأنها جميعا أن تترك فينا طابقا مماثلا، أو علامة، أو أثر.

📖 علينا أن نعرف ذلك بالكامل، ونفهمه حق الفهم {غلا٦: ٦ ـ ٩}

تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٣١٥

{٢٧}

القديس مرقس الناسك

📖 **١٦٧ـ** كلما تحول الفكر عن الاهتمامات الجسدية، كلما رأى بوضوح دهاء العدو.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٢٠

📖 **١٦٨ـ** الإنسان الذي ينجرف بواسطة أفكاره قد أعمي بهم.

📖 وبينما يستطيع أن يرى العمل الفعلي للخطية، فهو لا يستطيع أن يرى مسبباتها.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٢٠

📖 **١٦٩ـ** من الممكن أن يحدث إن إنسان ما، يمكن أن يكون في الظاهر متمما وصية، ولكن في الواقع يخدم شهوة، ومن خلال الأفكار الشريرة يدمر صلاح العمل.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٢٠

📖 **١٧٧ـ** الى أن تستأصل الشر، لا تطع قلبك، لأنه سوف يبحث عن المزيد مما يحويه بالفعل في داخله.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٢٠

📖 **182-** الصور التي تأسست بالفعل في فكرنا، هي أكثر إيذائاً وعنادا، من التي تظهر عندما نفكر، الأخيرة تسبق الأولى، وهي سببها.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٢١





183- نوع من الشرور يسكن في القلب، من خلال انشغال الذهن {بها} لمدة طويلة، ونوع آخر يهاجم أفكارنا بواسطة الأشياء اليومية.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٢١

184- الله يحكم على عملنا طبقا لنيتنا، لأنه قد قيل أن الله سوف «يعطيك حسب قلبك»

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٢١

٥٥- إنسان جاءه فكر فقبله بدون امتحان.

وآخر جاءه فكر فاختبر حقيقته. فمن منهم تصرف بوقار أكثر؟

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٢٨

٥١- عندما ينسى الفكر الهدف من العبادة الحقيقية، حينئذ أعمال الفضيلة الخارجية تكون بغير فائدة.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٢٨

٧٣- عندما ينحرف قلبنا عن الطريق النسكي، بسبب بعض اللذات الحسية، يصبح من الصعب السيطرة عليه {فينحدر أكثر للملذات}، مثل حجر ثقيل تزحزح على أرض شديدة الانحدار.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٣٠

٧٦- مثل عجل صغير، الذي في بحثه عن العشب، يجد نفسه على لسان جبلي محاط بالمنحدرات الخطرة، كذلك النفس تنقاد للضلال بالتدريج من خلال أفكارها.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٣٠

٧٥- عندما ينمو الفكر الى تمام نضجه في الرب، فإنه ينتزع النفس من الانشغال الطويل المستمر {بالأفكار ـ سواء الخاطئة ـ أو المحايدة}، ويعاني القلب من العذاب، كأنه مشدود على الهنبازين، حيث أن كل من الفكر، والشهوة، يشده في اتجاهين متضادين.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٣٠



📖 **٨٦-** يوجد لدينا حب لأسباب الأفكار اللاإرادية، ولهذا السبب تأتي. وفي حالة الأفكار الإرادية، فنحن نملك بوضوح حباً ليس فقط للأسباب، ولكن أيضاً للموضوعات التي تخصهم.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٣١

📖 **٨٩-** عندما يتسكع فكرا ما في داخل إنسان، فهذا يظهر التصاقه به، ولكن عندما يتحطم سريعا، فهذا يشير الى مقاومته، وعداوته له.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٣١

📖 **٩٠-** الفكر يتبدل في ثلاث حالات ذهنية مختلفة من واحد إلى آخر، وهي: طبقا للطبيعة ـ فوق الطبيعة ـ وضد الطبيعة.

📖 عندما يدخل حالة طبقا للطبيعة: فهو يكتشف إنه هو نفسه سبب الأفكار الشريرة، ويعترف بخطاياه لله، فاهما بوضوح أسباب الشهوات.

📖 وعندما يكون في حالة ضد الطبيعة: فهو ينسى عدل الله، ويتصارع مع الناس، معتقدا في ذاته بإنه عومل بغير عدل.

📖 ولكن عندما يرتقي الى حالة فوق الطبيعة: فإنه يجد ثمار الروح القدس: "محبة، فرح، سلام"، والثمار الأخرى التي يتحدث عنها الرسول {ق.م. غلى ٥: ٢٢}، وهو يعرف إنه إذا أعطى أولوية للاهتمامات الجسدية، فلن يستطيع أن يبقى في هذه الحالة.

📖 إن الفكر الذي يبتعد عن هذه الحالة، يسقط في الخطيئة، وكل النتائج الرهيبة التي للخطية، إن لم يكن عاجلا، ففي الوقت المناسب إذا، حسب ما ستقرره عدالة الله.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٣١

📖 **١٢٠-** عندما تنشط الأفكار الشريرة في داخلنا، فيجب علينا أن نلوم أنفسنا، وليست الخطيئة الجدية.

📖 ١٢١- جذور الأفكار الشريرة هي الرذائل الواضحة، التي نحاول باستمرار أن نبررها في أقوالنا وأفعالنا.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٣٤

📖 ١٦٣- لا تسأل كيف يمكن أن يتساهل فقيرا مع نفسه، بينما تنقصه الوسائل المادية، لأنه من الممكن أن يكون متساهلا مع نفسه، بطريقة حتى أكثر دناءة من خلال أفكاره.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٣٥

📖 ١٨٩- الله الذي يرى كل شيء، يكافئ كل شيء بما يناسب قيمته، ليست فقط أفعالنا {الظاهرة فقط}، ولكن أفكارنا الإرادية وأهدافنا.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٤١

📖 ١٩٠- الأفكار اللاإرادية تثار من الخطيئة السابقة.

📖 والإرادية من إرادتنا الحرة. وهكذا فأن الأخيرة سبب الأولى.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٤١

📖 ١٩١- الأفكار الشريرة التي تثار ضد إرادتنا، هي مصحوبة بندامة، وبذلك تختفي سريعا، ولكن عندما يتم اختيارها بحرية، فإنها تكون مصحوبة بلذة، وعلى ذلك يصعب التخلص منها.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٤١

📖 ٢٠٧- إذا كنت لا تريد أن ينشط الفكر الشرير في داخلك، فقبل تواضع الروح، ومحن الجسد؛ وهذا ليس فقط في مناسبات معينة، ولكن دائما، في كل مكان، وفي كل الأشياء.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٤٣

📖 ٢٠٨- من يقبل برضا التأديب بالمحن، لا تسيطر عليه أفكار الشر رغما عنه، من لا يقبل المحن يؤسر بالأفكار الشريرة، حتى ولو قاومهم.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٤٣

{٢٧}

القديس ديادوخوس الناسك

📖 ٢٤- كما إن حواس الجسد تدفعنا تقريبا بقسوة تجاه ما يجذبهم {من شهوات}، كذلك قوة إدراك الفكر، متى تذوقت الصلاح الإلهي، فهي تقودنا الى البركات الغير مرئية.

📖 كل شيء يشتاق الى شبيهه، النفس من حيث إنها غير متجسدة، فهي ترغب في السمائيات، بينما الجسد، لكونه تراب، فهو يبحث عن الغذاء الأرضي. لذلك فإننا سوف نأتي بالتأكيد الى اختبار الإدراك اللامادي، إذا نقينا بأتعابنا طبيعتنا المادية.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - القديس ديادوخوس الناسك - صفحة ٢٥٢

📖 ٢٥- متى استيقظت فينا المعرفة الإلهية، فهي تعلمنا أن ملكة الإدراك العقلي التي توجد في النفس بالطبيعة هي واحدة، ولكنها انقسمت في فعاليتها الى نمطين متمايزين، كنتيجة لمعصية آدم.

📖 إن ملكة الإدراك البسيطة الواحدة {غير المنقسمة بين الله والعالم}، تُزرع في النفس بواسطة {عمل} الروح القدس، ولكن لا يستطيع أحد أن يُدرك هذه الوحدة التي للإدراك، سوى أولئك الذين قد هجروا طواعية مباهج هذه الحياة القابلة للفساد، على رجاء التمتع بتلك التي في الأبدية، ومن جعلوا كل تلذذ للحواس الجسدية يذبل من خلال ضبط النفس.

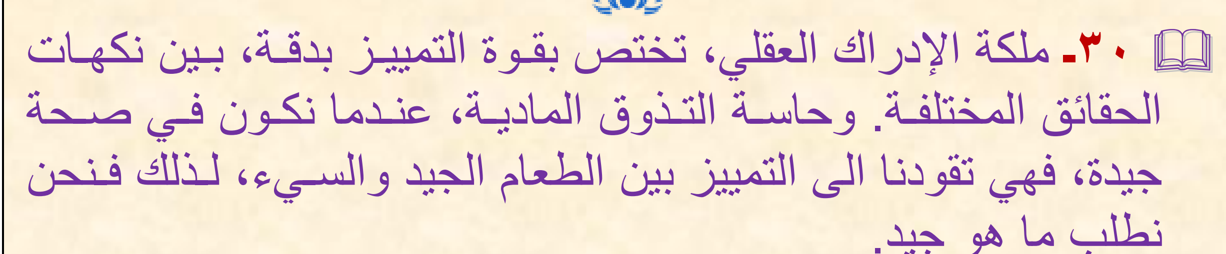
كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - القديس ديادوخوس الناسك - صفحة ٢٥٢



وفقط في مثل هؤلاء الناس يعمل الفكر {المقدس} بكل نشاط، وذلك بسبب تحرره من الاهتمامات العالمية، حتى إنه يكون قادراً على إدراك صلاح الله بطريقة لا توصف.

حينئذ، وبالتناسب مع تقدمه، فإن الفكر يوصل فرحه الى الجسد أيضاً، مبتهجا بلا إنقطاع في ترنيمة الحب والتسبيح: «وثق قلبي فيه، وقد ساعدني، جسدي أزدهر ثانية، وبكل كياني سوف أرنم بحمده» (مز ٢٨ :٧س). إن الفرح الذي يملأ عندئذ كل من النفس والجسد، هو استدعاء حقيقي للحياة عديمة الفساد.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ القديس ديادوخوس الناسك ـ صفحة ٢٥٣



٣٠ـ ملكة الإدراك العقلي، تختص بقوة التمييز بدقة، بين نكهات الحقائق المختلفة. وحاسة التذوق المادية، عندما نكون في صحة جيدة، فهي تقودنا الى التمييز بين الطعام الجيد والسيء، لذلك فنحن نطلب ما هو جيد.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ القديس ديادوخوس الناسك ـ صفحة ٢٥٤

بالمثل فإن فكرنا عندما يبدأ في العمل بنشاط، وبانفصال تام {عن أمور العالم}، يكون قادرا على قبول ثروة نعمة الله، ولا يُضلل أبدا بأي خداع من النعمة، التي تأتى من الشيطان.

مثل أن الجسد عندما يتذوق الأطعمة اللذيذة التي لهذه الأرض، يعرف بالخبرة ماذا يكون كل شيء بالضبط، كذلك الفكر عندما يكون قد انتصر على أفكار الجسد، يعرف بالتأكيد متى يتذوق نعمة الروح القدس، لأنه مكتوب: "ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب" (مز ٣٤:٨).

إن الفكر يحتفظ بذكرى هذا التذوق {الروحي} حياً، من خلال طاقة الحب {في القلب}، وعلى ذلك يختار بطريقة سديدة ما هو أفضل.

كما قال القديس بولس: هذا أصليه أن تزداد محبتكم أيضاً أكثر فأكثر، في المعرفة، وفى كل فهم، حتى تميزوا الأمور المتخالفة {فى١: ٩ ـ ١٠}.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ القديس ديادوخوس الناسك ـ صفحة ٢٥٥

{٢٨}

القديس مكسيموس المعترف

📖 **٢٣ـ** الفكر النقي: هو الذي انفصل عن الجهل، واستنار بالنور الإلهي.

📖 **٢٤ـ** النفس النقية: هي التي تحررت من الشهوات، وتبتهج باستمرار بالحب الإلهي.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس مكسيموس المعترف ـ صفحة ٥٣

📖 **٩٥ـ** عندما تشرق الشمس وتلقى بضوئها على العالم. فإنها تكشف عن كل من نفسها، والأشياء التي تنيرها، بالمثل عندما يُشرق شمس البر في العقل الطاهر، فإنه يكشف عن كل من نفسه، والمبادئ الداخلية لكل ما هو موجود، وما سوف يأتي إلى الوجود بواسطته.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس مكسيموس المعترف ـ المئوية الأولي ـ صفحة ٦١

📖 **٩٧ـ** العقل الطاهر مشغول إما بالصور الفكرية الخالية من الشهوة للشئون البشرية، أو بالتأمل الطبيعي للأشياء المرئية أو الغير مرئية، أو بنور الثالوث القدوس.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس مكسيموس المعترف ـ المئوية الأولي ـ صفحة ٦١

📖 **٩٨ـ** عندما ينشغل الفكر في تأمل الأشياء المرئية، فإنه يبحث إما عن المبادئ الطبيعية لتلك الأشياء، أو عن المبادئ الروحية التي تعكسها، أو بطريقة أخرى يبحث عن سببهم الأصلي.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس مكسيموس المعترف ـ المئوية الأولي ـ صفحة ٦١

📖 **٩٩-** عندما يستغرق الفكر في التأمل في الأشياء الغير مرئية، فإنه يبحث عن مبادئهم الطبيعية، وعن سبب نشوئهم، وأي شيء ينتج من ذلك. وبالمثل عن الأمر، والحكم الإلهي الذي يتعلق بهم.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الأولي - صفحة ٦١

📖 **١٠٠-** متى تأسس الفكر في الله، فإنه يشتاق بحماس أولاً لاكتشاف جوهره. لكن طبيعة الله الداخلية لا تخضع لمثل هذا البحث، التي هي حقاً أعلى من قدرة كل شيء مخلوق.

📖 الخواص التي تنتمي لطبيعته، هي على أيه حال، ممكنه لاشتياق الفكر أعنى: "صفات - الأزلية - الأبدية - عدم المحدودية الصلاح - الحكمة - والقدرة على الخلق - حفظ وحكم المخلوقات - ومن كل هذه فقط. الأبدية يمكن أن تفهم تماماً وحقيقة عدم معرفة شيء، هي معرفة تفوق الفكر، كما قال اللاهوتيان غريغوريوس النزينزي، وديونيسيوس.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الأولي - صفحة ٦٢

📖 **٢-** الفكر الذي يعبث مع شيئاً ما حسي، من الواضح إنه متعلق بشهوة ما، مثل: الرغبة - السخط - الغضب - أو الحقد. وإذا لم يصبح منفصلاً عن هذا الشيء، فلن يكون قادراً على أن يحرر نفسه من الشهوة التي تؤثر فيه.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الثانية - صفحة ٦٢

📖 **٢٠-** هؤلاء الذين يحاولون دائماً أن يلقون قبضتهم على نفوسنا، يفعلون ذلك بواسطة الأفكار الملتهبة، حتى أنه بذلك يمكن أن يقودونها إلى الخطية، إما في العقل أو في الفعل.

📖 وبالتالي عندما يجدون الفكر غير مستعد لتقبل شيء من ذلك، فسوف يخزون ويخجلون، وعندما يجدون أن الفكر مشغولاً بالتأمل الروحي، فسوف يعودون ويخزون بغتة (مز٦ :١٠)

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الثانية - صفحة ٦٥

📖 **٢٠-** من يكرس فكره للنضال الروحي، ويطرد كل الأفكار الملتهبة منه، له صفة الشماس. من يُنير فكره بالمعرفة الخاصة بالأشياء المخلوقة، ويحطم بالكامل المعرفة الزائفة، له صفة القس. ومن يكمل فكره بالمر المقدس الذي لمعرفة وعبادة الثالوث القدوس، له صفة الأسقف.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الثانية - صفحة ٦٥

📖 **٣٢-** النفس لها ثلاث قوى:

📖 أولاً: قوة التغذية والنمو.

📖 ثانياً: التي للتخيل، والغريزة.

📖 ثالثاً، التي للعقل والفكر.

📖 النباتات تشترك فقط في (القوة) الأولى من هذه القوى. الحيوانات تشترك في الأولى والثانية. البشر يشتركون في كل الثلاثة.

📖 القوتان الأوليتان قابلتان للفناء، والثالثة من الواضح إنها غير قابلة للفناء وخالدة.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الثالثة - صفحة ٨٥

📖 **٣٩-** الحب، وضبط النفس، يحفظان الفكر غير متأثراً في مواجهة كل من الأشياء، والصور العقلية، التي تشكلها منهم.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الثالثة - صفحة ٨٦

📖 **٤٠-** فكر الإنسان الذي يتمتع بحب الله، لا يحارب ضد الأشياء، أو ضد الصور العقلية التي لهم. إنه يقاتل ضد الشهوات التي ترتبط بهذه الصور. إنه لا يحارب على سبيل المثال، ضد امرأة، أو ضد إنسان أساء إليه، أو حتى ضد الصور التي تتشكل منهم، ولكنه يحارب ضد الشهوات التي ترتبط بالصور (التي تسبب الأفكار الملتهبة).

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الثالثة - صفحة ٨٦

📖 ٤١- كل الغرض من حرب الراهب ضد الشياطين، هو فصل الشهوات عن الصور العقلية، وإلا لن يكون قادراً على النظر إلى الأشياء بطريقة تخلو من الأهواء.
الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الثالثة - صفحة ٨٦

📖 ٤٢- الشيء - والصورة العقلية - والشهوة - كلهم مختلفين تماماً عن بعضهم البعض. على سبيل المثال: رجل - امرأة - ذهب - وهلم جرا، هم أشياء. الصورة العقلية هي فكر خال من الشهوة، في واحد من هذه الأشياء. الشهوة هي ميل طائش، أو كراهية غير مميزة لواحد من هذه الأشياء. معركة الراهب بناء على ذلك هي ضد الشهوة.
الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الثالثة - صفحة ٨٧

📖 ٤٣- الصورة العقلية الملتهبة، هي: فكرة مركبة من الشهوة، وصورة عقلية. إذا فصلنا الشهوة من الصورة العقلية، فلن يتبقى سوى فكرة خالية من الشهوة، نستطيع أن نصنع هذا الفصل بواسطة الحب الروحي، وضبط النفس. إذا كنا نملك فقط الإرادة.
الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الثالثة - صفحة ٨٧

📖 ٤٤- الفضائل تفصل الفكر عن الشهوات.

📖 والتأمل الروحي يفصله عن الصور العقلية، الخالية من الشهوة التي للأشياء. الصلاة النقية تأتى به إلى حضرة الله نفسه.
الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الثالثة - صفحة ٨٧

📖 ٦٧- كما أن الفكرة الخالية من الشهوة في الأشياء البشرية، لا تُلزم الفكر بأن يحتقر الأشياء المقدسة، كذلك المعرفة الخالية من الشهوة التي للأشياء المقدسة، لا تقنعه بالكامل لكي يحتقر الأشياء البشرية.

📖 لأن في هذا العالم الحق يوجد في الظلال والتخمينات. هذا الذي لأجله هناك حاجة للشهوة المباركة التي للحب المقدس، الذي يربط الفكر بالتأمل الروحي، ويقنعه بأن يُفضل ما {هو} غير مادي، على ما

هو مادي، وما هو مدرك بواسطة العقل، وما هو مقدس، على ما يدرك بالحواس.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الثالثة - صفحة ٩١



٧٢- الله خلق كل من العالمين، الغير مرئي، والمرئي.

وكذلك فمن الواضح أيضاً إنه صنع كل من النفس والجسد.

وإذا كان العالم المرئي جميلاً جداً، فما يمكن أن يكون العالم الغير مرئي؟ وإذا كان العالم الغير مرئي أسمي من العالم المرئي، فكم بالأكثر يكون أسمى عن كل منهما الله خالقهم؟ إذا كان خالق كل شيء الذي هو أجمل وأسمى من كل خليقته، فحينئذ على أي أساس يترك الفكر ما هو أسمى من الكل، ويشغل نفسه بالكامل بما هو أسوأ الكل - أعنى شهوات الجسد؟

من الواضح إن هذا يحدث لأن الفكر قد عاش مع هذه الشهوات، ونما معتاداً عليهم منذ الولادة، في حين إنه لم يقتنى بعد الخبرة الكاملة، عن الذي هو أسمى من الكل، وفوق كل الأشياء.

وهكذا: إذا فطمنا الفكر من هذه العلاقة، بالممارسة الطويلة لضبط انهماكنا في الملذات، وبالتأمل المستمر في الحقائق الإلهية، فإن الفكر سوف يكرس نفسه بالتدريج أكثر فأكثر لهذه الحقائق، وسوف يدرك كرامته، ويحول كل رغباته للإلهي بصورة نهائية.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الثالثة - صفحة ٩٢

٧٨- أن تتحرر من الأفكار الخاطئة شيء، وأن تتحرر من الشهوات شيء آخر. كثيراً ما يتحرر الإنسان من مثل هذه الأفكار عندما تكون الأشياء التي تثير شهوته غير موجودة، ولكن الشهوة تكمن مختفية في النفس، وتنكشف عندما تكون هذه الأشياء نفسها موجودة، ومن ثم يجب على المرء حراسة الفكر في وجود الأشياء، ويجب أن يُميز أي منهم يُظهر الشهوة.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الثالثة - صفحة ٩٣

🕮 **٨٨-** أن تحارب ضد فكراً خالياً من الشهوة، لكيلا يستثير شهوة {داخل القلب} هو شيء. وأن تحارب ضد فكراً ملتهباً {يستثر القلب فعلاً} لكيلا يتم قبوله هو شيء آخر. كل من هذين الشكلين من الهجوم المضاد، يمنعان الأفكار أنفسها من الاستمرار.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس مكسيموس المعترف ـ المئوية الثالثة ـ صفحة ٩٥

🕮 **٩٢-** إن فكرنا يقع بين ملاك وشيطان، الذي يعمل كل منهما على إنجاز عمله، واحد يُشجع على الفضيلة، والآخر على الرزيلة. الفكر له كل من السلطة والقوة، لكي يتبع أو يقاوم مهما كان ما يرغب فيه.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس مكسيموس المعترف ـ المئوية الثالثة ـ صفحة ٩٥

🕮 **٤٥-** الفكر يعمل بما يتوافق مع الطبيعة، عندما يُبقى الشهوات تحت السيطرة، ويتأمل في الجواهر (الجواهر جمع جوهر - م.) الداخلية للكائنات المخلوقة، ويثبت في الله.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس مكسيموس المعترف ـ المئوية الرابعة ـ صفحة ١٠٢

🕮 **٣٢-** عندما ينهض كلمة الله فينا، من خلال ممارستنا الفضائل، ومن خلال التأمل، فإنه يسحب كل الأشياء لنفسه (ق.م. يو١٢: ٣٢).

🕮 فإنه يقدس أفكارنا، وكلماتنا عن الجسد والنفس، وطبيعة الأشياء بالفضيلة، والمعرفة الروحية. إنه يقدس أيضاً أعضاء أجسادنا وحواسنا، ويضعهم كلهم تحت نيره.

🕮 لذا دع رائي الأشياء الإلهية {العقل}، يرتفع بحماس في البحث عن اللوغوس، حتى يصل إلى المكان الذي هو به. لأن كما قال الجامعة: "يسرع إلى مكانه" (ق.م. جا١ :٥). بكل هؤلاء الذين يتبعونه، كرئيس كهنة عظيم يأتي بهم إلى قدس الأقداس، حيث يوجد هو نفسه الذي أصبح مثلنا، وقد دخل كسابق لنا (ق.م. عب ٦: ٢٠).

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس مكسيموس المعترف ـ مئتا نص كُتبَتْ لطلاسيوس ـ المئوية الثانية ـ صفحة ١٤١



{٢٩}

الأنبا موسي الأسود

أقوال القديس عن العقل

١ــ جودته:

ثلاثة أشياء تكون من جودة العقل: الإيمان بالله ـ والصبر على كل محنة ـ وتعب الجسد حتى يذل.

٢ــ فرحه:

ثلاثة أمور يفرح بها العقل: تمييز الخير من الشر ـ التفكير في الآمر قبل الأقدام عليه ـ والبعد عن المكر.

٣ــ استنارته:

ثلاثة أشياء يستنير بها العقل: الإحسان إلى من أساء إليك ـ والصبر على ما ينالك من أعدائك ـ وترك النظر أو الحسد لمن يتقدمك في الدنيا.

٤ــ تطهيره:

ستة أشياء يتطهر بها العقل: الصمت ـ حفظ الوصايا ـ الزهد في القوت ـ الثقة بالله في كل الأمور، مع ترك الاتكال على أي رئيس من رؤساء الدنيا، قمع القلب عن الفكر الرديء، وعدم استماع كلام الأغنياء، والامتناع عن النظر إلى النساء.

٥ــ ما يحارب العقل:

ثلاثة أمور تحارب العقل: الغفلة ــ الكسل ــ ترك الصلاة.

كتاب بستان الرهبان ـ الأنبا موسي الأسود ـ صفحة ٧٧



أقوال القديس عن النفس

١– حفظ النفس:

أربعة تحفظ النفس: الرحمة لجميع الناس – ترك الغضب – الاحتمال – إخراج الذنب وطرحه من القلب بالتسبيح.

٢ – ظلام النفس يأتي من:

المشي في المدن والقرى – النظر لمجد العالم – الاختلاط بالرؤساء في الدنيا.

٣ – عمى النفس يأتي من:

البغضة لأخيك - الازدراء بالمساكين خاصة – الحسد والوقيعة.

٤ – هلاك النفس يأتي من:

الجولان من موضع إلى موضع – محبة الاجتماع بأهل الدنيا – الإكثار من الترف والبذخ – كثر الحقد في القلب.

كتاب بستان الرهبان - الأنبا موسي الأسود - صفحة ٧٧

التحفظ من الفكر الرديء:

يأتي من: القراءة في كتب الوصايا – طرح الكسل – القيام في الليل للصلاة والابتهال – التواضع دائماً.

كتاب بستان الرهبان - الأنبا موسي الأسود - صفحة ٧٨



{٣٠}

كتاب بستان الرهبان

قال أنبا قاريون: "إني بذلت أتعابا كثيرة بجسدي، لكنى لم أصل إلى رتبة أبني زكريا، في اتزان العقل والسكون.

كتاب بستان الرهبان - الأنبا زكريا - صفحة ٨٠



📖 قال شيخ:

📖 "لا تطلب حوائج كثيرة، لأنك عاهدت المسيح أن تعيش معه بالفقر، لآن المسيح هو حياة النفس، وكل ما اقتناه {أي أقتني المسيح} في قلبه، وفي فكره، وفي تصرفاته، بامتداد عقله إليه، فهو ذاك الذي ينجح في سيرة هذا العمر، وينال الحياة التي لا تزول".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ١٦١



📖 وحدث مرة أن سأل أخ الأب دوروثيئوس قائلاً: "كيف أحفظ قلبي"

📖 قال له: "لا يمكنك أن تحفظ قلبك، مادام فمك، وبطنك مفتوحين".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ١٦٤



📖 قال القديس يوحنا القصير:

📖 "إن فكر الإنسان آنية لله، وله الاستطاعة أن يقطعه {من الكل}، كي يمكنه أن يجلس في القلاية، أما إن جعله الإنسان وعاء لحديث العالم، فلن يستطيع أن يجلس في القلاية".

📖 "إذا مشيت، لا تدع عقلك يدور، ولكن مجتمعاً قدامك".

📖 "لتكن نفسك متيقظة لخدمة الله، وليكن عقلك منجمع عند ربك".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٣٦٩

📖 سُئلت القديسة ثيودورا: "كيف يمكن للإنسان أن يقبل حديث العلمانيين، وأن يكون عقله مع الله فقط كما كتب؟"

📖 فقالت: "يشبه هذا إنساناً جالساً على مائدة، وعليها أطعمة كثيرة، فإن أكل منها بشهوة، ورغبة، أثم. وإن لم يأكل منها بشهوة، ورغبة، فليس عليه ذنب فيما يأكله.

📖 وهكذا كلام العلمانيين: إذا سمعته ويكون قلبك معك {مشغولاً بالعمل الجواني}، ولا تسمعه بلذة {قلبك، وانشغالك به} فما يضرك شيء".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٣٦٩



سأل أخ شيخا قائلاً:

"أي شيء أصنع، فإن أفكاراً كثيرة تقاتلني، ولست أدري كيف أقاتلها؟". فقال له الشيخ: "لا تقاتل مقابل الكل دفعة واحدة، ولكن قاتل واحدة، لأن أفكار الراهب إنما لها رئيس، فاجعل بالك إلى رئيسها، ونحوه أجعل قتالك، فإذا هزمت الفكر، فقد انهزمت البقية".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٩٣



قالت القديسة سفرنيكي: "كما إن الوحوش النافثة يطردها حاد الأدوية، هكذا الأفكار الخبيثة يطردها الصوم مع الصلاة".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٩٤



اخذوا عن شيخ:

"إنه كان جالساً في قلايته، فأتاه أحد الأخوة في الليل، وأراد الدخول إليه، فلما بلغ الباب سمع صوته من داخل وهو يقول: "يكفي، يكفي حتى متي؟ اذهبوا الآن من قدامي".

ثم سمعه يقول: "تعال، تعال، يا صديقي".

فلما دخل إليه قال: "لمن كنت تتكلم يا أبي؟"

قال له: "لحيساتي الرديئة كنت أطرد، للصالحات كنت أدعو".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٩٤



قال قائل من الأخوة الرهبان لشيخ من الشيوخ:

يا أبي: لست أجد في قلبي قتالا؟".

فقال له: "إنك تشبه القبة المرتفعة في وسط السوق، فكل من أراد جاز تحتها، كذلك قلبك، أما إن أغلقت باب قلبك، ولم تدخله الأفكار الرديئة، لنظرت الأعداء يقاتلونك قتالاً شديداً.

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٩٤



قال أحد الآباء:

"ليكن فكرك فكراً صالحاً هادئاً في أي موضع سكنت فيه".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٣٩٦



📖 **قال أحد الآباء:**

📖 "إمساك العقل والقلب، هو أن يكون الإنسان متيقظاً".

📖 "لا تتهاون بأفكارك، وإذا قاتلك العدو بالفكر، فلا تلتفت إلى قتاله، لأنه يريد بذلك إن يشغلك عن مخاطبة الله".

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٣٩٩



📖 **قال أخ لشيخ:**

📖 "أفكاري لا تتركني أستريح، ولذلك تجد نفسي مغمومة".

📖 فقال له الشيخ: "إذا زرع الشياطين فيك الأفكار، فلا تتحدث معها، فمن شأنهم أن يطرحوا زرعهم دائماً، ولكنهم لا يلزمون أحد بقبوله، فلك أن تقبله، أو لا تقبله.

📖 ألا تلاي ما عمله أهل مديان، كيف أنهم زينوا بناتهم وأظهروهم، لكنهم لم يلزموا أحد بالزني معهم. فكان من الإسرائيليين من أراد مخالطتهن، ومنهم من لم يريدوا فلم يدنوا منهن. كذلك من أغتاظ منهن فشرع في قتلهن. وهكذا تكون حال الرهبان مع الأفكار، التي تهجس بها الشياطين إليهم".

📖 فأجاب الأخ وقال: "كيف أعمل يا أبي لأني ضعيف، والوجع غالب على، وليس لي قدرة على مقاومة الأفكار".

📖 فقال له الشيخ: "إذا القوا فيك الأفكار فلا تجاوبهم، بل اهرب إلى الله بالصلاة، والسجود. وقل "يا الله ارحمني، واصرف عني هذه الأفكار بقوتك العظيمة، فاني ضعيف عن مقاومتها".

📖 فقال له الأخ: "إني إذا وقفت لأصلي، لا أحس بخشوع، لعدم معرفتي بمعني الكلام وقوته "..

📖 فقال له الشيخ: "هكذا إن الراقي {الساحر} لا يعرف قوة الكلام الذي يعزم به، لكن الحية تحس بقوة القول فتخرج، كذلك نحن أيضاً إن كنا لا نعرف ما نقوله، ولكن الشياطين تعرف قولنا، وتنصرف عنا".

